قتيلة كامب شيزار

الطبعة الثانية

١٤٤١ هـ ـ ٢٠١٩م

تنبيه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

رقم الإيداع

٢٠١٨/٢٦٣٢٥

بطاقة فهرسة

سعيد، وسام

قتيلة كامب شيزار: رواية/ وسام سعيد، ط١ - القاهرة: دار غراب للنشر والتوزيع: ٢٠١٨

٢٥٦ صفحة؛ ١٤ x ٢٠ سم

تدمك: ٠-١٦٧-٧٨٦-٩٧٧-٩٧٨

١ - القصص العربية

أ - العنوان

٨١٣

دار غراب للنشر والتوزيع

٨ عمارات الواحة - قطعة ١٠

مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠

info@ghorabpublishing.com

تصميم الغلاف

أسامة علام

التدقيق اللغوي

خالد رجب عواد

التنسيق الداخلي

أحمد البسيوني

قتيلة كامب شيزار

رواية

رعب

وسام سعيد

إهـداء

وأنا أكتب.. هؤلاء منحوني نفحات القوة والأمل وأمدوني بالنور...

- إلى روح الطاهرين الأنورين... أبي الحبيب سعيد عثمان وأستاذي وشيخي العارف بالله محمود صفوت قنديل.

- إلى نقى القلب صديقي الكاتب الكبير عمر طاهر.

- إلى عماد فتحي.. داعمي في ميلاد هذه السطور.

١

ميراث الخوف

الأساطير بُسُط سحرية يحلق بها الشيطان فوق رؤوس الخائفين..

يقولون إن لها متعة ودفئًا خاصًّا..

قد تكون كذلك!! وقد تكون مناخًا ملائمًا للخوف والتوجس..

إنها (النوة) الشتوية في شوارع الإسكندرية.. مدينة الصيف العامرة بالألفة والبهجة وأشعة الشمس.. وهي في ذات الوقت الصامتة المكسوة بمسحة كآبة في ليالي الشتاء.. وفوق ذلك فإنها تمتلك تراثًا قديمًا في الجريمة والدم الذي أسيل قديمًا على أرصفة أزقتها الباردة والجاني مجهول.. ولكن إلى حين.. فرائحة الجثث هي من حكت وأخبرت عن أسرار (ريا) و(سكينة) مهما يطل الوقت وتُحبك حيل التخفي!!

وفي ليلة شتوية قارسة، خرج الشاب الثمل من الحانة الفقيرة التي ما زالت تقدم فقراتها حتى الصباح لزبائنها الدائمين.

انتابت الشاب قشعريرة من تيار الهواء البارد فأحكم لفَّ الكوفية على رقبته، وفتح ذراعه اليمنى مشيرًا لفتاة الليل التي يصطحبها أن ادخلي في طيات ذراعي بين الجاكيت السميك وبين جسدي.

دخلت الفتاة وهي تطلق ضحكة رقيعة، وكلاهما يترنح من السُّكر، حتى أنهما وجدا صعوبة في محاولة إيقاف (تاكسي)، فمن المؤكد أن السائق الذي سيقف لاثنين بهذه الحالة، لهو رجل ذو مواصفات خاصة وقناعات معينة في فلسفة جلب الرزق حلاله وحرامه.

أخيرًا.. وقفت عربة قديمة يقودها رجل ضخم أقرع، حواجبه كثة، تبدو عليه علامات تثير عدم الارتياح، فابتسم لهما كاشفًا عن أسنانه السوداء من شرب التبغ وأشار بيده ليركبا، فالمطر الذي يهطل بغزارة وصوت الرعد جعلهما لا يترددان أو يمنحهما رفاهية انتقاء سيارة واختيار سائق بعينه.

كان حديثهما وضحكاتهما دون تحكم وهما داخل العربة، حتى أن السائق لمح في المرآة ما يحدث في الكنبة الخلفية، فشجعه على مبادرتهما بالمزاح والنكات أو الاشتراك في الحديث الهزلي.

راح السائق يلف بهما دون حساب أو حتى طرح السؤال التقليدي: على فين؟! وبلغت جرأته أن مدَّ يده خلفه خاطفًا زجاجة النبيذ التي كان الرجل الثمل يحتفظ بها لإكمال سهرته، وهمَّ بأن يفتحها، فبادره الرجل بعنف ونبرة بطيئة تليق بسكير:

– إيه يا عم انت!! إيه اللي بتعمله ده.. حاجتك دي؟!

– السائق: يا سيدي..ما تدقش.. ما هي مش متبرشمة.. هاخد بق بس.. عايز أجرب الصنف النضيف ده.

كان الرجل ينوي أن يعنفه لولا ضحكة أطلقتها فتاة الليل التي معه، فسمح له برشفة قائلًا بلسان ثقيل:

- السكران: ماشي يا عم.. بس ما تحفش.. ده أنا موصي عليها وجبتها بالعافية.. خلصنا بقى هو الطريق طول كده ليه؟

- السائق: طول مين يابا؟! هو انت قلت لي رايحين فين أصلًا؟!

- السكران: آه صحيح.. بص بص..اطلع ع المندرة..لا لا لا.. استنى...استنى..ده البيت.. قال أنا كنت هاخدك ورايح بيكي البيت هههههههههههههه.

- فتاة الليل (بوقاحة): أومال انت رايح بيا فين يا عنيا؟!

- السكران: انت اتهطلتي في نافوخك.. ولما آخدك البيت أقول لأمي وأبويا إيه؟!

- السائق: بس بس بس... فهمتك..عايزين مكنة..مكان يعني تقضوا فيه لا مؤاخذة سهرتكم.

- السكران: أيواااااا.. كده أنا أحبك.. شوفلنا حتة فاضية نروحها.

- السائق: ماشي عيني.. فيه لوكندة من إياهم في العصافرة.. هتعجبك أوي.

- الفتاة: من إياهم إزاي يعني؟!

- السائق: من إياهم؟! شمال يعني؟!

- الشاب السكران: لا لا.. مش هينفع.. أنا مشطب معيش فلوس.

- الفتاة: باقولك إيه؟ انت قليت مزاجي وهتقرفني معاك.. نزلني هنا يا اسطى.

- الشاب: استنى بس يا لوزة.. ده اللي اتفقنا عليه برضه.. شوفلنا يا اسطى حتة متدارية كده جنب البحر ولا حاجة..

- السائق: نعم يا روح أمك..بتقول مشطب وراكب تاكسي وكمان بتتأمر.. باقوللك إيه..هات الإزازة دي..وكده تبقى قضيت..وهوديك مكان تقضوا فيه الغرض..ماشي؟!

- الشاب: ماشي.. حار ونار في جتتك..فين المكان ده؟

- السائق: مكنة أمان الأمان...في كامب شيزار.

كانت الشهوة المتأججة داخل جسد الشاب والفتاة، ونيتهما المسبقة لقضاء الليلة طاغية على أية أفكار أخرى متعلقة بالبحث عن شقة يحصلان فيها على متعتهما المحرمة.

فوافقا على الفور ونزلا حيث تركهما السائق، في مكان بالطبع يخلو من المارة، أمام مبنى عتيق ضارب في القدم.. محترق.. مهجور..

ورغم أن شكله يبث الرعب والخوف في قلب ناظره..فإن العاشقين كانا في حالة غياب ونهم شديدين حالت دون تسرب مشاعر الخوف لهما جراء النظر والتدقيق في شكل المبنى المحترق!!

نفذ الشاب والفتاة كلام السائق بالحرف بالدخول عبر الباب الحديدي.. ثم اجتياز عدة أمتار والتوقف قبل الدخول من باب المبنى، حيث توجد أمامه مساحة يكسوها البلاط وعليها سجادة شعبية (كليم) تبدو عليها القذارة، هذه المساحة لا ينال منها المطر حيث تعتبر مسقوفة بـ(تندة) إسمنتية، ولكنها غير مظلمة حيث يدخلها ضوء مصباح الشارع لقربه منها، وقد اعتاد هذا السائق أن يقضي لياليه المحرمة في هذا المكان مصطحبًا معه كشاف ببطارية، كما روى وحكى للشاب السكران.

ولكنه طلب منه طلبًا واحدًا بل تحذيرًا.. قيل له من ناصح ومجرب سابق..

حيث قال له:

- بص يا عمنا.. اسمعني كويس.. المكان دافي وأمان.. أنا مجربه كتير.. بس في الصيف الصراحة..وهتدعيلي..ولعلمك نضيف.. بس اسمع.. آخرك البسطة اللي قدام المبنى.. ع السجادة..إوعى تروح حتة تانية.. أو تعدي المكان ده.. إوعي تفتح باب المبنى..انت فاهم..

- خلاص يا عم!! ما تديني كاتالوج أحسن!!

- انت حر...أديني حذرتك..إوعى تفتح باب المبنى..

- - إيه اللي هيحصل يعني؟!

- ما اعرفش..اللي دلني ع المكان قالي كده.. هو ده النظام.. من غير ما تسأل.. أديني باقولك أهو..إوعى تفتح الباب!

استسلم العاشقان الثملان لشهوتهما الجامحة، ودون أدنى تدبير خلعا ملابسهما رغم شدة البرودة، ولكن صوت الرعد ولفح الهواء البارد لم يمكنهما من الدخول في مناخ المتعة!!

فلم يفكر فيما يفعل.. رغم أنه تذكر..

فقام واقفًا.. مرتديًا ملابسه وهو يأمرها بسرعة:

- قومي يابت.

- على فين..انت كده خلصت؟!

- يابت بطلي بقى لسانك الطويل ده وقومي.

- رايح فين؟!

- هاخش جوه.

- نعم؟!! انت اتجننت.. نسيت السواق قالك إيه؟!

- لأ ما نسيتش.. بس ده كلام سيما.. سمعته من هنا وخرجته م الناحية التانية.. ده راجل أهطل باين عليه محشش.

- انت بتهزر.. لا يا اخويا أنا مش داخلة؟!

- يابت.. اسمعي الكلام.. ما تبوظيش الليلة.. مش كفاية الإزازة راحت؟

- لأ.. أنا مروحة.

وكعادة الغرائز الحيوانية حين تتملك إنسانًا، فهي تلغي آدميته، وتتمخض عن سلوكيات أخرى أكثر همجية، حيث فتح عليها (مطواة) قرن غزال كما يسمونها، وهددها لو لم تنفذ كلامه.. فانساقت له طواعية دون تردد..

وقف الاثنان أمام المبنى ثواني معدودة .. وصوت الرعد والبرق يدويان في السماء..

وكان القرار الذي فتح معه باب الماضي الأسود برياحه الرمادية العابثة، وبآلامه وجراحه الغاضبة..

مد السكران يده وفتح الباب.. ودخل في الدفء.. بعيدًا عن المطر والهواء البارد.. ونام وقضى متعته ومعه فتاته.. ولكن لم يصبح عليهما نهارٌ كالذي نعرف..

حتى الأيام التي أعقبت خروج شاب وفتاة مجذوبين عاريين يهيمان في شوارع كامب شيزار لم تكن أيامًا طبيعية، بل شهد كل سكان المنطقة بغرابتها وحكاياتها العجيبة..

وتوالت الأيام.. الآن نحن في.... ٢٠١٨ مرّ على فتح الباب عامان..

في أحد أحياء المعادي القديمة الراقية الهادئة، كان الجو صحوًا مشمسًا، يسمح للعصافير أن تروح وتجيء مغردة حول القصر المهيب وفوقه بحدائقه الواسعة الغناء، وقد بدأت الحركة تدب فيها منذ شروق الشمس حيث حضرت وردية رجال الأمن الصباحية للوقوف على بوابة القصر الإلكترونية، وشرع (الجناينى) في سقيا الحديقة والزهور، واصطف الخدم والطباخون أمام (فاطمة) مديرة المنزل.

لم تعاند (ليلى) سيدة القصر كثيرًا صوت منبه «الموبايل» وهو يوقظها من نوم متقطع، فقد علمت جيدًا ما ينتظرها من أعمال يومية روتينية، فضلًا عن ترتيباتها الخاصة ليوم طويل وشاق ولكنه مبهج وسعيد، مما أكسبها حماسة وطاقة لتنهض من السرير بسرعة وتغادر ربكة ذلك العالم الوسيط بين النوم واليقظة، فهي فترة غير مأمونة الجانب، وربما تحمل في طياتها هواجس أو كوابيس أو رؤى قد تبشرها أو تنفرها مما هو آتٍ.

فلعله من الأسلم، الاستيقاظ سريعًا والهروب إلى رذاذ الماء البارد وبعده شيء من «النيسكافيه» لزوم الهبوط الكامل على أرض الوعي.

- صباح الخير يا فاطمة.

- صباح النور يا مدام.. كنت هاصحيكي أول ما جيت، بس قلت أسيبك تنامي شوية، علشان عارفة إن حضرتك هتتعبي أوي انهارده وقدامك يوم ما يعلم بيه إلا ربنا.

- أديني صحيت أهو.. إن شاء الله مفيش تعب ولا حاجة.. المهم جبتي كل الحاجة اللي قلتلك عليها؟

- كُلّها يا ست ليلى.. ما عدا حاجة واحدة نسيتها وما افتكرتهاش غير لما جيت هنا.

- هي إيه يا فالحة؟!

- المشروووم.

- مشروووم؟!! إيه اللي شرمه إن شاء الله..اسمه ماشروم..وجاية ع الحاجة بتاعة (ملك) وتنسيها انتي عايزة تجيبلنا الكلام ووجع القلب.. ابعتي عم (علي) بسرعة يروح يجيبها..يالا.

- حاضر يا مدام..أنا بس مش فاهمة..ليه دايمًا حضرتك قايدة صوابعك العشرة شمع لملك دي وهي ما عندهاش دم وغاوية تصد فيكي؟!

- إيه ده؟! إيه اللي بتقوليه ده؟!انتي مفيش فايدة في لسانك وطريقتك دي..انت إيه اللي دخّلك أصلًا..مالكيش دعوة..وإياك أسمعك بتتكلمي في اللي مالكيش فيه؟!

- حاضر..حاضر..آسفة يا مدام ليلى والله.. ما تزعليش والنبي!!

- طب اتفضلي اعملي اللي قلتلك عليه!!

لم يدعُ (ليلى) للدهشة ما سمعته من الخادمة، رغم أنه أثار حفيظتها، فكل البيت ومن يرتاده من الأقارب وحتى أصدقاء الأسرة، يعلم هذه الحقيقة جيدًا، حيث لا يوجد في قلب (ملك) ما يجعلها ولو لمرة تقابل إحسان (ليلى) وذوقها وحبها لها بما تستحقه، ولم تستطع (ملك) بل لم تحاول أن تنسى أن أباها تزوج (ليلى) بعد وفاة أمها بشهور قليلة، وأسكنها قصرها وأدخلها غرفة نومها، وهي في منتصف العقد الثاني من عمرها.

ربما كان ذلك سهلًا على (شهاب) أخيها الأصغر الذي انتهى من حبوه فوجد (ليلى) أمًّا حنونًا تمنحه الحب والرعاية الكاملة، كما كان سهلًا على معظم أقارب العائلة أن يتقبلوا وجود (ليلى) بينهم، ويعوا جيدًا إلى أي مدى يحبها (حازم المراغي).

وفي يوم كهذا، من الطبيعي أن تستيقظ مبكرًا، ثم تحرص على أن تمر تفاصيل اليوم دون أية مشكلات، لعلها تحسن استغلال الفرصة وتكسب رضا(ملك) وقبولها في يوم عيد ميلادها، الذي اعتادت الأسرة أن تحتفل به في حضور العائلة كلها والأقارب والأصدقاء في حديقة البيت الكبير.

كل شيء تم تجهيزه بتوصيات خاصة وإشراف منها، الجناينى يقلم ويهذب أشجار الحديقة ونباتاتها، والخادمة والطباخ شرعا في إعداد (بوفيه) فاخر للحفل، والسائق رهن الطلب لتوصيل أو الذهاب في أي مكان.

الآن.. حانت ساعة الإفطار، ولا بد من إيقاظ الجميع، وهي المهمة التي تفضل (ليلى) ألا تتركها للخدم بل تفعلها بنفسها تودداً لهم، وحرصًا على اجتماعهم على مائدة واحدة في بداية اليوم.

وبكل رقة وهدوء، بدت (ليلى) متألقة في ملابسها الرياضية الأنيقة، حين اتجهت لستائر غرفة النوم وفتحتها ليدخلها ضوء الشمس فيعكس مدى رقي أثاث الغرفة وفخامته.

ثم اقتربت ومالت نحو (حازم)، وظلت تتحسس وتداعب وجهه وشعره بأصابعها، وهي تهمهم بأغنية فيروز «شايف البحر شو كبير»..فتلك هي الطريقة المثلى التي يعشقها (حازم) للاستيقاظ.. فمن أين لكل رجال مصر بطريقة (ليلى) في الاستيقاظ؟!! لعلها ستكون كفيلة بتغيير نظام المجتمع كله ومصيره لو بدأ الرجال يومهم مفعمين بتلك الطاقة الإيجابية.

- صباح الخير يا حبيبتي..

- صباح النور يا روحي.. ينفع النوم ده كله والكسل ده في يوم عيد ميلاد (ملّوكة)..يالا بقى علشان الساعة داخلة على ١١ وعايزاك تأكد على «شمس نص الليل».

- مين يامَّا؟!!

- شمس نص الليييل..إيه؟!ماسمعتش عنهم..دى العيال المجانين اللي عاملين فرقة مزيكا وولادك وصحابهم بيموتوا فيهم!

- وانت عازمة المجانين دى إن شاء الله في بيتي انهارده؟!

- طبعًا.. وعاملاها مفاجأة لملك.. دي هتفرح أوي.. أصلي عرفت إنها بتحب مزيكتهم أوي هي وصاحباتها في المدرسة

- مزيكتهم..هما دول بقى لهم مزيكا!! طيب.

- لا..وما نسيتش البيه الصغير..عزمت له كل صحابه في المدرسة.

عارفة يا (ليلى) أحلى حاجة فيكي إيه؟ إنك مش سايبة أي تفصيلة صغيرة في حياة الولاد إلا وبتشاركيهم فيها.. كأنك مامتهم فعلًا.

- إيه كأنك دي؟! انت هتزعلني كده!!

- أنا أقدر برضه..احنا مش هنفطر ولا إيه؟!

- أومال أنا جاية أصحيك ليه..انت اللي عمال ترغي ونسيتني..يالا. قوم..نص ساعة والفطار يبقى جاهز تحت في الجنينة.

قبل أن تنتهي من كلماتها أمسك (حازم) يدها وجذبها نحوه في دلال لتسقط عليه فيقبلها.

وبعد أن نهض (حازم) ودخل الحمام، أخذت (ليلى) تعدل ملابسها وخصلات شعرها في المرآة استعدادًا لمهمة أصعب لإيقاظ (ملك) صاحبة الحفل، وقد حملت ملامح وجهها في المرآة شيئًا من الهم بدا لثوان ثم غاب في قسمات وجهها الباسمة بطبيعتها.

ولكن قبل خروجها من الغرفة، لم يَرُق لها ما شعرت به من هاجس خفي مر كالطيف على ذهنها لم تفهم مغزاه، ولكن مفاده أن ثمة ما سيحدث ليلًا سيعكر صفوًا بدأ به اليوم.

لم تبالِ به، ومضت في اتجاهها لغرفة (ملك) متجاهلة صوتًا بعيدًا ودفينًا من الأعماق يحمل طيفًا من روح (بيريهان) زوجة (حازم) وأم أولاده.

وفي غرفة (ملك) المظلمة بفعل الستائر الثقيلة التي تحجب ضوء الشمس الذي يزعجها، أمسكت (ليلى) بحبل الستارة لتشدها في هدوء وحرص شديدين، وبعد أن ملأ ضوء الشمس الغرفة تدريجيًّا.. اقتربت من (ملك) وهي تحمل همًّا ثقيلًا، أن تصدها بكلماتها السخيفة المعتادة، فجلست على طرف سريرها، ثم اتكأت بجانبها، فوضعت كفها بحنان على شعرها وراحت تخلل بين خصلاتها بأصابعها فبدأت جفون (ملك) في الارتجاف، ومع قبلة (ليلى) على خدها الغض انفتحت عيناها تمامًا واستيقظت.

– إيه ده؟! تاني؟!! انت إيه اللي دخلك هنا..هو أنا مش قلتلك المرة اللي فاتت إياكي تخشي أودتي من غير إذني؟!

– صباح الخير يا حبيبتي؟!

– صباح الزفت!! وما تقوليش حبيبتي!!

– ملك.. من فضلك وطي صوتك.. وسبق وقلتلك عيب تتكلمي معايا بالأسلوب ده!!

- باقولك إيه اللي دخلك أودتي من غير إذن؟!

- باصحيكي للفطار.. وبعدين أنا كنـ..

- من فضلك..لو سمحت..سيبيني مش عايزة أفطر ومش عايزة أقوم دلوقت..انهارده أجازة وعايزة أنام.

- طب يا حبيبتي..براحتك.. نامي وارتاحي..بس عايزة أقوللك على حاجة يا ملك.. أرجوكي يا حبيبتي خلي يوم عيد ميلادك انهارده بداية جديدة ما بينا.. وحاولي تفتحيلي قلبك وتحبيني..مش هاقول زي ماما... لأني أكيد مش زيها.

- طبعًا!!

- بس طالبة منك.. تديني فرصة أثبتلك إني بحبك انت وأخوكي وعايزة أشوفكم أحسن ناس في الدنيا.

- ليه يعني.. هو احنا ولادك؟! انت بتأفوري على فكرة..

تتنهد ليلى بعمق في يأس شديد ثم تقول:

- ماشي يا ملك..اللي انت شايفاه..عمومًا احنا بنفطر تحت أنا وبابا وأخوكي..لو حابة تنزلي..وياريت ما تتأخريش في النوم علشان تلحقي تشوفي مين جاى من صحابك وترتبي نفسك.

تدير (ملك) وجهها وتضع رأسها تحت الوسادة في هدوء مستفز، ولا تجد (ليلى) بُدًّا من مغادرة الغرفة، ولكن قبل أن تفعل استوقفتها كلمات (ملك) الأكثر قسوة:

– اااه استني.. ياريت بقى جو الحنية.. وشغل اللطافة ده ما تعمليهوش قدام (بابا) والناس واحنا بنطفي التورتة علشان تبيني إنك ملاك واحنا اللي وحشين..ماشي!!

لم ترد عليها (ليلى) ولكنها رمتها ولأول مرة بنظرة لم تعتدها (ملك)، ورغم أن الأخيرة لم تبالِ بها، لكنها أوقعت في قلبها بذرة من الخوف الغريب..

كيف امتلأت عينا زوجة أبيها في ثانية بكل هذا الكم من الشر المضمر.. الأمر الذي جعلها بعد أن غطت وجهها كاملًا لتعود للنوم، أن ترفع الغطاء في هدوء وتنظر للباب بعينين خائفتين، لتتأكد من خروج (ليلى).

وفي الحديقة وقف الخادم يصب الشاي في فنجان (حازم)، وبعد أن انتهى من صبه ومضى مَدَّ يده في حنان ليمسك بيد (ليلى) ويربت عليها ترضية لها قائلًا:

– معلش يا حبيبتي.. أرجوكي ما تزعليش نفسك.. لو كان انهارده مش عيد ميلادها كنت بهدلتها على قلة أدبها دي.

– مش عايزاك تعمل كده يا حازم..ولا عمري هانبسط من كده..المرة اللي فاتت لما زعقتلها وحرمتها م الخروج مع صاحبتها، كرهها ليا زاد واتطور وبقى فيه تجاوز كمان..فأرجوك مش هنصلح الغلط بغلط!!

– ماشي يا روحي..اللي انت شايفاه..بس أنا ليا معاها قعدة..ما هو لازم نوصل لحل في القصة دي..مش هنفضل كده.

يرمق (حازم) دمعات تسيل على وجه (ليلى) تحت النظارة الشمسية، وهي تواصل عمل ساندويتشات لـ (شهاب) الذي يحبها وتحبه، فيشعل سيجارة وينفث دخانها في اغتمام شديد، وهو ينظر للبيت وتحديدًا على نافذة غرفة (ملك) وكأنه يقول: ألا من نهاية لتلك المشكلات السخيفة التي تعكر صفو حياته؟!

يرجع (حازم) برأسه للوراء مسترخيًا على الكرسي، ويغمض عينيه ليتذكر للحظة زوجته الأولى (بريهان)، وأن شكل حياته اختلف معها منذ دخلت في دوامات المرض اللعين، حتى فارقت الحياة وهي تتلقى العلاج في الخارج وتركته مع أولاده وحيدًا، ورغم أنه نسي بعضًا من هذه العذابات بزواجه بامرأة جذابة وجميلة وذكية وطيبة مثل (ليلى) فإن ثمة بقايا ما زالت تؤرقه بخلاف علاقة زوجته بابنته، فهناك ما هو أكثر ألمًا من ذلك.. مثل كابوس (سيدة الخلف) كما أطلق عليه طبيبه النفسي وصديقه د. نادر

ميخائيل حين أخبره به (حازم) وقت أن استيقظ منه أول مرة وهو يتنفس بصعوبة، وهدّأت (ليلى) من روعه.

كابوس (سيدة الخلف) أو كما يسميها (حازم): «الست اللي واقفة ورا» بدأ تاريخه معه منذ اليوم الرابع من زواجه بـ (ليلى)، وظل يتكرر على فترات متباعدة، ثم صار على فترات متقاربة، حتى صار يزوره كل أسبوع مما جعله يعتاده ولا يحاول البحث عن تفسير له.

ولم يفلح طبيبه النفسي د. نادر أن يصل معه للسبب التاريخي وراء كابوس متكرر كهذا سوى أنها مجموعة ضغوط نفسية وبقايا اكتئاب أعقب وفاة زوجته (بيريهان)، وخرج من العقل الباطن في شكل هذا الحلم المخيف.

وسيناريو الكابوس يسير منظمًا كالتالي: أن الحلم تجري أحداثه بشكل عادي وطبيعي كأي حلم لأي نائم، إلى أن تقترح إحدى شخصيات الحلم أيًّا كان أن يتم التقاط صورة (سيلفي) للذكرى، وحينها يبدأ الكابوس المتكرر حرفيًّا، في لحظة يكون فيها (حازم) يتعرق ويشعر بالاختناق، حتى تحين الثانية الكابوسية عندما يشاهد الصورة على هاتفه المحمول ويجد خلف الجميع سيدة يكسوها السواد الفاحم، إلا عينيها الجاحظتين!

في السيارة بدا الشاب الثلاثيني الوسيم متوترًا على مقعد القيادة، وهو يحاول الاتصال برقم لا يرد، ويزداد توتره كلما كرر المحاولة ولم يتلق ردًّا، لكن صوته ارتفع بالهتاف فور أن سمع على الجانب الآخر كلمة (ألوو) بصوت حريمي غارق في النوم.

- أيوا يا (سلمى)..ممكن أعرف فيه إيه؟!

- فيه إيه في إيه بالظبط؟!

- كنتي فين؟! مستحيل تبقى نايمة وكل الرن ده ما سمعتيهوش...ده انت بتصحي م الهوا الطاير.. ونومك خفيف أصلًا عايزة تقنعيني إن كل الرن ده ما صحاكيش غير دلوقت.

- ولا دلوقت كمان.. أنا ماسمعتش أي رن خالص.. ده أنا صحيت علشان كنت باتقلب ولمحت الموبايل لاقيت رقمك.

- نعم؟!! ليه انت كنتي عاملاه (سايلانت)؟!

– الصراحة آه.. أصل امبارح (ندى) جارتنا صدعتني تليفونات، علشان عايزة وصفة كيكة، وانت عارفها مصفحة وبتسهر، فخفت تليفوناتها تصحيني كل شوية.

– صبرني يا رب...ماشي يا سلمى.. ده انت قطعتيلي الخلف...قلت حصل حاجة..حرامي دخل..ولا البيت اتحرق!!

– عمّار..ما تزودهاش!!

– طيب المهم.. اصحي بقى علشان عبال ما آجي تكوني لبستي ونشوف هننزل نجيب إيه لملك انهارده.

– آآآه كويس انك صحيتني.. ما تقلقش يا حبيبي مش هنلف كتير.. أنا محددة المحل اللي هنشتري منه.. وعارفة هاجيب إيه.

– ماشي بس المهم تبقى حاجة محترمة وتشرف، إحنا مش قد (حازم) أخوكي ولا (ملك) بنت أخوكي، دي ما بيعجبهاش العجب!

– حرام عليك...بطل سخافة بقى.

– ماشي.. قومي بقى الحقي الظهر، وأنا خلاص قربت أوصل.

من الممتع والمسلي أن تستمع دائمًا لحوار بين (عمّار عطاوية) وبين زوجته (سلمى المراغي) أخت (حازم)، فهما ثنائي مرح ولطيف، تزوجا عن حب، رغم تحفُّظ أخيها على زواجهما في البداية فقد رضخ لرغبتها بعد أن أقنعته (ليلى) بالموافقة كي لا يكسر قلب أخته للأبد فتكرهه بقية عمرها.

لذلك فإن (سلمى) لم تنس قط لـ (ليلى) أنها كانت سببًا في زواجها بـ(عمّار) حب عمرها، بل تُقدِّر لها كل ما تفعله لإسعاد أخيها وأولاده.

أما (عمّار) فهو شاب عصامي يعمل مهندسًا في إحدى شركات البناء الكبرى، واستطاع بإرثه من أبويه، وراتبه الكبير أن يقتني شقة فاخرة في حي راقٍ تليق بسليلة عائلة المراغي التي أحبها، وأن يمتلك سيارة فارهة تضمن له الظهور المشرف وسط تلك العائلة الثرية.

لذلك فهو دائمًا يحرص على أن يبدو أنيقًا متأنقًا وفي أبهى صورة، حينما يتوجه لزيارة (حازم) في قصر المراغي، وقد بدا ذلك من خلال حرصه أن يشتري هدية غالية الثمن لابنته في عيد ميلادها، بل يبحث عن هدية في نفس المحل الفاخر لأخيها (شهاب) الذي يحبه.

- إيه ده؟ مين البغل اللي في إيدك ده؟! انت جايب لبنوتة مصارع هدية؟!!

- يعني بمخك ده هجيب لها مصارع إزاي.. ده لشهاب.

- شهاب؟! اشمعنى؟!

- عادي..باحب الواد ده..عايز أجيب له هدية!!

- ميرسي طبعا يا حبيبي ربنا يخليك.. بس للأسف غالبًا هترجعها وتشوف غيرها.

- اشمعنى؟! ليه يعني؟!

- رجعها بس وهاقوللك بعدين؟!

- يا بنتي دي مش غالية زي ما انت فاكرة.. وبعدين مش مهم السعر.. أنا عايز أجيبله حاجة كويسة.

- يا سيدي والله ما قصدي السعر.. بقى أنا هافكر كده برضه...شهاب ما بيحبش اللعب دي.. هات له (بازل) أو (ليجو) أو (قطر)..أي حاجة غير البني آدمين العرايس أو الوحوش.

- أيوا ليه بقى؟!

- علشان بيخاف منهم.. وخياله واسع أوي وبيقعد يتخيلهم بالليل في الأودة ويترعب منهم.

- انتى عرفتي إزاي الكلام ده؟

- في السنة اللي كنت قاعدة معاهم فيها بعد وفاة (بيريهان).. اسكت اسكت..ده دماغه راكبة شمال.. وكان لازم آخده في حضني وأنام جنبه كل ليلة..غير كده ما ينامش، علشان كده باقول (ليلى) دي بطلة إنها عرفت تحببه فيها وترجعه لتمارينه، وحياته الطبيعية كطفل.

يترك (عمار) اللعبة على الرف في حزن وشفقة، وتفهم (سلمى) مراده من الهدية فتواسيه قائلة:

- حبيبي.. عارفة إنك بتحب شهاب وبتموت فيه علشان ربنا لسه ما رزقناش بالخلفة.. بس والله انا مش زعلانة وسايباها لربنا، تيجي وقت ما تيجي.

– ربنا يخليكي يا حبيبتي..بس أنا ما اتضايقتش علشان كده..أنا صعب عليا حالهم بالذات إن مامتهم سابتهم في سن صعب أوي، واحدة مراهقة والتاني طفل رضيع.

– ولا تضايق ولا حاجة..دلوقت نقدر نطمن عليهم مع واحدة زي ليلى بتعاملهم زي أمهم بالظبط..يالا يالا علشان اتأخرنا أوي.

لم يكن (عمار) وهو يحاول البحث عن أي شيء يسهم في إسعاد الطفل (شهاب)، يفعل ذلك بدافع الحب والشفقة، بقدر ما كان يستجيب لدوافع بداخله تحفزه دائمًا لفك طلاسم هذه الأسرة، فهو دائمًا يحاول الوصول لإجابة عن أسئلة كثيرة اعتملت في رأسه عن (حازم) وأسرته، لا سيما وأنه يكتشف دائمًا في كل زيارة ما يدعو للغرابة في سلوك أفراد الأسرة أو في المنزل نفسه.

ولن ينسَ (عمار) يوم أن اضطُر لزيارة للقصر وحده دون زوجته، ليسلم (حازم) بعض الأوراق التي طلبها من أخته، لإتمام بيع أرض خاصة بعائلة المراغي، فشاهد وهو على بوابة القصر ما أفزعه وجعله يقرر أن يغادر سريعًا، أمام دهشة حراس الأمن.

ما رآه (عمار) في هذا اليوم كان بداية ثبوت شكوكه أن أسرة (حازم) وقصر المراغي ما هما إلا دائرة مفعمة بالألغاز، وتحتاج إلى أمر من اثنين لا ثالث لهما، إما اللامبالاة و(التطنيش) وعدم البحث وراء ما رأى، وإما الاستجابة للفضول والرغبة في فك طلاسم القصر وأسراره وساكنيه!،

وغالبًا فقد اختار (عمار) بما يملكه من فضول وجرأة الحل الثاني، فهل يدفع ثمنًا باهظًا لهذا الفضول؟!

وعلى الرغم من أن (عمارًا) قرر الكتمان وعدم إخبار زوجته، فإنه لدفع هواجسه نحو ما رأى طفق يسأل زوجته كثيرًا عن تاريخ العائلة، وعن (بيريهان) التي لم يرها، و(ملك) التي ربما تخفي وراء كرهها لزوجة أبيها أمرًا ما، وها هو يُفاجأ بسر جديد عن (شهاب) الذي لديه اعتقاد أكيد أن الدمى والألعاب تتحرك ليلًا وتتحدث، وهو ابن العاشرة أي إنه في سن تتلاشى فيها هذه المخاوف الطفولية.

ولكن..

لم يعرف (عمار) شيئًا عن كابوس (حازم) المتكرر، حيث كتمت عنه (سلمى) سر سيدة الرماد أو سيدة الخلف التي تزور أخاها كل أسبوع وتلتقط معه صورة في ختام كل كابوس.

فماذا عن حيرة (عمار) وتيقنه من شكوكه لو علم بسر كهذا، ربما يربط بينه وبين بما رآه في حديقة القصر وأثار فزعه؟!

كل هذا لم يمنع الزوجين الحبيبين (عمار وسلمى) من القهقهة والضحك وتبادل (الإيفيهات) والقلش وهما في طريقهما للغداء معًا في أحد المطاعم، قبل التوجه ليلًا لحضور حفل عيد ميلاد (ملك) المقام في حديقة قصر المراغي.

داخل إحدى السيارات الفارهة، واصل (حسام) السائق عبارات الاعتذار لصاحب السيارة الذي جلس ممتعضًا وغاضبًا في المقعد الخلفي، يتلقى كلمات سائقه بمزيد من الحنق والغيظ، بسبب تأخره في الحضور.

فالدكتور (ناجي نصر حلاوة) من تلك العينة القديمة التي لا تقبل عذرًا أو مبررًا للتأخير إلا الموت، لم لا وهو أستاذ دكتور في قسم علم النفس كلية الآداب جامعة القاهرة، ويطبق هذه النظرية الصعبة مع طلبته وزملائه.

وليس ذلك لأنه رجل أكاديمي أو لأنه تجاوز الثمانين من عمره، لكن لأنه حالة فريدة ورجل من طراز خاص، ولديه روح ومقومات ونشاط وحدة ذكاء لا تتواءم مطلقًا مع سنه. وكل من حوله، ويتعاملون معه يعرفون جيدًا أنه ليس ذلك الرجل العجوز الطاعن في السن الذي يمكن تمتمة بعض الكلمات أمامه بحجة أن له سمعًا قد ضعف ونال منه الزمن.

الدكتور (حلاوة) أو Master Sweet كما يطلق عليه تلامذته وزملاؤه في لندن، هو الوحيد الذي يخشى المعيدون الجدد أن يناقشوا بين يديه أي

رسالة دكتوراه أو ماجستير حيث يسيرون معه في مشوار طويل من التعسف والعذاب.

ورغم هذا التشدد والانضباط في المواعيد، وهيئته التي توحي بالصرامة والحدة، فإنه يمتلك طاقة مرح تكفي لإضفاء روح البهجة على كتيبة من مرضى الاكتئاب، كما أنه يجيد الحديث مع مختلف الأعمار السنية.. حتى الأطفال يأسر قلوبهم فور أن يحدثهم، وإذا وُجد بين مجموعة من الشباب العشريني تجده محور الاهتمام، ومصدر (الإيفيهات) و(القلش) بلغتهم وطريقتهم. فهو يمتلك شخصية تعجز عن مقاومتها النساء خاصة الجميلات منهن، مما يفقده حظه ونصيبه من حب الرجال بعض الشيء، إلا رجل واحد يفتح له ألف باب، لكل تفصيلة في حياته ويشركه في قراراته باستمرار، ولا يخجل من إخباره بأي سر مهما يكن.

إنه (حازم المراغي) الذي يعتبر الدكتور (ناجي نصر حلاوة) بما يمتلكه من سماحة وطيبة وقلب ودود، وذكاء وخبرة كبيرة في الحياة، ليس فقط صديقًا للعائلة وإنما المستشار الأول لكل قرار يصدر داخل القصر.

زاد من هذه المكانة، ما يحظى به (د. حلاوة) من حب (ملك) و(شهاب) بل (ليلى) أيضًا وثقتهم، بل إنه الشيء الوحيد المتفق عليه بين الخصمين (ملك) و(ليلى).

من الصعب كذلك، أن تشرد وأنت تنظر في عيني الدكتور (ناجي)، لأن حديثه المنظم وأفكاره الراسخة تجبرك على الحضور الذهني، فضلًا عن أن

عينيه بلونهما العجيب الذي تحار في كنهه أهو أخضر أم أزرق، تصيبانك بحالة انجذاب.. وتسمُّر تسمح لك بتأمل بقية ملامح وجهه الأبيض المشرب بحمرة كرجلٍ أوروبي.

وداخل سيارته حتمًا ستشم رائحة عطره الفرنسي المميز، والذي يُعرف به حين يمر أو يحل بمكان. وتلك كلها سمات يستخدمها (د. حلاوة) في احتلال مساحات شاسعة من نفوس من حوله وعقولهم، فلا يجد من يتعامل معه بدًّا من تنفيذ نصيحته أو توصياته حرفيًّا وعن قناعة.

- ألوو..أيوا يا نسرين.

- (على الطرف الثاني من المكالمة ترد نسرين): أهلًا يا دكتور..كنت لسه هاطلب حضرتك.

- كالعادة.. كل أما أبقى طالب حاجة تتأخري عليا في الرد وتقولي لي كنت لسه هاطلبك!!

- لا والله يا دكتور.. أنا لسه حالًا مخلصة الـ Report وكنت هابعتهولك ع الواتساب.

- ماشي مضطر أصدق علشان ما عنديش وقت أضيعه في الكلام..هاقراه حالًا وارد عليكي.. اسمعي أنا رايح مدينة الإنتاج علشان (الإنترفيو) بتاع قناة LCC هاخلصه ع الساعة ٧..هافتح تليفوني ألاقيكي بتكلميني تقولي لي

إنك جاهزة وموجودة هنا في ٦ أكتوبر علشان عيد ميلاد (ملك).. ومش محتاجة أعرفك إني مش عايز دقيقة تأخير.. واضح الكلام؟

- (بصوت أخفض): مالك يا ناجي؟! عصبي كده ليه انهارده؟! ما كنتش عارفة أكلمك علشان جنبي ناس.. إيه فيه إيه؟!

كان الرد قويًّا وأكثر قسوة من أي كلمات.. حيث أغلق المكالمة في وجه محدثته بضغطة زر وملامح وجهه ترسم لوحة اللامبالاة وعدم الاكتراث.. ثوانٍ معدودة وقال بصوت حروفه واضحة ورنانة:

- عارف هتعمل إيه يا (حسام) من نفسك لو كررت خطأك ده تاني؟!

- عارف يا دكتور.. هاوصل حضرتك البيت وأسلِّم المفتاح وما تشوفش وشي تاني.

نظر الدكتور (ناجي) إليه في المرآة نظرة استخفاف بابتسامة خفيفة تحكي كلامًا كثيرًا.. لم يفهمه السائق.. ولعل من فهم تلك النظرة والابتسامة هو جدران صالون السيارة الذي لو كان له عقل ولسان لنطق وقال:

وهل يذهب من يترك العمل مع الدكتور (حلاوة) لبيته ويكمل حياته طبيعيًّا بعد ما دخل عالمه وتعامل معه وتعرف على المزيد من أسراره؟!

توقفت السيارة أمام مبنى القناة.. ونزل منها الدكتور (ناجي) وكان في استقباله معد البرنامج وأحد موظفي القناة، ولم يتعجب السائق ـ الذي

يعرف الدكتور (ناجي) جيدًا بحكم العشرة ـ من أسلوبه الذي بدا مفرطًا في اللطف والأدب والدماثة مع مستقبليه حتى دلفوا من باب المبنى.

– الراجل ده عجيب.. نفسي أفهمه.. ماحدش عارف له حاجة وربنا!!!

قالها (حسام) محدثًا بها نفسه، وهو يرجع بسيارته للخلف..

المضحك أن ذلك الشاب الثلاثيني كثيرًا ما يدعي بينه وبين نفسه أو يتحدث متفاخرًا أمام موظفي مكتب الدكتور (ناجي) أنه الأكثر معرفة به، وأنه يفهمه من مجرد نظرة، ولكن في واقع الأمر يعترف كما قال آنفًا أنه لم يُخلق بعد من يفهم ويعرف الدكتور (ناجي نصر حلاوة) جيدًا.

ولعله لم يعترف نهائيًّا بذلك، بل لم يحاول اختراق هذه المنطقة المحرمة منذ ذلك اليوم المفزع الذي لعب به شيطانه وغره شبابه وقوته، وحدثته نفسه الأمارة بالسوء أن الدكتور (ناجي) لديه ثروة طائلة في خزينة بيته كان (حسام) قد رأى بعض من نفحاتها حين سلمه حقيبة بها مليون جنيه لإيداعها في البنك صباحًا، فقرر في يوم لاحق الاستعانة بثلاثة من شباب منطقته يمكن إدراجهم تحت مسمى (فتوات) أو (بلطجية) ودلَّهم على بيته بعد أن أوصله منهكًا، وتيقن من دخوله في موعد نومه، ثم أعطاهم خريطة بمداخل (الفيلا) السرية ومكّنهم من الدخول... ثم انتهت الحكاية.

نعم.. انتهت الحكاية التي كانت المفترض أن تبدأ، حيث انطلق (حسام) بعيدًا، وظل مترقبًا ينتظر مكالمة هاتفية من زملائه يخبرونه فيها أنهم نفذوا

الجريمة على أتم وجه، وأن جثة الدكتور حلاوة معهم وعلى وشك التخلص منها.. لكن مكالمة واحدة لم تأتِ، وظل (حسام) منتظرًا لساعات لا يدري ماذا حدث، بل إنه حاول الاتصال بالثلاثة فتوات وجميع هواتفهم مغلقة، فقرر أن يؤجل حل هذا اللغز للصباح.

وفي الصباح استيقظ في موعده الباكر، واستقل سيارته ذاهبًا للدكتور (ناجي) كمعتاده، وهو يخرج من حارته وشارعه فوجئ بأم أحد زملائه الثلاثة تسأله عن ولدها هل رآه بالأمس؟!!

استمرت حيرته في تزايد حتى قطعت هذه الحيرة مكالمة من الدكتور (ناجي) يحدثه فيها بهدوء وبرود أعصاب ويطلب منه إحضار الصحف والمجلات التي يريد قراءتها في أثناء تناوله لإفطاره

فأين ذهب هؤلاء الثلاثة؟! هل دخلوا مثلث برمودا؟!

هل انشقت الأرض وابتلعتهم؟!

وهل التقاهم الدكتور (ناجي) أو عرف بنيات (حسام)؟!

أسئلة كثيرة ظلت لغزًا يثير قلق (حسام) على مدى عامين كاملين مضيا على هذه الواقعة.. لكنه قرر حيالها ألا يكرر اللعب بالنار، وألا يحاول مجددًا اختراق دنيا هذا الرجل العجوز ذي العينين الخضراوين.

وليس (حسام) وحده فقط الذي حاول ادعاء فهم قاموس الدكتور (ناجي)، وإنما كانت الوحيدة الأكثر قربًا منه، والتي يحق لها أن تتنبأ نوعًا ما بسلوكه أو تخمِّن كيف ستتجه قراراته هي تلك الفتاة الفاتنة صارخة الجمال، ذات الـ ٣٥ ربيعًا، كاتمة أسرار الدكتور حلاوة، وسكرتيرته الشخصية ومديرة أعماله.

إنها (نسرين العلمي) خريجة الجامعة الأمريكية، التي تتحدث ٣ لغات حية بإجادة تامة، والشخص الوحيد الذي يمتلك مساحات شاسعة داخل نفس الدكتور (حلاوة)، تسمح لها بنوع خاص من الحديث معه وتعطيها الحق للجدل والنقاش معه في مرحلة ما بين قراره وحسمه.

لم تنقطع مكالمات (ملك) الهاتفية منذ أن استيقظت، وفي جميعها تضحك ملء شدقيها وتختم بعبارة مكررة (هاستناكي انهارده..ما تتأخريش)، وقبل إتمام آخر مكالمة وجدت أباها على باب غرفتها المفتوحة يعتريه الضيق، وكأنه ينتظر أن تُنهي مكالماتها.

- خلصتي؟

- خلصت إيه؟!

- تليفوناتك

- اه ... فيه حاجة يا بابا؟

يدخل الأب ويغلق الباب من خلفه، ثم يقترب من ابنته ويجلس على حافة سريرها، ثم يقول في صوت خافت:

- يا ملك ....أنا كام مرة كلمتك في حكاية ماما ليلى دي؟! ...هو أنا مش..

- من فضلك يا بابا... اسمها طنط ليلى.

– ماشي ...طنط ليلى ...أنا يا بنتي زهقت من أسلوبك ده... نفسي أعرف عملتلك إيه؟ وكل أما أسألك السؤال ده ما تعرفيش تجاوبي عليه ... وما تلاقيش حاجة واحدة تقوليها ... لو بتكرهيها كده وخلاص فده مش صح ومش عدل يا (ملك) لأني ع الأقل شايفها عاملة كل اللي عليها علشان تحبك فيها ...حبيبتي انهارده عيد ميلادك ومش عايز أضايقك بالكلام ...بس مش معقول تبقى هي لسه عمالة تكلمني في مفاجآت ليكي وانتي تصدميها بأسلوبك ده كل مرة!!

– خلصت كلامك يا بابا؟!

– أهو طول ما انت واخدة الموقف ده عمر ما كلامي فيكي هيأثر ... يا بنتي ١٠٠ مرة أقولك إن جوازي منها مالوش علاقة بحبي لمامتك ... ماما الله يرحمها أكيد مش زعلانة إني اتجوزت بعدها طنط ليلى ...عارفة ليه؟ ... علشان هي ست بتعاملك انتي واخوكي زي ولادها تمام.

– بص يا بابا ... أنا من انهارده لا هاعاملها وحش ولا حلو ...أنا مش عايزة أتعامل معاها أصلًا ...خليها تحب في شهاب زي ما هي عايزة ... وليك عليا إني مش هاضايقها بكلمة واحدة ....ماشي؟!

يتنهد الأب في يأس ... وينهض من مكانه في بطء متجهًا لباب الغرفة ناظرًا لابنته في ضيق شديد، ثم يلتفت بسرعة في عصبية وذعر نحو النافذة، حيث لمح ما أثار فزعه.

اتجه (حازم) للنافذة وأمعن النظر ليجد سيدة من ظهرها تتشح بالسواد من رأسها حتى قدميها، تسير في الدرب الذي يتخلل الحديقة وتمر من أمام حارس الأمن وتخرج من البوابة.

في هذه اللحظة يفتح (حازم) النافذة ويصرخ في حارس الأمن وينادیه بالاسم ليمسك هذه السيدة ويتحفظ عليها في حوار عن بعد بصوت عالٍ

- يا حسن ...حسن ... حسن.

- أيواا يا حازم بيه!!

- امسك الست دي ما تخليهاش تخرج؟!

- نعم؟!!

- وقفها باقولك.

- هي مين دي يا فندم؟! ست إيه؟!

-انت بتهزر بقى؟! اسمع اللي باقولك عليه ...الست هتمشي يا بني آدم!!

- ست مين يا حازم بيه ...أنا تحت أمرك!!

هنا أدرك (حازم) أن تماديه في الحديث ليس في صالحه، وانتابت جسمه قشعريرة غريبة تلازم المكتئبين وقت أن تداهمهم مخاوفهم وهواجسهم، وفهم أن الأمور ليست على ما يرام.

الغريب هو موقف (ملك) التي لم يدفعها فضولها أن تسأله عن أي سيدة يسأل؟ وكيف لم ينفذ رجل الأمن أمر والدها كوضع طبيعي؟!

خرج (حازم) مسرعًا من الغرفة، وما إن تأكدت (ملك) من مغادرته للغرفة حتى قامت من مكانها في شغف وقلق ثم وقفت أمام النافذة تنظر لها في حيرة وتعجب ...

يبدو أن اليوم فقط سيكون مختلفًا عن ذي قبل، فأسرار القصر المكنونة آن لها أن تخرج من حناياها الضيقة ودهاليزها المظلمة، حيث كان كابوس (حازم) حول سيدة الخلف ظل طوال السنوات الماضية حبيس رأسه ومنامه إلا أنه اليوم وفي هذه الليلة يطرق بابًا للخروج ...

وإذا كانت هواجس (عمار عطاوية) حول عائلة المراغي وقصرهم غريب الأطوار، وما رآه يوم جاء في زيارة مفاجئة أمرًا حبيس رأسه وأفكاره فهو اليوم وفي هذه الليلة، ربما يجد إجابة عن تساؤلاته وشكوكه.

وإذا اعتبرنا العلاقة الوطيدة جدًّا بين (حازم المراغي) وأسرته وبين الدكتور (حلاوة) بما يمتلكه من شخصية تدعو للدهشة والغرابة، سرًّا يحتاج لتعقبه والبحث خلفه، فاليوم وفي هذه الليلة ربما ينكشف ما يشوب هذه العلاقة من ضبابية.

ولكن ...

هل تحمل الساعات القادمة بالفعل حلًا لكل هذه الأسرار؟!

كيف ستكون تلك اللحظة التي ستتوالى فيها المفاجآت، وسط الاحتفال والبهجة والمرح والأجواء الدافئة؟!

أم أن عهد الأسرار والألغاز ما زال ممتدًّا، ولن يحدث بعد ما سيعكر صفو الحفل؟!

غربت الشمس ... وغاب معها إحساس (حازم) بالأمان،وبدأت صديقات «ملك» وأصدقاؤها في الوفود، وموسيقا الـ (دس جيه) تتعالى تدريجيًّا من الـ Soft إلى الـ Hard عربي وأجنبي وحديقة القصر تمتلئ بالمدعوين.

وفي غرفة (شهاب) جلست ليلى تهندم له ملابسه وتسرح له شعره في حنان، وتحاول امتصاص غضبه وشكواه.

– حبيبي ما تزعلش ده عيد ميلاد (أختك) الكبيرة ...وصحابها كلهم كبار مالهومش في القصر المطاط والفشار والساحر والحاجات دي، لما عملتلها كده السنة اللي فاتت قالت لي (أنا مش عيلة صغيرة) ... بس أوعدك إني هاعملك (بارتي) كده بدون مناسبة مع صحابك في المدرسة هاعملك فيه كل الـ (البروجرام) اللي انت بتحبه...خلاص.

– طب ليه عاملين عيد الميلاد بالليل ... وكل صحابي باروح عندهم الصبح ونلعب والشمس طالعة؟!!

– معلش ...ما هو برضه أختك وصحابها اللي عايزين كده ...وبرضه ما تنساش إن احنا عازمين كمان قرايبنا الكبار وصحاب بابا في الشغل، والكبار لازم يجوا بالليل ...ولا إيه؟!

– ماشي يا ماما ليلى ...

– يالا يا حبيبي ... انزل ليوسف وعلى صحابك..الدادة بتقولي انهم مستنيينك تحت من بدري.

انتظرت (ليلى) حتى ابتعد (شهاب) وأشارت للدادة أن تقترب وأوصتها بجدية:

– سامية ... ما تسيبيش (شهاب) ...مش لازم تلزقي فيه وتكرهيه في عيشته ...بس خلي عينك عليه طول الوقت من بعيد ...مفهوم؟

– مفهوم يا مدام ...ما تقلقيش.

خرجت الدادة سامية مسرعة خلف (شهاب)، واتجهت (ليلى) نحو النافذة تنظر لـ (ملك) وأصدقائها ومهرجان الرقص الغربي والعربي الذي أقامته فرقة (شمس نص الليل) في الحديقة، وملامح وجهها ثابتة لا توحي بشيء، كأنها تمثال شمع، ثم أدارت وجهها متوجهة نحو غرفتها لتكمل ارتداء بقية ملابسها وإكسسواراتها استعدادًا للحفل، فما تحمله (ليلى) من مشاعر اغتمام لا ينسيها أنها أنثى جميلة تجيد التأنق والتألق دائمًا.

امتلأت ساحة القصر وخارجه بسيارات المدعوين، وكان (حازم) وزوجته يتنقلون بينهم، متحدثين مع الجميع بالضحكات والأحاديث الجانبية، وخلال هذه اللحظات كانت (ليلى) تتلمس يد (حازم)، وأحيانًا تقبض على كف يده فلا تجدها إلا باردة توحي بالقلق، وربما ارتجفت بعض أصابعه بين راحتيها، وتساءلت بداخلها:

ما الذي يسبب لزوجها كل هذا القلق؟ وما الذي يشعره بالخوف وترقب حدوث أمر ما؟ ولماذا في هذا اليوم تحديدًا؟ ولماذا تشعر هي أيضًا بالخوف؟ هل انتقلت لها العدوى من إحساس زوجها به؟ أم أن نبضات قلب (شهاب) أيضًا حملت تلك الكهرباء والقشعريرة المزعجة وأحست بها (ليلى) وكف الصغير بين يديها؟ بل الأعجب أن عيني (ملك) بدت فيهما صرخات استغاثة صامتة من الأعماق وهي تنظر من النافذة متعقبة (الشبح) الذي ورد على خيال أبيها!!

عمومًا ... نجحت (ليلى) ومعها (حازم) في إخفاء خوفهما والتظاهر بالسعادة والبهجة أمام الحضور، ولعلها مهمة سهلة نسبيًّا خاصة قبل حضور (د. ناجي حلاوة) أما بعد أن دخلت سيارته الفارهة ونزل منها بهيبته المعتادة ولفت نظر جميع الحضور فالمهمة بدت أصعب.

فتح حسام السائق الباب للدكتور (حلاوة) ومن خلفه الفاتنة (نسرين العلمي) التي لا تقل كثيرًا عن نجوميته، واتجه (حازم) وزوجته بالخطوة

السريعة نحو السيارة لاستقبالهما وكان الترحاب والعناق معبرًا جدًّا عن مكانة الدكتور (ناجي) في العائلة، وبعيدًا عن نظرات الاستهجان من (عمار عطاوية) للمشهد وعدم ارتياحه لشخص الدكتور (ناجي) فإن جميع الحضور كانوا يعرفونه جيدًا بوصفه من المشاهير مجتمعيًّا، وأحد الأسماء الرنانة في الأوساط الإعلامية وبرامج الفضائيات.

أخيرًا بعد مصافحات ومراسم ترحاب طويلة جلس الدكتور (ناجي) في ركن مميز وعلى أهم طاولة في المكان، وبجانبه سكرتيرته الحسناء، وما إن اطمأنَّا في الجلوس حتى بادرها (د.ناجي):

- مالك؟!

- مفيش ... أنا كويسة.

- لا مش كويسة!!

- باقول لحضرتك أنا كويسة.

- حضرتك؟!!

- آه حضرتك.

طب افردي وشك علشان باين عليكي جدًّا إنك مش طبيعية.. ونبقى نتكلم براحتنا واحنا لوحدنا.

على الفور جلس (حازم) و(ليلى) على الطاولة مع ضيفهما، متبادلين الحديث والضحكات، وخلالها مال (حازم) على (د.ناجي) لإفراده بالحديث بحجة صوت (الدي جي) العالي هامسًا:

- كنت عايزك في موضوع مهم يا دكتور ... لو وقتك سمح بعد الحفلة.

- أوي أوي ... يسمح طبعًا ...بس خير يعني؟!

أشار (حازم) بوجهه ما يدل على عدم الارتياح، فربّت (د.ناجي) على يديه في حنان أبوي فائض، الأمر الذي لاحظته (ليلى) بطرف عينيها، ففهمت أن زوجها قد اعتراه القلق، وبدأ اللجوء للداعم النفسي الأول له في الحياة.

وفي إحدى جنبات حديقة القصر المترامية كانت أعداد المراهقين والمراهقات من أصدقاء (ملك) تتزايد كل دقيقة وتلتف حول الفرقة الموسيقية للرقص والمشاركة إلا بعضهم من الثنائيات التي قرّرت البحث عن ثنايا ودهاليز بعيدة لممارسة أي طقوس خارجة أو غير شرعية، فالقبلات السريعة وشرب بعض السجائر الملفوفة والمحشوة بأنواع جديدة من التبغ المختلف يبدو أمرًا يستحق الاختباء والتواري بعيدًا عن عيون الحضور.

وفي زاوية بعيدة خلف القصر، كان أربع فتيات وأربعة فتيان يتسللون إلى النقطة الأبعد في الحديقة والأكثر إظلامًا حتى يتسنى لهم إشعال لفافات التبغ، ثم البدء في ما تتطلبه الحالة الدماغية المصاحبة للموقف.

وأخيرًا.. اختاروا ركنًا يمثل الجدار الخلفي للقصر، والبعيد تمامًا عن أضواء الحفل، وعن صخب الموسيقى وعيون الحاضرين، بل عن الارتياد اليومي المعتاد من سكان القصر وخدمه، فالمكان لا يضم إلا غرفة جراج سيارات مغلقة بباب خشبي قديم محكم بسلسلة قديمة يكسوها الصدأ وخيوط العنكبوت، وبيت لـ (الكلب) المهجور منذ سنوات.

وخلال دقائق كان الشباب الثمانية في قمة الانسجام والتماهي مع الأجواء التي أدخلتهم فيها لفائف التبغ، وبدا المشهد العلوي للموقف في شكل ثنائيات، كلٌّ قد علم مكانه واتخذ وضعه الذي يراه مناسبًا.

وفي واحدة من هذه الثنائيات، واصل الشاب الولهان المولع بالمشاعر الفياضة طريقته الخاصة ـ مستغلًّا الظلام ـ في إذابة أعصاب صديقته، ومن ثم فك المعصوب وفتح المغلق، وفي ثوانٍ معدودة كانت استجابة الفتاة أسرع من توقعاته، واستوعب ذلك حين أحس بكفيها تتحسس ظهره، ثم بدأت في عناقه في ذات الثانية التي قرر أن يمسك فيها بكفِّ يدها ويقبلها، وحين فعل كانت (الصاعقة)!!

لم يكن ملمس كف يد الفتاة على شفتيه معتادًا أو طبيعيًّا بل بدا خشنًا ذا ندبات وقشور، مما جعله يرفع رأسه فورًا، لتتسمر عيناه لبرهة أمام وجهها!!

استفاق الكل من (أتموسفير) الهيام الجماعي على صرخة زميلهم المدوية، وارتمائه للخلف عدة أمتار خوفًا مما شاهد في المتاح من ضوء القمر.

- الكل: يحيى ...يحيى ...مالك يا بني فيه إيه؟!!

- سما ... سما!!

- مالها سما.. فيه إيه يا سما؟!

- سما: ما أعرفش ... لاقيته زقني جامد وراح مصرخ في وشي!!

أدرك (يحيى) أن ما رآه قد يبدو وهمًا، وأن تماديه في هذه الحالة ليس في صالحه أمام زملائه الذين اعتبروه موقفًا كوميديًّا وليد التأثر بصاروخ التبغ الملفوف، فأثارهم الضحك بمن فيهم (سما).

واستأنف الجميع ما كانوا عليه من ملاطفات ومداعبات استمرت لدقائق معدودة حتى ظهر ما لا يخفى على ذي عين، ولا تُخطئه الأبصار، حين وقفت شاخصة وسط تلك الثنائيات. إنها هي ...دون مواربة أو تقريب ... لم يستطع الظلام أن يخفي تفاصيلها كاملة، بل إن ضوء القمر مع ما تسرب من أضواء بعيدة رسم ملامحها المخيفة بما يكفي لكي يحفظها الشباب الثمانية عن ظهر قلب، ولا ينسوها أبدًا.

وبغض النظر عن ماراثون العدو الذي انطلق بعد أن شاهدوها، وبعيدًا عن سخرية زملائهم منهم، وفواصل (القلش) و(التحفيل) عليهم التي

استمرت طوال الحفل، فإن القرار الجماعي حول ما حدث اتفق على اعتبار ما رأوا مجرد دعابة من أحد الحاضرين للأطفال أو أصدقاء (ملك) ...وانتهى الأمر ودُفن في أرض الكتمان لا النسيان.

وليس ما حدث هو العجيب رغم غرابته، ولكن الأعجب هو أن ذلك الظهور المفاجئ لهذه السيدة السوداء حدث بنفس الطريقة مع (شهاب) وهو يلعب (الاستغماية) مع أصدقائه والدادة حين التفت للبحث عنهم بعد عد العشرة، ليجدها جالسة من خلفه، فلم يملك حيال ذلك إلا أن جحظت عيناه ووضع يديه على فيه وازدادت عقدته تعقيدًا، لدرجة أنه أصابه صمت مُطبِق وعَجَزَ عن وصف ما حدث للدادة أو لـ (ليلى).

مع اقتراب انتصاف الليل كان معظم الحضور قد غادر المكان واستعد الباقون للانصراف، وفي ذلك الوقت الذي احتشدت فيه سيارات المدعوين عند بوابة القصر لمغادرته، وقفت (ليلى) تتحدث لأعضاء الفرقة الموسيقية وتحاسبهم على مقابل أدائهم في الحفل.

ووقف (عمار) و(سلمى) يمازحان (ملك) وبعض صديقاتها، وانخرط (حازم) في حواره مع الدكتور (حلاوة) مستغلًّا انتهاء ضجيج الغناء وصخب الموسيقى.

وبعد نصف ساعة، خلت حديقة القصر من كل الضيوف، وبقيت أسرة حازم وأخته وزوجها، والدكتور (حلاوة) وسكرتيرته، في إشارة منه ومن حازم أنه ليس غريبًا، بل يعد أحد أفراد العائلة.

والذي أثار دهشة (عمار) بل استفزازه أن (د.حلاوة) رفع صوته مناديًا الجميع وطالبهم بالجلوس حوله:

- إيه يا جماعة واقفين بعيد ليه كده ... ده الحفلة خلصت ...قربوا كده خلينا نقعد مع بعض شوية.. بقالنا كتير ما اتجمعناش كده! اتفضلي يا (سلمى) .... تعالى جنبي يا (ملّوكة).

تضاعف استفزاز (عمار) من الدكتور (حلاوة) بعد أن وجه دعوته لزوجته شخصيًّا، دون أن يدعوه بالاسم، فهمس لها وهما في الطريق للاقتراب منه:

- ولما أقل أدبي وأخرج عن شعوري دلوقت يبقى كويس؟!

- ليه بس يا حبيبي ...اهدى ...ده قالها كده وبيعتبرني بنته ...انت هتقلق من واحد قد جدي!!

- آه ...ده بالذات أقلق .... راجل ملزق ومبالغ فيه!!

اقترب الجميع وجلسوا على طاولة الدكتور حلاوة، ولم ترُق لـ (عمار) تلك النظرة والابتسامة التي رماه بها وكأنها تقول له حرفيًّا: (هتندم على اللي قلته من شوية).

دار الحديث الضاحك على الطاولة، وتجاذبوا جميعًا أطراف الكلام والمزاح، وفجأة قطع الدكتور (حلاوة) هذا الحديث وفي اتجاه آخر موجهًا كلامه للطفل (شهاب) الذي بقي مصابًا بالذهول والصمت لائذًا بحضن زوجة أبيه (ليلى)، قال له دون مقدمات وبلغة مداعبة الأطفال:

- إزيك يا (شهاب) باشا ...إيه بقى خايف من إيه؟!

- شهاب: مش خايف!!

- د. حلاوة: ماله يا مدام ليلى ...هو زعلان من حاجة؟!

- ليلى: لا والله يا دكتور ...بس الظاهر حد من زمايله ضايقه بتهريج غلس فمزاجه متعكر شوية.

– د. حلاوة: لا بس ده وشه مخطوف.

– عمار: مخطوف؟! ...مخطوف إيه يا دكتور ... حضرتك كبرت القصة أوي بتقول لسعادتك صحابه ضايقوه.

(سلمى) تنغزه بيدها في ساقه من تحت الطاولة وتقول في حرج:

– سلمى: الدكتور يقصد إنه ممكن يبقى دايخ يا حبيبي أو مرهق م اللعب

– د.حلاوة: لا يا أستاذ عمار أنا ما كبرتش قصص ... ولو تسمح لي يا حازم أقول لهم اللي أنا قلتهولك وكنت لسه باكلمك فيه.

امتقع وجه (حازم) وبانت عليه علامات الارتباك في ثانية ثم أجاب:

– مش وقته يا دكتور ... انهارده عيد ميلاد ملك وأنا شايف إننا نتفق على معاد تاني نتجمع كلنا ونتكلم.

– ليلى: معاد؟! ... معاد إيه يا جماعة ...وكلام إيه؟! ...هو فيه إيه؟!

– نسرين: الدكتور ناجي يا مدام ليلى بيعتبر نفسه أب روحي ليكم والله ودايما بيقولي إنه بيحس بالراحة وهو وسطكم.

– ليلى: طبعًا ... الدكتور ناجي مش غريب ده أب لينا كلنا وده بيته ... بس أنا أقصد على حاجة تانية خالص يا آنسة نسرين ... إيه الموضوع اللي ممكن يربطنا كلنا ويعتبر مشكلة كبيرة أوي كده؟ وإيه علاقة شهاب بالقصة

دي؟ بعد إذنك يا دكتور ناجي ممكن توضح لنا أكتر.. بس ثانية واحدة.. شهاب يا حبيبي اطلع فوق مع الدادة علشان يدوبك تنام وترتاح بقى.

– شهاب: لا أنا مش عايز أنام ... أنا خايف بجد يا ماما ليلى.

–ليلى: خايف من إيه يا حبيبي؟ احنا بنتكلم في حاجة تانية ...وبعدين احنا جنبك أهو والدادة معاك ... يالا يا ملك اطلعي مع أخوكي علشان تناموا.

– ملك: أنا مش طالعة مع حد .... ومش هنام دلوقت!!

– سلمى (بنبرة عتاب): ملك! وبعدين؟!

– ملك: أنا مش صغيرة يا عمتو من فضلك ...وبعدين أنا عايزة اسمع (أنكل) ناجي هيقول إيه ... لأن فيه حاجات غريبة كتير بتحصل!!

– عمار: حاجات غريبة إزاي يعني ... فيه إيه يا جماعة؟! ليه محسسني إننا واقعين في أزمة ولا فيه مصيبة مستنيانا؟

– د.ناجي: مش أنا باكبر الأمور يا أستاذ عمار ... خلاص ...ما تاخدش في بالك وتقلق نفسك بحاجات حضرتك بس اللي مش حاسس بيها.

– ليلى: من فضلك يا دكتور ناجي ... أجلوا الكلام شوية صغيرة ... يا شهاب ...اطلع فوق يا حبيبي مع الدادة يالا علشان ما ازعلش منك ... قول حاجة يا حازم.

– حازم (بعصبية): شهاب ....يالا يا حبيبي ... اسمع الكلام ...مش عايز كلمة واحدة.

يخرج (شهاب) من حضن ليلى في استسلام ويسلم نفسه للدادة ويبتعد عنهم.

– ليلى: اتفضل يا دكتور ناجي عرفنا فيه إيه؟ بس من فضل حضرتك تتكلم بوضوح ومن غير رموز. فيه إيه؟! وإيه اللي بيحصل؟!

– د. ناجي: الأول قبل ما اتكلم ...كلامي هيتسمع ويتفهم صح ولا هيتاخد بمحمل السخرية والاستخفاف؟!

– عمار: باقوللك إيه يا دكتور ناجي أنا مـ ...

– حازم: عماااار!! من فضلك إحنا مش في مناظرة ... أرجوك لو سمحت ... انت مش حاسس بحاجة ... انت أصلًا بره الحدوتة دي خالص!

– د.حلاوة: لأ طبعا ....مين قال كده؟!

– حازم: يعني إيه الكلام ده؟!

– د. حلاوة: يعني عمار بيه لازم يقعد ويسمع الكلام ده لأنه يخصه جدًا

– عمار: يخصني إزاي يعني؟!

– د. حلاوة: أه تخصك ...انت بس اللي بتحب تخبي وتداري.

– سلمى: يخبي ويدارى؟! إيه الكلام ده يا دكتور ناجي؟!

– عمار: بس اهدى بس انت كمان ...انت هتسخني ... الدكتور ناجي متعود يبالغ في كل حاجة.

– د. حلاوة (بنبرة أكثر حدة): خليني ساكت يا عمار.

– عمار: لا اتكلم يا دكتور ...أتكلم.

– د. حلاوة: طب انت حكيت لحد أي حاجة عن اللي شفته هنا من سنة في القصر وفي الجنينة دي تحديدًا؟!

تسمرت ملامح وجه (عمار) ودخل خلال ثانية واحدة في شرود لحظي جعل مئات الأسئلة تعتمل في ذهنه ...من هذا الرجل؟! أنّى له أن يرى ما حدث له وحده منذ عام في هذا المكان ولم يكن هناك أحد يطلع عليه إلا الله؟!

– د. حلاوة (منتشيًا): طب بلاش حكيت لحد؟! تقدر تحكى لأي حد دلوقت ولا بعد شوية ولا في أي وقت عن اللي شفته؟!

لم تكن ملامح الاستسلام والقهر في عين (عمار) بنفس ملامح الاندهاش والحيرة والتشتت التي ارتسمت على وجوه جميع الحاضرين وبالأخص (سلمى) زوجته، وبالأحرى حين صمت (عمار) ولم يرد على السؤال، وحين انفجر د. حلاوة بالضحك ساخرًا ثم قال:

– الله يحظك يا عمار ...طب والله العظيم انت شخصية لذيذة.

– حازم: لا معلش ...ثانية واحدة يا دكتور ...حضرتك بتقول اللي عمار ما يقدرش يحكيه ده حصل هنا في البيت ده .... يبقى لازم أعرف ده إيه ... المسألة هنا مش اختيارية يا عمار ....هتقول يعني هتقول.

– عمار: جرى إيه يا حازم ...مش ملاحظ إنك معلي التون شوية وشادد السلخ عليا ... اهدى شوية ...فيه إيه؟!

- سلمى: عمار!!!

-عمار: انت مش شايفة أسلوبه.

- ليلى: يا جماعة ...يا جماعة فيه إيه ...ايه اللي جرى ...ده احنا عمرنا ما اتكلمنا كده مع بعض!!

- نسرين: يا جماعة أرجوكم تهدوا ... مش كده ...دكتور ناجي ممكن نخلي القعدة دي وقت تانى لأن طريقي لسه طويل وتعبانة مش قادرة أسوق

- د. حلاوة: أنا شايف كده برضه ...عمومًا كلنا مرهقين بما فيه الكفاية انهارده ... فياريت نتفق على موعد نقعد فيه ونتكلم..أنا في النهاية يا جماعة باعمل ده لصالحكم.. لأني باعتبر نفسي واحد منكم ...فأرجوكم ما حدش يزعل مني ... كل الحكاية إن فيه شوية حاجات لازم تظبطوها في أسلوب حياتكم، محتاجين تحققوا بيها نسبة معينة من الطاقة الإيجابية، وكله هيتظبط إن شاء الله.

صمت الجميع وكأنهم موافقون على ما اقترحه الدكتور حلاوة ... إلا أن (حازمًا) استدرك قائلًا بصوت متهدج مجهد:

- طب باقول إيه يا دكتور لو تسمحلي يعني...أناااا باقترح وده يسعدنا طبعًا ... بما إن الوقت اتأخر ...تخلي السواق يمشي وتباتوا معانا انهارده حضرتك والآنسة نسرين ... والبيت كبير والغرف كتير ...إيه رأي حضرتك؟!

- ليلى: آه والله فكرة جميلة يا دكتور وأهو بكره الجمعة أجازة للكل ... ونقضيه بكره مع بعض.

- نسرين (بهلع): لا لا لا مش ممكن ....أنا لازم أروح ... مستحيل أبات هنا.

أدرك الجميع مقصدها في أن البيت لم يعد مكانًا مريحًا، ويحمل من الأسرار ما يقلق راحة أصحابه، فماذا عن الغريب الذي سيبيت فيه؟!

عقَّب الدكتور (حلاوة) سريعًا على كلمات مديرة مكتبه، واعتذر بلطف لـ (حازم) و(ليلى) ثم توجه نحو سيارته وهو يشير للجميع مودعًا إياهم وقبل أن يدخل بجسده كاملًا صالون السيارة كانت نظرته المريبة الممزوجة بابتسامة صوب نافذة غرفة (شهاب) محط اندهاش كل من (عمار) و(ليلى)، فكلاهما لم يرتح لما قاله الدكتور (حلاوة) هذا المساء.

كان عرض المبيت قد لقي قبولًا واستحسانًا من (سلمى) خاصة بعد توسلات عديدة من ابنة أخيها (ملك)، أما (عمار) فوافق على مضض حيث بات مرتابًا وقلقًا إزاء كل ما يحدث في هذا القصر.

"هو المولد ده مش هينفض بقى..ده احنا طافحين الدم شغل وشقا وطبخ وتقديم طول اليوم.. هما إيه ما بيتعبوش".

قالتها الخادمة (فاطمة) لزميلتها بحنق شديد فور أن تلقت أوامر من (ليلى) بوصفها سيدة البيت بتجهيز غرفة لمبيت الضيوف، وهي تعلم جيدًا أنها لن تستريح بعد مجهود حفل عيد الميلاد الشاق، بل عليها أن تستعد ليوم لا يقل عنه شقاء، ربما تقام فيه حفلة شواء لـ (عمار) و(سلمى) أو ما نحو ذلك إكرامًا لهما.

كان الخدم يدركون أن القصر بات يمر بأجواء مريبة تبدو أحيانًا على وجه (حازم المراغي) وتصرفات زوجته، لكن مهما يكن تصورهم عن تلك الأجواء فإنها لن تمنع دهشتهم وتساؤلاتهم مما سمعوه وشاهدوه من مفارقات عجيبة في مكان أضحى ليس آمنًا.

دلف الجميع إلى غرفهم، وأغلقوها عليهم، بعد يوم طويل مفعم بالقلق والجهد، وسكن القصر، وخلا من الحركة والصخب، واكتسب ملمحًا مهيبًا راقيًا بفعل الإضاءات الجانبية على جنباته من الخارج، وفي بهوه وطرقاته ودهاليزه من الداخل.

كلٌّ في غرفته يحكي في سكرة النوم ما يختلج به صدره.. أو ينظر لسقف الغرفة ويسرح بخياله فيما حدث أو سيحدث خلال الساعات أو الأيام القادمة..

الآن لا يقظة.. الآن نام الجميع..

في هذه اللحظة يتعالى صوت السكون.. وهو صوت هناك من يسمعه ويألفه ويعي لغته وأسراره.

وبعد ساعة كاملة من الثبات والهدوء المرسوم على جدران وأعمدة وأبواب صامتة ومغلقة...ثمة آتٍ تتهادى خطواته في الظلام، يتحرك دون أن يفصح عن كنهه.. ثمة قادم من آخر نقطة مظلمة في (الكوريدور).

لعله حين يقترب من أول (أبليك) إضاءة جانبي تتبدى ملامحه..

ها هو يقترب، يسير بخطوات أقل من البطيئة كأنه طفل يتحدر في مشيته خوف أن يقع، ها هو سيدخل في نطاق إضاءة (الأبليك) لنعرف من يكون.. هل هو أحد ساكني هذه الغرف؟ هل هو أحد الخدم؟!

اقترب السائر في الظلام وقبل أن يبدو شاخصًا جليًّا في أول نقطة ضوء، انطفأ (الأبليك) ليزيد العتمة ويعقد اللغز، وكأنه يدرك عيونًا ترمقه أو يفهم مغزى مخاوفنا.

والأبشع من ذلك أنه عندما اقترب من (الأبليك) الذي بعده انطفأ أيضًا قبل أن يظهر منه ما يوحي بتفاصيله.. ولكنه سيضطر للإفصاح عن نفسه حينما ينتهي (الكوريدور) ويقرر الاختيار بين النزول لبهو القصر أو الصعود

للدور العلوي حيث غرفتا مبيت (عمار) و(سلمى) وغرفة ثالثة لم تُفتح منذ وفاة السيدة (بيريهان) كانت تعتبرها مرسمًا لها حيث تطل على مشهد كامل لحديقة القصر من أعلى نقطة فيه.

فالحركة سواء بالنزول أو الصعود تستلزم الاقتراب من نوافذ كبيرة تسمح بدخول ضوء القمر، ذلك الذي لا يطفئه سوى ربه.

وبالفعل وقف هذا السائر لحظات بين السُّلمين وكأنه يفكر، ولكن لم يظهر من كينونته ما يفصح عن هويته..

تبدو كما لو كانت سيدة ترتدي ثوبًا فضفاضًا أسود اللون ورأسها مغطى بطرحة سوداء، قدماها تطآن الأرض بثبات موح وبتأنٍّ غريب وفور أن وصلت إلى آخر درجات السلم قررت الالتفات السريع.. وكأنها أدركت وأحست أن هناك من يراقبها..

الأخطر والأكثر فزعًا.. أن هناك حقًّا من كان يرمقها من أعلى وربما تعالت صوت أنفاسه فسمعتها السيدة المجهولة.

لحظة كهذه، يختلط فيها الفهم بين الخائف والمخيف.. من أثار فزع الآخر؟ هل فزعت تلك السائرة في الظلام حين سمعت أنفاس من يراقبها من أعلى السلم؟! أم أن من يراقبها ارتعدت فرائصه فور أن التفتت بحزم ناظرة صوبه؟!

في كلتا الحالتين، أسفر الأمر عن فرار من يراقب في الدور العلوي وانطلاقه عدوًا نحو (الكوريدور) المظلم، خاصة حينما ركضت خلفه

(السيدة) وصعدت درجات السلم بسرعة تتناقض مع بداية ظهورها، ولكنها فشلت في إدراك من تطارده.

كانت (ملك) هي من تجرأت وتجاسرت وخرجت من غرفتها قلقة في ساعات الليل المتأخرة، وازداد قلقها حين لمحت من تسير في الظلام، واستطاعت بسرعة طفلة أن تعدو سريعًا لتلوذ بغرفتها مغلقة خلفها الباب بالمفتاح. فماذا عن تلك السائرة ليلًا؟! من تكون؟!

كان صوت أنفاس (ملك) عاليًا ومتسارعًا، مع دقات قلبها ونبضه المتلاحق، وهي قابعة في سريرها تحت الغطاء.

ها هي أنفاسها تتباطأ تدريجيًّا، ها هي تستعيد هدوءها، وبدأت تفكر في ماذا بعد، مقررة أن تبحث في تفريغ كاميرات القصر الداخلية مع الساعات الأولى للنهار لتعرف ما الذي حدث؟!

الآن عادت أنفاسها طبيعية، وزال الخوف تقريبًا..

الآن فقط يمكنها أن ترفع الغطاء عن وجهها الذي يتصبب عرقًا.

وفي الثانية التي رفعت عن وجهها الغطاء حدث ما لم يكن في الحسبان.. حيث كان وجه سيدة الظلام التي هربت منها شاخصًا أمام وجهها، فتعالت صرخاتٌ لـ (ملك) أيقظت كل من في القصر حتى الخدم.

كانت أجواء الموسيقى الخفيفة وضوء (الأباجورات) المحيط بالفراش مناخًا مناسبًا جدًّا ليصالح (د. حلاوة) سكرتيرته الحسناء خلال لحظات حميمية جعلتها تغط مستمتعة بنوم عميق على صدره العاري، وكلاهما في حالة استرخاء تام، لكنه مستيقظ ينفث دخان سيجارته ويفكر في شيء ما.

ذلك المشهد الكلاسيكي الذي يحتاج إليه كثيرًا مخرجو السينما ليعبروا به دون إثارة وابتذال عن أن ثمة علاقة حميمية حدثت بين رجل وامرأة.

لكن وجه الدكتور (حلاوة) كان يعكس مدى تعقيد ما يفكر فيه، وحجم الحيرة التي يشعر بها، وكأنه بصدد حل لغز كبير يحتاج إلى كل طاقاته الذهنية. وقد بدا ذلك واضحًا حينما رفع ذراع (نسرين) المتعلقة برقبته وقرر فجأة النهوض من الفراش والتجول في الغرفة مستمرًّا في نفث دخان السيجارة بتوتر، إلى أن توجه للمرآة واستقر أمامها لمدة دقيقة ناظرًا إلى نفسه وكأنه يحدثها، ولم ينطق إلا بعبارة واحدة:

"سعاد.. سعاد تاني.. يا ترى مين اللي فتح الباب.. واتفتح إمتى؟!"

على الجانب الآخر.. في قصر المراغي، وفي نفس تلك اللحظات كانت المداولات والحكايات تملأ غرفة (ملك)، حيث التف حولها أبوها و(ليلى) و(سلمى) و(عمار) والدادة (فاطمة) التي كانت تنام بجانب (شهاب) بناء على رغبته وأمر من (ليلى).

هرع الجميع نحوها وبادروها بالأسئلة المتلاحقة المصحوبة بحالة فزع، وهي منخرطة في البكاء الهستيري دون رد.

متى يدرك البشر أن الخائف والمفزوع لا يملك من المنطق أو الحكمة ما يُمكِّنه من الرد على أسئلة سفسطائية وغبية في ذلك الوقت من عينة: "احكيلنا بالظبط شفتي إيه..انطقي!"

ولولا تدخل (عمار) لواصل (حازم) وأخته وزوجته أسئلة وعبارات تزيد الطين بلة وتدخل (ملك) في دوامات هلع متزايدة، فنهر الجميع فجأة قائلًا:

- يا جمااااعة...يا جمااااعة حرام عليكم...البنت تهدى الأول وبعدين نسألها..انتوا مش شايفين حالتها... البنت مش عارف تنطق وعمالة تتشحتف.. جرى إيه يا سلمى؟!

- سلمى: فيه إيه يا عمااار.. بتزعق ليه؟!!

- حازم: من فضلك تسكت خالص..انت مش هتخاف على بنتي أكتر مني... أنا لازم أعرف حالًا شافت إيه علشان ممكن يبقى فيه حرامي في البيت وبيتحرك فيه واحنا مش حاسين.

هنا.. توقفت (ملك) سريعًا عن البكاء، وخرجت من حضن (ليلى) والتفتت نحو والدها جاحظة العينين، محركة إصبعها السبابة علامة على النفي.

فتسمر وجوه الجميع وارتعدت فرائص (حازم)، وكأنه يتوقع مزيدًا من الغرائب التي غادرت عالم أحلامه وكوابيسه، وبدأت تخرج لواقعه وحياته، فرد عليها بصعوبة وببطء قائلًا:

- يعني إيه يا بنت؟! أومال إيه؟!

قبل أن تعطي (ملك) أي رد فعل، كانت صرخة (شهاب) واستغاثته كضربة أفقدت الجميع اتزانهم، فنهضوا في حالة هلع صوب غرفة (شهاب) الذي وجدوه في حالة إغماء على فراشه والغطاء ملقى في آخر جنبات الغرفة.

أيُّ ليلٍ هذا؟!

اندفعت (ليلى) و(سلمى) نحوه لاحتضانه ومحاولة إفاقته، ولم تسلم الدادة (فاطمة) من الشتائم والتوبيخ لأنها تركته وحيدًا، فردت وصوتها بصعوبة يخرج:

– طب أعمل إيه يا ست ليلى؟! أنا صحيت على صوت ملك بتصرخ ما قدرتش ما اشوفهاش ولا أعرف فيها إيه!!

– ليلى: طب غوري..غوري من وشي..روحي نامي في أودتك.. مش عايزة من وشك حاجة.

غادرت (فاطمة) الغرفة وهي تبكي منهارة مما حدث ومما تلقته من تعنيف وتوبيخ، واتجهت نحو غرفتها في الدور السفلي وهي تدرك تمامًا أنها أصعب مهمة ستقوم بها في حياتها، فكيف لها أن تخرج وحدها وتسير في (الكوريدور) ثم تنزل على السلم وتقطع البهو وتدخل المطبخ ومن بابه الخلفي صوب غرف الخدم والطباخين، وهي لا تستوعب كيف أن كل ما حدث حدث وما زالت الساعة لم تتعد الثالثة فجرًا؟!!

استجمعت (فاطمة) شجاعتها وأسرعت في خطاها علَّها تجد نفسها سريعًا على فراشها وبجانب زميلتها في الغرفة محتمية بقربها ما تبقى من ساعات الليل.

لكن جرت العادة وجرى عرف الخوف وقانونه في هذه الدنيا أن الخائف ينادي فزاعته، ويجذبها جذبًا نحوه من مجرد قشعريرته أو أنينه الداخلي وارتجاف أطرافه، فيصبح صيدًا سمينًا وفريسة سهلة لموجات عنيفة ومتتالية من كابوس حائر لا يعرف أين أو كيف يتحرك.

طفقت الدادة (فاطمة) تسير مسرعة بمحاذاة الجدار وبهدوء متجهة إلى السلم، لكن هناك ما أجبرها على التوقف فجأة، حين سمعت همسًا يناديها بوضوح بصوت أجهز على كل ما تبقى لديها من ثبات:

- بت يا فاطمة..

هي الآن لم تعد تتحرك بموجب العقل، وإنما بموجب غريزتها التي تجبرها حين تسمع من ينادي اسمها أن تلتفت نحوه، وكانت الالتفاتة التي جعلتها تندم على ذلك اليوم الذي خرجت فيه للدنيا.

..وماذا عساها أن تفعل حيال رجل عجوز يناديها هامسًا من آخر (الكوريدور)؟!

ومما ضاعف الرهبة أن من ينادي كان جد الأولاد (ملك) و(شهاب) وأبا (حازم)، كبير العائلة (توفيق المراغي) والأكثر ذعرًا أن زوجته السيدة (جميلة المراغي) - وهي سليلة العائلة أيضًا - كانت بجانبه ملء البصر.

المثير للفزع أن (فاطمة) رأت بعيني رأسها الرجل وزوجته في حياتهما وتعرفهما جيدًا، وعليها الآن بعد كل ما سمعت ورأت أن تتحدث مع أموات غادروا العالم منذ سنوات.

فقدت على فورها قدرتها على التماسك، وانطلقت بسرعة الصاروخ نحو غرف الخدم وهي تشعر كأنها تسقط في بئر سحيقة، والنصف السفلي من ملابسها قد اعتراه البلل.

ماذا حدث؟! كيف ذاب وتلاشى ذلك الفاصل بين الأزمنة والعوالم الخفية؟ كيف أصبح لزامًا على جميع سكان القصر التعامل مع فئة (الأشباح) التي كانوا يسمعون عنها فقط في أفلام الرعب ورواياته؟!

الآن الكل مستيقظ.. ما بين غرفة ملك في الدور العلوي وغرفة (فاطمة) والخادمات في الدور السفلي.

العقول يقظة.. لكنها عصية على فهم كنه ما يجري ويدور من غرائب مفزعة ومتلاحقة. والألسنة عاجزة عن الكلام أو مجرد التعليق على ما يحدث.

هذا عما يحدث داخل القصر.. أما خارجه، والفجر قد لاح، وبدا خيط من ضوئه يدافع ظلمة السماء، فقد رصدت كاميرات الحديقة فيما بعد وفي هذا التوقيت سيدة تتشح بملابس سوداء وطرحة سوداء تسير وحدها في تؤدة وهدوء متجهة نحو البوابة لتغادر القصر، معلنة نهاية تلك الليلة العصيبة.

وعلى الجانب البعيد، كانت ملامح وجه (د. حلاوة) وهو مستلقٍ على فراشه والغرفة معتمة تؤكد لكل ذي عينين حين يراه أنه قابع في أعماق النوم، ولكن ماذا لو فتح هذا النائم بعمق عينيه فجأة دون تدرج ونطق بعبارة غير مفهومة بمنتهى الصرامة قائلاً:

- لأ...حمزة لأ..حمزة لأ...!!

من يكون (حمزة)؟! من يكون حتى يوقظ أيقونة شر مثل (ناجي نصر حلاوة) مفزوعًا من نومه؟!

وماذا في وسعه أن يفعل في المشهد فيغيره، ومن ثم يسبب إزعاجًا لـ (ناجي)؟!

إنه (حمزة المراغي).. ابن الشيخ موسى ووريثه وحامل عهده.. حينما أنجبه والده أسماه (حمزة) وهو يعرف مضمون الاسم ومدى قوة جرسه على الشياطين وأصحاب النفوس الشريرة، أسماه على اسم عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لعله يحظ بنفحاته عبر القرون فتدب في نفسه روح البطولة وجسارة الحق.

ورغم أن (حمزة) هو ابن عم (حازم) وكلاهما سلسال عائلة المراغي فإن ثمة اختلافات كبيرة وجذرية بينهما في الشخصية وأسلوب الحياة..

وليكن... فماذا يملك حتى يعمل له (ناجي) ألف حساب؟!

في أحد أحياء القاهرة القديمة، وبداخل منزل يعتريه الدفء، وتغطي جدرانه السكينة، انبعث من شقة (حمزة المراغي) وأسرته صوت الأثير على موجات إذاعة القرآن الكريم، الذي لا يتوقف ليل نهار من الراديو القديم الموجود في المطبخ، حتى أصبح على مدار اليوم خلفية صوتية للحياة اليومية، لأسرة حمزة المراغي.

تلك الأسرة متوسطة الحال التي تستمد ثباتها وقوتها من تجلد شخصية (حمزة) وإيمانه وقوته.. الرجل الأربعيني.. الشيخ الأزهري الوسيم غير الملتحي، الذي يقوم بالتدريس في الجامعة بكلية الشريعة، وقد ورث المشيخة وعلوم الدين عن والده الشيخ (موسى المراغي)، شيخ الزاوية المحبوب والمعروف بمنطقة (اللبان) في الإسكندرية، والذي كان موضع ثقة جميع أهل الحي وحبهم، فهو إمام المسجد، وصاحب الفتوى، وموطن شكاوى المكلومين والفقراء، فضلًا عن سابقة له لم ينسها أهل الحي، خلعت عليه قداسة وهيبة، تتعلق بحادثة شفاء أحد الشباب على يديه، وعودته للحياة

بعد أن كان مغمومًا مكتئبًا لا يشعر بطعم حياة هي والموت سواء، فاحتجزه الشيخ لمدة أسبوع في بيته داخل غرفة لا يدخل فيها عليه سواه يضع له الطعام ويرقيه، مقاومًا صمته وانفعالاته المريبة ونظراته المخيفة، وصرخاته غير المبررة، حتى أعاده لأهله في اليوم السابع يافعًا نضرًا ممتلئًا بالحياة.

ورث (حمزة) عن والده تلك المزية، ومعها السبحة الخشبية، وتلك النفحة النورانية التي تمكنه من التصدي لحالات مشابهة، يقصده فيها الأقارب والجيران والأصدقاء، دون أن يتقاضى أي مال مقابل ذلك، أو يمتهن ويحترف الاحتيال على الناس من خلال تلك الرقية الشرعية التي حفظها واستقاها عن والده الملهم.

لكن ماذا كانت علاقة (حمزة) بابن عمه (حازم)؟! ...هل كان يحبه أم يكرهه؟! وهل تسمح مساحة الود بينهما أن يلجأ له في حالة غريبة وشاذة كتلك التي ظهرت وتفجرت في أركان قصره؟!

في تمام السابعة صباحًا جلس (حمزة) على مائدة الطعام ليتناول الإفطار الشعبي الكامل المتكامل مع زوجته وأولاده، فهو وجبة مقدسة لدى البيت الذي لا ينام بعد صلاة الفجر.

- (رباب) زوجة حمزة: كلي يا بت يا فاطمة إبدئي بالبيضة بتاعتك وما تسيبيهاش للآخر.. واللا لازم أزعق؟!!

– البنت: حاضر يا ماما ... اشمعنى بابا ما بتقوليلوش ياكل البيضة الأول؟!!

– حمزة ضاحكًا ومقبِّلًا وجهها: يا كلبة يا صغننة.. أنا خلاص كبرت.. انت لسه صغيرة.. لازم تعملي مفاوضات علشان تاكلي؟!

– رباب: آه طبعًا ...وتريحنا إزاي؟! ... الوراثة عاملة عمايلها!!

– حمزة: نعم!!

– رباب: لا ولا حاجة يا أخويا.. خد عيش.

يقطع مناخ الود والألفة صوت جرس الموبايل ليثير دهشة الجميع، فهم يدركون جيدًا أن قلة قليلة مثلهم هي من تستيقظ في هذا الوقت لبدء اليوم.

– رباب: انت مستني تليفون من حد؟!

– حمزة: لا خالص.

– رباب: خير ... إنت أول مرة تسيبه مفتوح ...دايما بتبات قافله!!

– حمزة: إيه المشكلة طيب ...عادي يا ستي ... هو مفيش ناس ولا بشر بتصحى دلوقت ...تلاقيه حد م الجامعة ... قوم يا علي هاتلي التليفون والنبي.

يرد (حمزة) على الموبايل بثقة وبلا أدنى قلق:

– السلام عليكم.

- وعليكم السلام ... إزي حضرتك يا فندم.

- أهلا وسهلًا مين حضرتِك؟

في هذه اللحظة تتسع أذن (رباب) محاولة التركيز أكثر بمجرد أن تهادى إلى مسامعها أن المتحدث صوت نسائي.

- مع حضرتك مدام ليلى حرم حازم المراغي.

- حازم المراغي؟!!!

- إيه يا أستاذ حمزة.. حضرتك نسيت الاسم ولا إيه؟ مش انت ابن عمه برضه؟!

- دكتور من فضلِك!

- (بتحفظ): دكتور حمزة ...أنا آسفة!!

- أيوا ماله الباشمهندس حازم ... لعله بخير!

- الحمد لله بخير ... بس هو مش عارف إني باتصل بحضرتك.

- أفندم؟!

- هاشرح لحضرتك القصة.. بس مش هينفع في التليفون..وسامحني مش هينفع وحضرتك متحفزلي بالمنظر ده!!

- أستغفر الله ... ليه بس..أنا مش متحفز ولا حاجة يا فندم.. أنا باسمع حضرتك أهو.

– لا واضح إن حضرتك مش مرحب بالمكالمة إطلاقًا ...بس عمومًا ... أنا ما قداميش حل تاني غير إني أكلمك واستعين بيك في المشكلة دي.

– مشكلة ليه بس ...ربنا ما يجيب مشاكل ...عمومًا أنا باعتذر لحضرتك لو كنت ضايقتك بأي رد.

تتغير ملامح وجه (رباب) فور أن سمعت كلمات الاعتذار والملاطفة من زوجها، وبدأت تشير له هامسة أن ينتهي فورًا من المكالمة، محركة شفتيها وكأنها تقول بلا صوت: خلَص بقى!!

– لا أبدًا يا شيخ حمزة...أأأ قصدي يا دكتور حمزة.. العفو ... مفيش حاجة.. بس أرجو من حضرتك حاجتين ...أولًا: يا ريت نتقابل بأسرع وقت، ثانيًا: يا ريت ما حدش يعرف إني طلبتك وبالذات حازم جوزي.

–اطمني يا مدام ...أنا مش مسجل نمرته أصلًا.

انتهي (حمزة) من المكالمة، وشرع في استكمال طعامه، ولم يوقفه إلا صرخة زوجته بعصبية:

– يا سلاااام ...المفروض بقى إني أكمل أكل زي العبيطة من غير ما تقولي مين اللي كان بيكلمك وكانت عايزاك في إيه؟! وهو أنا لازم أسألك يعني ...ولو ما سألتش عمرك ما هتقول لوحدك!!

– فيه إيه يا رباب؟! هدوء شوية مش كده!

- ما انت تعصَب الصراحة.

- يا ستي أكيد هاحكيلك ...طبعا هاحكيلك ...بس انت شايفة إن ده جو مناسب.

مشيرًا بغمزة عين أن حضور الأولاد قد يعوقه عن ذلك، فابتلعتها (رباب) وقررت أن تصبر إلى أن ينتهي الجميع من إفطاره ويدخل (حمزة) غرفته، مهرولة، دلفت (رباب) الغرفة خلفه وأغلقت الباب، ووقفت تنظر له واضعة يديها في خصرها:

- اتفضل أدينا بقينا لوحدينا ...عايزة أعرف فيه إيه؟!

- دي يا ستي واحدة ابنها طالب عندنا في الكلية وكانت محتاجة تستأذني إنه يجـ..

- حمزة...

- نعم!!

- عيب على سنك تكدب!!

- انت اتهطلتي في نافوخك..مين ده اللي بيكدب؟!!

- ما هي دي مش الحقيقة ... وربنا لو ما قلتش الست دي مين وكانت عايزاك في إيه لآخد الولاد وأروح عند أمي!!

- حافظاهم من أنهي مسلسل بقى البقين دول؟!

- مسلسل؟!! ...ماشي يا حمزة... يبقى فيه حاجة انت مخبيها... لأني سمعتك بتقول حازم المراغي ...مش حازم ده برضه يبقى قريبك؟!

- يا بنتي اهدي ...آه حازم ده يبقى ابن عمي ... بس من زمان مفيش اتصال بيني وبينه ...ولا باشوفه ولا أعرف فين أراضيه.

- طب ودي مين؟

- دي مراته ... كانت عايزاني في موضوع يخصه بس مش عايزاه يعرف... شكلهم كده واقعين في مشكلة كبيرة.

- واشمعنى اختارتك انت؟! انت مش بتقول إنك ما تعرفوش ولا بتشوفوا بعض... وليه مش عايزاه يعرف إن شاء الله؟!

- رباب ...اصطبحي بقى وقولي يا صبح.. أنا زيك ما اعرفش حاجة لسه... والست مش عايزة تحكي حاجة إلا أما تشوفني.

- يبقى هاجي معاك.

- رباب ... باقولك إيه ... روحي اعملي لي شاي.

رغم أن (حمزة) يتذكر ويعرف جيدًا من يكون (حازم المراغي) فإنه لا يستطيع إيقاف طوفان الأسئلة التي يمكن أن تجعل زوجته بعد كل هذه

السنوات من القطيعة بينهما تتواصل معه، وتستعين به لحل مشكلة ما يمر بها زوجها.

ولأن صورة (حازم) لدى (حمزة) يشوبها الكثير من التشويش والفهم الخاطئ، فهي تنحصر في ذلك الرجل الثري الذي يعيش بلا قيم ولا أخلاق هو وأبناؤه، وينعم بملذات الحياة، لذلك لم يره (حمزة) منذ أن كانا طفلين، إلا مرة واحدة كانت منذ سنوات في عزاء زوجته (بيريهان)، ولم يتحدثا مطلقًا في هذا اليوم، بل إن (حازمًا) سلم عليه وأخذ منه العزاء في الصوان دون أن يعرف من هو.

كوَّن (حمزة) الكثير من هذه الصورة المشوشة عبر حكايات أخيه الأكبر (حسن) الذي توفي وهو يكره جميع أبناء عمه، رغم أن والده الشيخ (موسى) كان يوصيهم على ألا يقطعوا رحمهم مع أبناء أخيه (توفيق)، وأن ثراءهم وكونهم أصحاب ثروة طائلة، قدر مكتوب من الله فعليهم تقبله برضا وتسليم.

تذكر (حمزة) كلمات والده (موسى) عن أبناء أخيه وعن صلة الرحم، ولم يلتفت لميراث الضغينة الذي ملأ به أخوه (حسن) صدره، فلعل السبب في ذلك رغبة دفينة في قلب (حسن) منذ الطفولة ولبى نداءها يومًا فذهب لابنة عمه (سلمى) ليطلب منها الزواج فأبت، ورفضت رفضًا فيه مسحة تعالٍ، ربما لأن أسلوب حياة أبناء (توفيق) يختلف عن نظيره عند أبناء (موسى)، رغم أن كلا الأخوين شيخ أزهري معمم.

كان (توفيق) يميل إلى التحرر والانفتاح الثقافي والفكري في أفكاره وكلامه وحتى ملابسه، واختياراته في صداقاته وعلاقاته بالناس، بعكس أخيه (موسى) الذي بقي على هيئته وسمت مشايخ الأزهر وأسلوب حياتهم دون أدنى تغيير حتى وفاته.

ولكن ...

ثمة أشياء عديدة وألغاز دفينة، تملأ حياة الشيخين، ربما تحمل إجابات على أسئلة بدأت تظهر لجيل الأبناء، ويدفعون ثمنها من راحة بالهم وسلامهم النفسي.

هذا ما دار في خلد وخاطر (حمزة) حين قرر أن يذهب لموعد زوجة (حازم) ويقابلها، ولكن قبل ذلك اندفع وهو يسترجع شريط ذكريات حياة عمه (توفيق) مع والده (موسى)، نحو دولابه الخاص الذي يحتفظ فيه بأوراقه الثمينة وملفاته المهمة، وفتحه وسط دهشة وريبة زوجته، وبدأ يقلب في صورهما معًا وخطاباتهما بعضهما البعض خلال فترة سفر عمه (توفيق) خارج مصر، حتى عثر على صورة عتيقة أطرافها متآكلة، أثارت حيرته وأجبرته على الاحتفاظ بها في محفظته.

هذه الصورة كانت لأربعة أشخاص يقفون شبه متلاصقين، أولهم أبوه مبتسمًا بزيه الأزهري وبجانبه عمه وهو يلف ذراعه على خصر امرأة عشرينية فائقة الجمال لا يتلاءم (إستايل) ملابسها مع هيبة والده وصرامته ولا عمه

أيضًا، والرابع شاب وسيم أشقر كأنه أجنبي، أغرب ما فيه هو أنه بدا مقتربًا لحد الالتصاق بالشابة الجميلة التي يضع عمه ذراعه حول وسطها، فكيف يتقبل عمه وضعًا كهذا؟! وما الذي دفع والده لالتقاط صورة مع امرأة لا تتلاءم مع نمط تفكيره؟!

هذه الصورة يرجع عمرها إلى عام ١٩٤٩ حيث كُتب عليها بالحبر الأسود وبخط (توفيق)، التاريخ وسطر تعريفي بمن فيها:

(عام ١٩٤٩ الإسكندرية – كورنيش الشاطبي – من اليمين: أخي الشيخ موسى المراغي – أنا – حبيبة الروح والقلب سُعاد غمراوي – الصديق العزيز ناجي نصر حلاوة).

في صمت مريب يملؤه الشك والتربص، دخلت (سلمى) ومعها زوجها (عمار) باب شقتهما، وعلى كل منهما علامات الامتعاض، فلا يحتاج صاحب فراسة أن يدرك حين يراهما أنهما في الدرجة القصوى من الشجار والخلافات الزوجية.

اتجهت (سلمى) إلى غرفة النوم مسرعة، بينما فضَّل (عمار) الجلوس في أول مقعد في الصالة قابله بعد باب الشقة، حيث ألقى مفاتيح السيارة أمامه بعصبية وارتمى على المقعد الوثير واضعًا يده على رأسه، متنهدًا تنهيدة توتر مشوبة بقليل من الارتياح لأن زوجته قررت منحه هدنة حين دخلت غرفتها وأغلقت الباب، لكن ظنونه خابت حين فوجئ بها تفتح الباب بانفعال شديد متجهة نحوه ومبادرة بسؤال كررته ولم تمل من تكراره عشرات المرات وهما في الطريق داخل السيارة، فلا هي كفَّت عن السؤال ولا هو أجاب عنه.

- بص يا عمار... قسمًا عظمًا ...إذا ما رديتش على سؤالي بجواب أفهمه ويقنعني ... أنا هاسيبلك البيت وأمشي ... للمرة الأخيرة ...أنا عايزة أعرف إيه اللي مخبيه ومش عايز تقوله والدكتور ناجي عارفه؟!!

- سلمى يا حبيبتي ...اقعدي ...ممكن تقعدي؟

- مش هاقعد ...ماليكش دعوة بيا ...أنا عايزة أقف ... من فضلك جاوب!

- اقعدي باقوللك.. مش هاتكلم وانتي واقفة لي كده!!

- ماشي ...أديني قعدت.. اتفضل!!

ما قرر أن يحكيه (عمار) لزوجته، كان أمرًا يؤرقه منذ فترة طويلة حين أضمر ذلك السر وحده، حتى أنه تعجب من القدر الذي اختاره ليرى ما رأى، وهو مطالب بما رأى أن يحافظ على اتزانه العقلي وثباته النفسي والاجتماعي مع من حوله.

الغريب أن ذلك السر كان - ولا يزال - مصدر قلق وذعر لـ (عمار) ولم يجد له تفسيرًا حتى الآن، ولكنه قرر تحت هذا الضغط والإلحاح أن يحكي ما رأى.. لعل تلك الحيرة قد تخبو نارها حين تتوزع على اثنين.

حكا (عمار) بصوت متهدج وحلق جاف ما رآه يوم أن ذهب لفيلا (حازم المراغي) ليعطيه أوراقًا رسمية خاصة بـ (سلمى)، أنه بمجرد أن دخلت سيارته محيط القصر وقبل أن يغلق الأمن البوابات الإلكترونية، لمح امرأة جميلة شعرها كستنائي، متأنقة في ملابسها (الكاجوال) الرقيقة تقف على أعلى قمة في سطح القصر، وكأنها تراقب من يدخل، فأمعن النظر بها،

فازدادت ريبته حين وجدها تشير له بعلامة الترحاب، فمنع نفسه أن يسأل الأمن عما يرى، وتقدمت عجلات سيارته بشكل طبيعي، واقترب أكثر ليدقق النظر في كنه هذه المرأة، التي بادلته النظر وكأنها تقرأ ريبته.

إلى هذه اللحظة لم يخرج (عمار) عن هدوئه الداخلي، ظانًّا أن هذه المرأة إحدى ضيوف (ليلى) أو أيٍّ من سكان القصر، فتجاهل الأمر وتقدم بسيارته عبر الممر الذي يحيط بالحديقة متجها نحو مدخل البيت، ثم خرج من سيارته ودفعه فضوله فرفع عينيه إلى أعلى القصر، فلم يجد المرأة في مكانها، وإذ به يجدها تبتسم له عبر زجاج المقعد الخلفي داخل سيارته.

انتفض (عمار) للخلف، وبدأ يتصبب عرقًا ويتراجع للخلف، وهو يواصل النظر بدهشة ورَهَق لتلك الجميلة رائعة العينين التي تجلس في سيارته ولا تبدل ابتسامتها الثابتة المخيفة، ورغم أن هذا الموقف لم تتجاوز مدته العشر ثوانٍ فإن (عمارًا) لم ينس تلك الملامح ولا هذه التفاصيل، ولا هذا الموقف الغريب الذي لم يخرجه منه إلا ندهة الدادة (فاطمة) له:

- أهلًا يا أستاذ عمار.. اتفضل.

نظر لها (عمار) بهلع شديد، ثم أعاد النظر للسيارة ليجد المرأة بنفس الابتسامة، فأشار إلى الدادة (فاطمة) بيده أن: تعالي، فاقتربت منه ليسألها:

- مين الست دي يا دادة فاط...؟

وعلى غرار أفلام الرعب لم يجد (عمار) السيدة التي كانت تجلس داخل سيارته، خلع نظارته وفرك عينيه ولا جديد، فلم يجد بُدًّا من أن يتماسك أمام الدادة (فاطمة) ويدعي الثبات أمامها، خاصة حينما وجد خلف ملامح وجهها بوادر ابتسامة سخرية.

أعطاها الظرف بجدية وهدوء ثم فتح باب السيارة الخلفي وقال لها:

- اركبي يا دادة هنا.

- نعم؟!

- اركبي من فضلك؟!آآآآ ما تخافيش مش هاخدك في حتة..أنا عايز أجرب حاجة في الكنبة اللي ورا..اقعدي بس..

- حاضر يا فندم!!

- تمام..خلاص..شكرًا.

يبدو أن الدادة (فاطمة) كانت قد بدأت تتمرس وتتفهم هذه السلوكيات الغريبة من معاشرتها أفراد عائلة (حازم) خاصة في الآونة الأخيرة، مما حد كثيرًا من اندهاشها.

انتهى (عمار) من حكايته لزوجته منتظرًا منها أن تحمل من الهلع ما يتواءم مع ما سمعت، لكن نظرة استنكار وتكذيب بادرته بها (سلمى) قائلة:

- وانت بقى مستني إني أصدق الهبل ده!!

– باقولك ايه يا سلمى... أنا حكيتلك اللي حصل.. اللي حكيته ده بقى يتصدق ما يتصدقش..داخل دماغك مش داخل مش قصتي.. أنا قلت اللي عندى وجاوبت على سؤالك.

– يعني إيه يعني؟!عفريتة مثلًا؟!

– وبتقوليها وانت مستغربة أوي كده ليه؟!على أساس إن اللي شفناه في الليلة السودا اللي بتناها عند أخوكي كان طبيعي.. لما أخوكي يسأل (ملك) شفتي إيه وهي ما تعرفش تجاوبه بس تنفي إنها شافت حرامي، وبعد كده تجيلها حالة نفسية والدكتور يقول عندها صدمة عصبية..ده طبيعي؟!! الكلام الغريب والألغاز اللي الدكتور ناجي زفت البرك قالها بعد ما الحفلة خلصت ده طبيعي.. إنه يعرف أساسًا الموقف اللي حكيتهولك ده وانا متأكد إن ما حدش كان موجود غير...

– إيه؟!سكتت ليه؟! تقصد فاطمة يعني قالتله؟!

– فكرت في ده..بس فاطمة إيه اللي ممكن يدور بينها وبين الدكتور حوار وهتحكيله ليه يعني.. ولا ليه لأ؟!مش يمكن مجند الست دي لصالحه علشان تنقل له كل حاجة بتحصل في بيت أخوكي.

– أيواا ليه..علشان إيه؟!هو هيعوز إيه من (حازم) ولا بيته؟!

– يا ستي وحياة ربنا الراجل ده مش زى ما انتو فاكرينه.. راجل صالح وبتاع ربنا.. ومكشوف عنه الحجاب والهبل ده.. الراجل ده عايز حاجة من

أخوكي هي إيه أنا ما اعرفش..بس ارتباطه بيه وبأسرته مش طبيعي.. ده كأنه ساحر له!!

- نفسي لما تيجي تتكلم عن (حازم) تنسى شوية اللي بينك وبينه..انت علطول متغاظ منه ومش طايق كل تصرفاته.

- مش قادر أصدقك؟ يعني سبتي القصة الغريبة اللي حكيتهالك وبتكلميني في علاقتي بحازم؟! يا شيخة حرام عليكي..ده بدل ما تحاولي تفهمي معايا إيه تفسير ده؟!

- تفسير إيه وهبل إيه؟! انت بتكدب يا (عمار) وبتداري حاجة..لأن مش ده اللي حصل.

- الله يخرب بيتك يا ناجي الكلب.. خليكي بقى كده..دماغك تجيب وتودي وأنا قلت اللي عندي.. وكلام في الموضوع ده تاني مش عايز!!

ترك (عمار) الغرفة لـ(سلمى) وسحب معه عدة الرجل الغضبان في كل الأفلام العربية وهي المخدة والغطاء متوجهًا إلى الكنبة التي في الصالة ليبيت عليها بعيدًا عن (زن) زوجته.

ارتمى (عمار) على الكنبة وأمسك بريموت التلفزيون وراح يقلب في قنواته، وارتاح بالًا حينما وجد (سلمى) قد أطفأت نور غرفتها وقررت أن تنام، ولكن ثمة شعورًا بالوحدة والخوف والقلق قد انتابه لثوانٍ، فتملكت

قشعريرة سريعة جسده، ولكنه سرعان ما اطمأن حين صادف أمامه قناة تقدم برنامجًا للمذيع أحمد موسى، حيث شعر ولأول مرة بفائدة حقيقية من برنامجه، وما يسببه من حالة انفصال تام عن كل ما حوله بما يقدمه من أطروحات ساذجة بطريقة تثير الضحك.

ولكن.. هيهات أن يهرب من تلك الهواجس المتلاحقة التي باتت تطرق باب وعيه وبقوة، الآن لم يعد ما شاهده منذ عام هو الهاجس الأوحد، بل هناك عدة ألغاز مترابطة كلها تحوم حول قصر المراغي وتلك العائلة المشئومة.

كان هناك شيء قوي يدفع النوم عن عينيه كلما داهمهما النعاس، حتى قرر ألا ينام وانتفض من مكانه وأطفأ التليفزيون، وأعد لنفسه كوبًا من القهوة، وقرر أن يقرأ على الإنترنت عن الهلاوس البصرية واحتمالات حدوثها، ولكنه تذكر أن (اللابتوب) الخاص به قد تركه في مكتبه في الشركة، فجلس أمام كمبيوتر المكتب المنزلي، وقبل أن يقلب في المواقع المختلفة، لفتت انتباهه صورة جميلة له مع (سلمى) منذ أيام زواجهما الأولى كانت موجودة على الـ Desktop مع صور أخرى فغالبًا ما تستخدم (سلمى) هذا الجهاز، وتحتفظ عليه بكل صورها، فهي تعشق التصوير وتقوم بتسجيل كل المناسبات من خلال مجلدات الصور.

خطرت على بال (عمار) وهو يتأمل مبتسمًا في صورتهما معًا أن يسلي وقته حتى الصباح في صورهما القديمة، فراح يقلب في كل المجلدات المحفوظة

بالتاريخ وأسماء المناسبات، وفجأة وقع أمام عينيه مجلد يحمل اسم (سبوع ملك)، فوجد من الفضول ما دفعه لفتح هذا المجلد وهو لا يعرف أن محتوى هذا المجلد كان يناديه ويسحبه سحبًا لدرجة أنه حرمه النوم، وحركه من مكانه وأجبره على فتح الكمبيوتر المنزلي والتوجه نحو هذا المجلد تحديدًا.

فتح (عمار عطاوية) المجلد ولم يحتج أن ينتظر كثيرًا حتى يفغر فاه، وتتسارع ضربات قلبه ويقف شعر رأسه بمجرد أن وقعت عيناه على أول صورة في المجلد.

الصورة كانت لزوجته سلمى وهي يافعة وتحمل طفلة مولودة وتقبلها – لعلها (ملك) ــ وبجانبها سيدة رآها من قبل ويحفظ ملامحها عن ظهر قلب.

إنها سبب ذعره وحيرته لعام كامل.. وفي نفس الوقت هي بداية فهم للكابوس الذي رآه في اليقظة ولم يجد له تفسيرًا.. إنها تلك المرأة الجميلة ذات الشعر الكستنائي الطويل والابتسامة الباردة المخيفة، والتي اعتلت سطح القصر، وفي ثانية حلت ضيفة على سيارته في مقعدها الخلفي.

لم ينتظر (عمار) كثيرًا وأرسل هذه الصورة إلى (إيميله الشخصي) ثم فتحها على هاتفه المحمول وتوجه بها بسرعة نحو غرفة نوم (سلمى) وأضاء نور الغرفة وراح يوقظها بعنف وصوت صارم يمتزج بالقلق:

– سلمى...سلمى...سلمى..اصحي يا سلمى من فضلك!!

- مممممم إيييه فيييه إيه؟!

- قومي يا سلمى بعد إذنك؟!

- عايز إيه؟!

- فوقي بس عايز أسألك على حاجة.

- فيه إيه حرام عليك..ده أنا ما صدقت نمت.

- معلش.. شوفي بس الصورة دي وجاوبيني على سؤال واحد وارجعي نامي تاني..

- صورة إيه؟!

- الصورة دي.

- مالها..جبتها منين.. دي أنا وشايلة ملك في سبوعها.

- أيوا عاااارف.. مين الل جنبك دي؟!!

- دي المرحومة (بريهان) مراة حازم أخويا الأولانية وأم ملك.

في أحد (كافيهات) مصر الجديدة الراقية كانت (ليلى) جالسة تدخن سيجارتها وترتشف قهوتها في انتظار وصول (حمزة المراغي) حسب الموعد المتفق عليه بينهما، وبعد ربع ساعة تقريبًا من التأخير عن الموعد وصل (حمزة)، فعرفته (ليلى) حيث طفق ينظر ويتأمل في الجالسين فور دخوله معتمدًا على فراسته، ثم شرع بالإمساك بهاتفه المحمول للاتصال بـ(ليلى)، فأشارت إليه، ثم وقفت لاستقباله.

سلمت (ليلى) على (حمزة) بيدها، ولكنه بادلها مصافحة فاترة رغم أن وجهه كان باسمًا ومرحبًا بها، لكنها عادة الشيوخ ورجال الدين.

وبعد دقيقتين من الصمت والاتفاق مع النادل على ما سيشربه (حمزة)، أطفأت (ليلى) سيجارتها، وتأهبت للحديث عما يؤرقها غير واثقة بمدى استجابة شخص تحدثه لأول مرة، وفي ذات الوقت لا يتوافق مع طريقتها ونموذجها لا فكريًّا ولا اجتماعيًّا، ورغم ذلك هي مضطرة للحديث معه

حول أمر مصيري مهم بات يهدد حياتها وحياة أسرتها ويؤرقها. لكن (حمزة) لم ينتظرها حتى تبادر بالحديث فقال لها وبحسم:

– خير يا مدام ليلى ... إيه الموضوع؟!

– خير يا دكتور ... ما تقلقش ... القصة مالهاش أي علاقة بحضرتك ولا مطلوب منك أي شيء غير شوية معلومات عايزة أعرفها، وانت الوحيد اللي ممكن يديهالي.

– معلومات؟! معلومات إيه؟! حاجة في تخصصي العلمي يعني؟!

– لا طبعًا ... مش كده خالص.

– أومال إيه؟! ... إيه اللي ممكن أعمـ..

– دكتور حمزة.. من فضلك.. بلاش تحفز علشان أعرف أشرح لحضرتك الوضع ...لأنها مشكلة كبيرة ومعقدة جدًّا ... وحضرتك ممكن تبقى خيط في حلها.. فممكن تسمعني للآخر وبهدوء؟!

– أنا آسف ...اتفضلي.

–أنا عارفة إنك ابن عم جوزي لزم، والحقيقة أنا ما اعرفش أي حد من عيلة حازم غيرك، وعمري ما كنت محتاجة أعرف كتير عن حازم وعيلته قد انهارده، بيتهيألي كده حضرتك فهمت أنا عايزة منك إيه ...أنا محتاجة أعرف منك مين أبو حازم وأمه.. مين عمه اللي هو والد حضرتك ...عيلته أصلًا من القاهرة ولا من إسكندرية ...كل ده محتاجة أعرفه وبالتفصيل.

– تحت أمرك طبعًا ...كل اللي عايزة تعرفيه هاقولهولك في حدود معرفتي وعملي، لأن أنا كمان فيه جوانب كتير ماعرفهاش عن عمي (توفيق) وولاده.. بس معلش في السؤال: حضرتك عايزة تعرفي المعلومات دي ليه؟!

– معاك حق تسأل طبعًا ... وأكيد بتقول بينك وبين نفسك ليه ما بتسألش جوزها نفسه ...الحقيقة إحنا واقعين في مشكلة كبيرة مش عارفة أصنفها إزاي أو أحكيهالك بأنهي طريقة، فيه حاجات غريبة ومخيفة بتحصل في حياتنا بقالها فترة، ومعظمها مرتبط بالبيت اللي احنا قاعدين فيه.. فسرناها أكتر من مرة على إنها صدف وتهيؤات، لكن الموضوع زاد عن حده وتطور أوي ...كل ده وحازم رافض يسمع كلامي وياخد الموضوع زاوية عيلته وعلشان كده رافض يعرفني أي حاجة ...ده غير إنه أصلًا من يوم جوازنا وهو ما حكاش أي حاجة قدامي عن عيلته.

– طب حضرتك عرفتي إزاي إن أنا من عيلته ووصلتي لتليفوني منين؟!

– صدفة عجيبة جدًّا خلت رئيس السواقين عندنا وهو راجل كبير أوي اسمه (عم عدلي) سمعني وأنا باتخانق مع حازم في الموبايل وباقوله الكلام ده وإني ما اعرفش حاجة عن عيلته، الراجل ده سواق قديم أوي وحازم بيحبه لأنه كان بيشتغل مع أبوه في شركته من زمان.

– ياااه عم عدلي خفاجي؟!!

- مظبوط ... طلعت تعرفه يعني؟!

- طبعًا ... عم عدلي أصلًا صاحب أبويا وعمي توفيق، وكان بيخلص لهم أي مصالح من أيام ما كانوا في اللبان في إسكندرية، ولما نزل مع عمي مصر واشتغل معاه.. قابلني مرة في مسجد السيدة زينب كان جاي يصلي ويزور، وفرح أوي أما شافني واتفقنا نتواصل، بس من ساعتها ما شفتوش تاني.

- تمام ...فيه حاجة تانية عايز تسأل فيها قبل ما تحكيلي عن عيلة المراغي.

- آه الحقيقة ... يهمني أعرف نوعية الحاجات اللي بتحصل لكم ...عايز أفهم بس زي إيه؟!

- مواقف غريبة مالهاش تفسير ... الولاد الصغيرين بيصرخوا بالليل ويشوفوا حاجات بتتحرك قدامهم في الظلمة ... كابوس بيجي لحازم بشكل متكرر ومنظم جدًّا ... حاجات شبه كده كتير... والأهم من كل ده فيه روح مش حلوة في البيت ... مش عارفين ننبسط.. فيه مناخ عداء وكراهية وخوف علطول.

تنهد الشيخ (حمزة) تنهيدة طويلة ثم نظر لـ (ليلى) نظرة طمأنة وهز رأسه مجيبًا بنعم.

بدأ (حمزة) الحديث الطويل... وبدأت الحكاية من هناك..

شتاء الإسكندرية ... رائحة البحر وهو بكر غير مختلط بأنفاس المصطافين الوافدين من القاهرة.. نسيم بارد ممتزج بكآبة الموسم الدراسي، وتراث حواري الإسكندرية وشوارعها وموروثها المخيف في عالم الجريمة.. ذكرى الدم المتعفن تحت بلاط بيت ريا وسكينة في بحري ... وجرائم القتل داخل شاليهات الكورنيش المهجورة.. جثث الغرقى الطافية بغموض على شاطئ الهانوفيل ودرويش والعجمي ...

كل ذلك يصنع خلفية تُصاغ وتُنسج داخلها قصة عائلة المراغي، مما يجعلها في منطقة رمادية يصعب محوها من الذاكرة.

استرسل (حمزة) في الحكي، في الوقت الذي جعلت (ليلى) هاتفها المحمول على الوضع الصامت لكي تنصت بتركيز فلم تبالِ ولم تسمع رنات (عمار عطاوية) واتصالاته بها، وهو ذات الوقت الذي دخل فيه (حازم) على (د. حلاوة) في مكتبه ملبيًا دعوته لاستكمال حديثهما المريب.

٢

حانة كامب شيزار

الإسكندرية.. عروس البحر

التي تعرف متى تحتفي بك..

ومتى تفزعك ظلمات دروبها المفعمة

برائحة الموت!!

في حي (اللبان) بالإسكندرية لا أحد يجهل ركن الشيخ حسن المراغي، ولا يعرف ولديه اليافعين زينة شباب الحي (موسى) و (توفيق) طالبي الأزهر وحفاظي القرآن الكريم منذ نعومة أظفارهما. هذان الشابان اللذان يقتسمان كل شيء بينهما بالحب والألفة، ولا يفترقان إلا قليلًا.

مرت السنوات، وشاء القدر أن تبتسم لهما الأيام ويكسب والدهما الشيخ حسن قضية قديمة يختصم فيها، أحد التجار اليونانيين القدامى يدعى (نيكولا أكاسيماتس) على قطعة أرض كبيرة في منطقة كامب شيزار.

كان جدود الشيخ حسن هم الملاك الحقيقين لهذه الأرض، ولكنها اغتُصبت منهم في أثناء الاحتلال الإنجليزي، ثم آلت إلى عائلة (أكاسيماتس) واحدة من أكبر العائلات اليونانية التي كانت تستوطن كامب شيزار، وبخلاف المساحة الكبيرة للأرض كان موقعها القريب من البحر أهم ما يميزها، لذلك كانت أهم مشروعات عائلة (أكاسيماتس) واستثماراتها، حيث

كانت مقسمة إلى قسمين: الأول جراج سيارات كبير، والثاني: تياترو وملهى ليلي، ولكنه لم يكن (تياترو) يقدم فنونًا مسرحية وغنائية واسكيتشات بالمعنى الحقيقي للكلمة بقدر ما كان (حانة) أو (ماخورًا) كما كان يطلق تحديدًا عليه من سكان المنطقة.

كان (ماخور الخواجة نيكولا) كما كان يُسمى أكبر مكان يقدم أفضل أنواع الخمور الطازجة والباردة في الإسكندرية، لدرجة أن كثيرًا من رواده كانوا من القاهرة، فضلًا عن سكان المناطق الأخرى البعيدة في الإسكندرية. ولا مانع من الاتفاق على اقتياد بعض فتيات الليل لإكمال السهرة في البيوت، ما تبقى من ساعات الصباح الأولى.

اعتبر الشيخ (حسن) أن قضية استرداد أرض أجداده مسألة حياة أو موت، بل وضعها ذهنيًّا في منطقة الحرب ضد الباطل، ومعسكر الضلال والفجور كما كان يردد باستمرار ويلقن أولاده. وكان يقول دائمًا: (قفل الماخور ده هيكون على إيدي).

ولم يمر أسبوع على يوم الحكم التاريخي لصالح عائلة المراغي، حتى توفي الشيخ حسن وغادر الدنيا تاركًا لولديه ميراثًا غاليًا، وتحديًا كبيرًا، لذلك لم يورثه دون شروط أو استحكامات، حيث أوصى بأن يتم هدم الماخور، وبناء بدلًا منه أكبر مدرسة لتحفيظ القرآن في الإسكندرية، على ثلث الأرض وأن يقتسم الولدان ثلثي الأرض المتبقيين.

تعرض الأخوان للعديد من ردود الأفعال ما بين مناصرين للفكرة ومشجعين لعملية هدم أكبر حانة في الإسكندرية، وما بين مثبطين ومحاربين لتنفيذها، وكلاهما التف حول بيت المراغي ونسج من العلاقات والارتباطات ما يمكنه من تحقيق مآربه. فكانت تلك السنوات التي شهدت مراحل هدم الماخور، وبناء معهد تحفيظ القرآن، وبالًا على بيت المراغي، وفترة عصيبة تعرض فيها الأخوان لابتزازات وتهديدات تارة، ومواءمات وعلاقات ودودة وحيل ومؤامرات تارة أخرى. لكن ذلك لم يثنهما عن تنفيذ وصية والدهما، فلم يهدأ لهما بال إلا ومبنى مدرسة تحفيظ القرآن قائمٌ بمعرفة الحي، ويرتاده الكبار والصغار من أبناء أهالي المنطقة.

(موسى) كان هو الأقرب لأبيه، والأشبه به، وكان - بوصفه يكبر أخاه (توفيق) بـ ٨ أعوام - هو الأكثر حكمة وروية، لذلك كان دائم التحذير له والنصح، الأمر الذي كثيرًا ما أزعج (توفيقًا) وجعل في قلبه تجاه أخيه الأكبر غصة، جعلته يخالفه الرأي لمجرد المخالفة.

عاش (موسى) بقدر ما عاش ولم يغادر حي (اللبان)، وكان يعدُّ شيخ الحارة أو كبيرها، أما (توفيق) فقد اختار أن يغادر الإسكندرية كلها ويبدأ حياة جديدة في القاهرة بعد أن اشترى نصيب أخيه في الأرض، وصار من أكثر رجال الأعمال ثراءً.

لقد عصفت الحياة بكلا الأخوين، فتعرض الكبير لمحنة مرض زوجته التي أدخلته في متاهة الإفلاس والديون فاضطر لبيع نصيبه من الأرض

لأخيه، والثاني غادر الإسكندرية بعد محنة شديدة تعرض لها، وصدمته في موت فتاة أحبها بل عِشقه الأول، جراء جريمة بشعة أدت إلى وفاتها محترقة بعد التناوب على اغتصابها.

كانت حبيبة (توفيق) فتاة مختلفة على حد قوله.. فما الجديد إذن؟!!

ما المبهر في الأمر ما دام كل عاشق يقول عن حبيبته إنها شأن آخر؟ فمن المؤكد أنها نظرة مبالغة من (توفيق)، أو أنه سِحر الحب الذي أسره وخلب لبه وجعله طوع بنانها، وبالأحرى أنها كانت هي فعلًا تستحق أن تكون أحد أولئك السحرة، وأميرات الجمال الحاكمات بأمرهن.

إنها الفاتنة (سعاد غمراوي)..

ذات الوجه النضر المصحوب بألق الأوروبيين، وحمرة الأتراك، والأنف المدبب المرفوع الذي يحتل ناظريك فور أن تراه، وذلك الشعر البني الفاتح المتموج والممزوج بخصلات ذهبية، صاحبة القوام المتناصف ما بين طولٍ ملفت، وقِصَر أنثوي جذاب.

وأضف إلى ذلك أن (سعاد) كانت ممن يعين جمالهن، ويدركن مقداره، فكانت تعرف متى تتكلم، وكيف، وبأية نبرة، متى تصمت؟ متى تتحدث؟ متى تكتفي بنظرات عينيها لتقول ما هو أبين وأفصح من الكلمات.

أدركت (سعاد غمراوي) منذ نظرة (توفيق) الأولى لها أنه بات أسير مملكتها الباطنية، وسلطانها العاطفي، ونفوذها غير المرئي، وجنود عينيها المرابطين حيال نظرات العشاق المحيطين بها.

وفور أن فهمت ذلك ...تعاملت.... وما إن تعاملت أوقعته في حبها، حتى صار (توفيق المراغي) لا ينسى أبدًا ذلك اليوم الذي ساقته فيه الأقدار نحو إحدى شركات الأخشاب ليشتري المقاعد الخشبية لمدرسته الجديدة، فيلتقيها بوصفها الموظفة المسئولة عن عمليات التوريد.

ومن هنا بدأت العلاقة، وانطلق المنحنى البياني السعيد الذي ظل متصاعدًا ثم انتهى بهبوط حاد اتجه مجددًا إلى نقطة الصفر في اللحظة التي رآها أمامه جثة محترقة.

وما بين مصير الأخوين، نسجت الأيام قصة عجيبة جعلت من المنطقة الواقعة بين بيت المراغي في (اللبان)، ومعهد تحفيظ القرآن (ماخور نيكولا) سابقًا في كامب شيزار، مسرحًا للأحداث المتلاحقة والمتصاعدة، والتي كان أبطالها الأساسيون هم الأربعة: موسى وتوفيق وسعاد غمراوي.

أما رابعهم فكان هو العنصر الأكثر فاعلية دائمًا وأبدًا، الشخص الذي يحتل مساحة كبيرة من ذهن كل من يعرفه..

رابعهم هو المدعو بالاسم الثلاثي الرنان:

ناجي .... نصر .... حلاوة.

- انتي ما بترديش على موبايلك ليه ...ها ...ليه؟!!!

قالها (عمار) لـ (ليلى) بعنف وبعشم لا يتلاءم مع حجم ما بينهما من علاقة، وبخلاف أنه قطع حديث(حمزة) واسترساله في الحكي، فهو أيضًا أثار دهشته وربما غيظه. فما كان من ليلى إلا أن ردت عليه بعنف مماثل:

- إيه ده؟!... عمار؟! ... فيه إيه يا عمار؟!.. وبعدين انت إزاي تتكلم معايا بالأسلوب ده؟!

- أنا آسف ... ما قصدتش والله.. بس الصراحة كنت عايزك في موضوع ضروري جدًّا ... مش هاقدر اتكلم فيه إلا معاكي.

- أفندم؟!

وقبل أن تبلغ من (حمزة) الحيرة مداها، أرادت (ليلى) أن توضح له الأمر فلا يشرد ذهنه بعيدًا بأوهام لا وقت لها، فقدمت (عمار) له:

– إإإإإ معلش يا دكتور حمزة... آآآسفة نسيت أعرفك بالأستاذ عمار.. جوز أخت جوزي

–عمار: آه جوز أخت جوزها ...هي لافة شوية ...بس والله أنا جوز أخت جوزها... وكمـ..

– (قاطعته) ليلى: خير يا أستاذ عمار..

– عمار: خير... أصل الصراحة ما لقيتش حد ممكن اتكلم معاه في القصص الغريبة اللي بتحصل غيرك ... خدي بالك إن مشكلتك هي نفس مشكلتي دلوقت...إذا كان حازم مش عايز يديكي عقاد نافع في اللي حصل ويفيدك بأي سر أو معلومة فأنا كمان بعاني نفس المعاناة مع أخته ...واضح إن فيه حاجات في العيلة دي احنا ما نعرفهاش.

– حمزة: برضه؟! إيه الموضوع بالظبط؟!

– ليلى: مفيش يا دكتور حمزة.. عمار كان معانا في ليلة غريبة جدًّا.. ومن ساعتها وكلنا مش على بعضنا.

.. بس أنت عرفت مكاني ازاي يا عمار؟!

عمار: أنا عارف إن ده مكانك المفضل.. أومال لو عرفتي اللي حصلي في البيت لما روحت!!

– ليلى: الست إياها برضه؟!

– عمار: هي ست ...بس ست تانية خالص...انتي بالذات تعرفيها كويس

- ليلى: ست مين دي؟!

- عمار: بيريهان..أم ملك وشهاب.

- ليلى: نعم؟! ... كده كتير!!

- حمزة: يا جماعة... من فضلكم.. شكلكم كده فاهمين الأمور غلط وبتخططوا غلط ... وبتفكروا في اتجاه غلط ... وارد جدًّا إن فيه حد من أعداء حازم وهو اللي ورا كل الكلام ده ...ودي مجرد تهديدات مش أكتر

- ليلى: احنا آسفين يا دكتور حمزة ... طبعًا حضرتك مش مضطر تضيع وقتك معانا أكتر من كده ...لو تحب نتقابل في يوم تاني ونكمل كلامنا.

- حمزة (ناهضًا): أنا باقول كده برضه.

- ليلى: أأأأأ لكن ممكن قبل ما تقوم بس تقولي إجابة على سؤال واحد بس.

- (بامتعاض شديد) حمزة: اتفضلي!!

- ليلى: هو والد (حازم) فضل يحب (سعاد) دي لحد ما اتجوز مدام (جميلة) المراغي؟!

كان (حمزة) يحكي ما يعرف، ولا يتطرق لما لا يعرف، لكن قصة حب (توفيق المراغي) و(سعاد غمراوي) لم تكن مما يخفي على أحد، حتى أن جميع

أهالي كامب شيزار واللبان، ومعظم رواد معهد تحفيظ القرآن كانوا يعرفون ما بينهما من حب.

ولكن لماذا لم تكتمل هذه العلاقة ولماذا لم تتطور بحيث تكون (سعاد) زوجة لـ (توفيق)؟! هذا ما قصه عليهم (حمزة) في حدود ما حكاه له أبوه وأخوه، فدراماتيكية القصة وغرابتها فرضت نفسها على الذاكرة وبدت عصية على النسيان.

أما أخبار عمه (توفيق) بعد استقراره في مصر فقد انقطعت عنهم تمامًا، خاصة بعد زواجه من ابنة عمه السيدة الفاضلة المحترمة (جميلة) المراغي أم (حازم) و(سلمى).

عودة إلى الإسكندرية ونسيمها الحار البارد..

أحب (توفيق) البحر ونسيمَه من أجل (سعاد) التي كانت تَعُد الساعات والدقائق قبل أن تقابل حبيبها. وكانت تحب الشعر فصحاه وعاميته، فأحب من أجلها الشعر بل نظمه في عشقها.

كان لا يتحمل الليل الذي يفصله عنها، فصارا يلتقيان شبه يومي، حيث كان يذهب لمقر عملها بعد انتهاء دوامها، ويخرجان لتناول طعام الغداء على كورنيش البحر، ثم يتمشيان حتى الأنفوشي حيث مقر سكن (سعاد)، ولا يدخل (توفيق) معها الشارع أو المنطقة لأن أخويها لا يعرفان التفاهم ولا

يؤمنان بمبدأ الحب قبل أي علاقة زواج، حتى أنهما كانا يغيران كل مرة مكان تناول الغداء على البحر تحسبًا لأي أمر.

الأمر الذي دفع (توفيقًا) للعزم على اتخاذ خطوة جادة في علاقتهما، فحاول مرارًا أن يقابل (سعاد) بـأخيه (موسى)، وخلق حالة ارتياح بينهما ولكن دون جدوى، فلم يكن الأخير يروق لها ولم تكن هي أيضًا مقبولة عنده.

ربما كان ذلك لطريقتها المتحررة في الملابس والتحدث وأسلوب الحياة، كذلك كانت والدة (توفيق) و(موسى) التي رأت (سعاد) مرة واحدة فقط ولكنها لم تشعر تجاهها بأية مشاعر إيجابية.

وزاد من حالة حنق أسرة (توفيق) لها وجود شخص كـ (ناجي نصر حلاوة) باعتباره صديقًا قديمًا لـ (سعاد)، تعرفت إليه مع صديقاتها وزميلاتها في العمل في إحدى ندوات الشعر في جامعة الإسكندرية، وكان دائم التردد على مقر عملها، الأغرب أن (ناجي) صار صديقًا حميمًا لـ (توفيق) نفسه حيث تقبله الأخير وأخذ مساحة من قلبه وعقله تحت مسمى أنه صديق مخلص لـ (سعاد) و(زي أخوها بالظبط!!!)

كان ذلك مما يثر حفيظة (موسى) ويزيد غيظه وحنقه من أخيه، حتى أنه اتهمه ذات مرة بأنه ذو دم بارد، إذ كيف يتقبل فكرة متحررة كهذه، لم تكن في قاموس عائلة المراغي من قبل.

وكان (توفيق) يبرر موقفه دائمًا بأن (ناجي) إنسان مخلص ومحترم، وكان يعرف (سعاد) منذ سنوات، فلو كان يريدها أو تريده لتم ذلك قبل أن يعرفها. وأن (ناجي) شاب متحرر يعيش كيفما يريد، يهوى السهر والشرب في الحانات، وله علاقات نسائية خاصة به، أما (سعاد) فهي رغم أفكارها التقدمية فإنها تعيش في عائلة محافظة ولديها أخوان تحاول الهروب من جحيمها إلى جنة الزواج ممن تحب، ولديها من النسق الأخلاقي ما يمنعها من الانخراط مع (ناجي) في علاقة تتجاوز حدودها الصداقة فحسب... (زي أخوها!!)

لم يبالِ (توفيق) برأي أخيه، ولا مشاعر أمه تجاه حبيبته، وقرر الاستمرار.. إنه الحب الذي يسلب ويأسر فلا يبقى للعقل والحكمة سبيل.

ظلت السعادة هي الحاكمة لعلاقة الطرفين لمدة ٨ شهور قبل أن يقرر (توفيق) التقدم لها وخطبتها رسميًّا من أهلها، وعندئذ اكتشف الحقيقة التي كانت (سعاد) قد أخفتها عنه فصدمته وآلمته.

لقد أحبت (سعاد) (توفيقًا) حقًّا، وصار جزءًا من حياتها الكئيبة، ولكن هذه الحياة الكئيبة لم يكن مصدرها أخويها الذكرين الرجعيين، وبيتها المحافظ، بل كان سببًا آخر.. أقوى بكثير.. سببًا يرسم ملامح قصة جديدة.. بتفاصيل مختلفة.

سعاد محمد غمراوي..

فتاة في مطلع العقد الثالث ..مجهولة النسب.

تعيش مع ٣ من صديقاتها في شقة بالإيجار.

ولا يعرف حقيقتها سوى هؤلاء الفتيات الثلاث، والسيدة (حشمت قاسم) زوجة (محمد غمراوي) أحد أغنياء الإسكندرية الذي تبناها من أحد الملاجئ ومنحها اسمه، وكانت السيدة (حشمت) لا تحبها ولم ترضَ يومًا عن ذلك التبني خاصة بعد أن رزقهما الله بطفل بعد ١٠ سنوات من تبنيها، ولكن زوجها رفض أن يتخلى عنها بعد أن تعلق بها وأحبها، فاضطرت السيدة (حشمت) أن تربيها وتسمح لها أن تكبر وتشب في بيتها إلى أن توفي زوجها، وبعد ذلك أبلغتها بعدم رغبتها في الإنفاق عليها، واكتفت بأن تجد لها عملًا في أحد مصانع الأخشاب.

كانت هذه الحقيقة موجعة لـ (توفيق) ليس فقط لأن (سعاد) أخفتها عنه بل أيضًا لأن إبلاغ عائلته المحافظة بهذا الأمر شيء صعب بل يهدد استمرار العلاقة.

لكن (توفيقًا) لم يكن ليخفي سرًّا كهذا على أسرته خاصة أن هناك من عائلات الإسكندرية وأهاليها من يعرف قصة تبني عائلة (غمراوي) لطفلة من قبل، وهناك من يتعقب السير ويهوى متابعة الجذور والأصول وتقصيها، فهي عادات اجتماعية مصرية صميمة.

فما كان منه إلا أن أبلغ أخاه وأمه بهذا الأمر وبرغبته الملحة في كسر نمطية المجتمع وتقاليده البالية، ومن ثم الارتباط بمن أحب.

كان (توفيق) نفسه غير متأكد ما إذا كان سيخوض تحديًا كهذا أم لا، ورغم ما واجهه من حرب شرسة وشجار دائم ولعنات من أخيه وأمه فقد كان في حيرة شديدة من أمره، ويشعر أنه يقف في مهب الريح.

وبعد غياب دام شهرًا كاملًا عن لقاءاتهما الحارة المتواصلة، اتصلت (سعاد) برقم غرفة (توفيق) في مكتبه في معهد تحفيظ القرآن، ولسوء حظها رد ساعي المكتب لعدم وجود (توفيق) على مكتبه، وحينما أبلغه بذلك أنكر وجوده وطلب من الساعي أن يبلغها بأنه غادر المكان.

هكذا صار (توفيق) يتهرب من حبيبته التي كان يعد ساعات الليل حين تفصله عنها.

بشكل تقريبي.. بدأ (توفيق) يحاول جاهدًا نسيان (سعاد)، واستعان على ذلك بالانخراط في عمله، وتغيير أسلوب حياته، فعاد مثلًا لزي شيوخ

الأزهر حين كان يمارس مهام عمله وسط الطلبة والمحفظين في المعهد، وبدا أكثر ملازمة لأخيه (موسى).

الأمر الذي جعله يبتعد بالضرورة عن (ناجي حلاوة) حيث حاول الأخير أن يتردد إليه، ويقابله حاملًا لواء الوساطة بينه وبين (سعاد)، ولكن (توفيقًا) قام بصده ورده أكثر من مرة وكأنه يريد إغلاق ملف هذه الفتاة تمامًا.

لم يتوقف سعي (ناجي) والتفافه حول (توفيق) وكأنه يريد مأربًا أبعد من مجرد التقريب بينه وبين (سعاد)، فأي وساطة هذه التي تبذل كل هذا الجهد، لتعود العلاقة بين حبيبين افترقا؟! وما الحافز لذلك؟!

صار (ناجي) يطارد (توفيقًا) بشكل مبالغ فيه، ويتودد له ويعترض طريقه، حتى قالها في مرة إنه أحبه ويحرص على صداقته بغض النظر عن عودته لـ (سعاد) من عدمها.

هنا تسمر (توفيق) في مكانه، واندهش وراح يفكر في السر وراء هذا الإلحاح المبالغ فيه، وغير المنطقي.. فخجل أن يرده هذه المرة خائبًا، فسمح له أن يركب معه السيارة وانطلقا معًا لأحد الكازينوهات كي يتحدثا.

وبقدر ما كانت دهشة (توفيق) من إلحاح (ناجي) ورغبته الزائدة عن الحد في الحفاظ على العلاقة بينهما بقدر ما وجد بداخله ما يجذبه إليه، كونه من طرف ومن ريحة (سعاد).

دار بينهما حديث دام ساعتين، احتسى فيه (توفيق) ولأول مرة في حياته كأسًا من الخمر، ثم أتبعها بست كؤوس غيرها، بدعوى أن حديث (ناجي) قلَّب عليه المواجع، وبدا (توفيق) أكثر لطفًا وهدوءًا وتقبلًا لأي اقتراح قد يمليه عليه صديقه، وراح (ناجى) يذب عنه بائعات الهوى اللاتي يُحُمن حوله باعتباره وجهًا جديدًا قد يكون أكثر شبقًا لهذا النوع من الحياة أكثر من الزبائن القديمة.

كان وجه (توفيق) ثابتًا على وضع الابتسامة، ورغم أنه أصبح ثملًا فإنه لم يفقد وعيه تمامًا، وكأنه مخضرم في الشرب من قبل. هنا وجد (ناجى) أن الفرصة أضحت مواتية لكي يعرض عليه مراده ومبتغاه.

- باقولك يا توفيق؟!

- خير؟! كفاية بقى سيرة (سعاد) ... ارحمني ... أنا دلوقت رايق ومش عايز أعكر مزاجي.

- لا لا لا ....سعاد مين! أنا عارف كويس إنك خلاص خدت قرارك النهائي، أنا كنت عايز أكلمك في حاجة تانية.

- أؤمرني؟!

- أنا عايزك تشوف لي شغل معاكم.

- معانا ...إحنا مين؟!

- معاكم في المعهد.

- معهد القرآن؟!

- آه.

- (منفجرًا في الضحك): هههههههههههههههههههههههه الله يحظك يا ناجي هههههههههه.

- (بانفعال): مش فاهم إيه اللي بيضحك أوي كده؟!

- هههههه سامحـ هههههه سامحني يا ناجي ...ما تزعلش هههه.

- طب أفهم فيه إيه؟!

-أبدا والله هههه أصلك بتقول شغل وده معهد قرآن ...وانت يعني ما تآخذنيش راجل صاحب مزاج وكاس وكوباية.

- على أساس إنك إمام جامع.. وقاعد بتقرا أوراد وابتهالات دلوقت.

- لأ .... حاسب على كلامك ...أنا الشيخ توفيق ...حافظ كتاب الله. وصاحب المعهد ...ودي غلطة ومش هتتكرر ....والبركة فيك ما انت اللي لبستني فيها!!

- خلاص يا عم توفيق ...انسي إني قلتلك حاجة.

- استنى بس رايح فين؟! ...انت قايم وسايبني هنا ....ده النسوان دي تاكلني!!

- يا عم الحساب مدفوع ...سلامو عليكو.

- استنى بس ...يا نااااجي ...ناجي..يا ناجي خد هنا!!

نهض (توفيق) خلفه ولحق به خارج الحانة، متشبثًا به كأنه لا يريد أن يقطع آخر خيط ما زال يربطه بـ (سعاد)، وآخر شخص يمكن أن يسوق له أخبارها وأحوالها.

- إيه يا عم ....بهزر معاك ...يعني ما اهزرش معاك.

- بص يا توفيق....أنا عارف انت مش موافق ليه ...علشان أخوك ... أخوك ما بيطيقنيش ...بس وحياة ربنا أنا ظروفي زي الزفت، وربنا الأعلم بحالها... طب تصدق بإيه ...أنا بقالي شهر مش لاقي شغل.

- أولًا أنا أول مرة أعرف إنك خالي شغل ... هو انت سبت شغلك ليه؟!

- اتخانقت معاهم..ناس مش فاهماني ولا فاهمة دماغي ولا إمكانياتي..أنا دينامو..جربني بس وشوف.

- بس أأأأأ..

- إيه؟!..تقصد موسى أخوك..يا عم سيبه عليا..هو هيشوف بنفسه والأيام هتثبت له إنه كان فاهمني غلط.

ركن (توفيق) رأسه على مقعد السيارة وراح يفكر فيما سيواجهه جراء قرار كهذا.. خاصة أن علاقته بأخيه باتت في أوج صفائها بعد تركه لـ (سعاد)، فهو غير مضطر ولا يخضع لأية ضغوط تجعله يفكر في الأمر ولا يرفضه برمته، إلا أن بقايا الحب القديم كان لها صوت نابع من أعماقه يقول له: إن (ناجي) خيط يربطه بها، وقد يحتاجه يومًا لكي يجدد الود ويعيد العلاقة.

عام كامل مر.. كان عامًا عصيبًا على بيت المراغي..

فالشيخ (موسى) المراغي كان قد تفرغ للتدريس بالمعاهد الأزهرية والمدارس وترك إدارة معهد التحفيظ لأخيه (توفيق)، وبعد وفاة والدتهما زادت حدة الخلافات والفروقات الجوهرية بينهما، وتجدد سبب الشجار الدائم بعد انخراط (ناجي) في العمل معهما مديرًا للمعهد.

– أنا مش فاهم ولا قادر أفهم لغاية دلوقت...يعني إيه البني آدم ده يدير المعهد وتأتمنه عليه.. وتخلي طلبة وحفظة القرآن وأهاليهم يتعاملوا معاه؟

قالها الشيخ (موسى) غاضبًا لأخيه.. بعد زيارته للمعهد فجأة واكتشافه أن عدد الطلاب قد تناقص للنصف وأن هناك خللًا وثغرات في الحسابات والمصروفات والإيرادات، فضلًا عن وجود وجوه جديدة لم يرها من قبل وغياب وجوه كان قد ثبتها وعيَّنها قبل انشغاله عن المعهد منذ عامين.

– ماله البني آدم ده؟!

– نجس...شخص نجس.. عارف يعني إيه نجس.. إزاي نخلي واحد نجس يعلم ويحفظ للنشء كتاب ربنا؟!

– نجس؟! انت مفيش فايدة فيك هتفضل قفل ومنغلق على نفسك وشايف الدنيا من منظور واحد.. الناس عندك يا يبقوا شبهك يا يبقوا غلط وماشيين في سكة الشيطان.. ده انت بجد غريب يا موسى والله.

– انت إيه اللي جرالك يا توفيق.. مالك؟! من يوم ما عرفت البنت اللي قلبت كيانك دي وانت ما بقتش انت.. هي دي تربية أبوك وأمك! فين حفظك للقرآن وعهدك لشيخك؟ بقيت تصاحب الخمورجية والمنحلين.. ده كنت قلت الحمد لله ربنا هداك يوم ما سبتها وبعدت عنها هي وكل اللي جه من وراها.. تقوم تختار أقذر واحد من معارفها وتتخذه صديق ليك؟!

– موسى.. اسمعني كويس..أنا باحذرك للمرة الأخيرة.. مش هاسمح لك تاني تتدخل في حياتي ولا يبقى لك رأي فيها أساسًا.. انت فاهم؟! واعرف كويس إني كنت باستحملك علشان عامل حساب لماما الله يرحمها.. لكن دلوقت خلاص.. ماعدش فارق معايا.. ولو عايز تفضها سيرة واسيبلك المعهد باللي فيه وتديني حقي من الأرض أنا موافق.

عند هذا الحد وصل النزاع والاختلاف بين الأخوين، في الوقت الذي تراجع فيه دور المعهد التربوي وأعرض الكثير من الأهالي عن إرسال أولادهم إلى هناك، خاصة بعد انضمام (ناجي) للعمل فيه، وأسلوب تعامله معهم.

وكأنه سعى جاهدًا للعمل مع (توفيق) في المعهد من أجل مهمة محددة وهي إغلاقه، وشق الصف بينه وبين أخيه.

ولقد استطاع بالفعل (ناجي) في فترة وجيزة أن يحقق ما أراد، ويزيد من ثورة شكوك الشيخ (موسى) ومن عَيَّنهم لمراقبته وتقصي تحركاته، ولم يتعجب الأخير حين أبلغه أحد (الناضورجية) أنه شاهد (ناجي) يلتقي في إحدى الحانات بالمدعو الخواجة (نيرو) ابن (نيكولا أكاسياتس) الغريم القديم لعائلة المراغي وصاحب الماخور الذي كان الحانة الرئيسية للضباط الإنجليز في الإسكندرية.

وبعد السؤال والتقصي، واستمرار المراقبة ثبت أن (ناجي) يلتقي به كثيرًا وأن سفره الطويل لليونان كانت بصحبة هذا الخواجة، مما جعل الشيخ (موسى) يحاول التقاط صور لهما داخل الحانة فتكون دليلًا دامغًا يسعى به لإقناع أخيه بأنه مغيب ومخدوع وليس على جادة الصواب في صداقته بـ (نصر حلاوة).

الأغرب من ذلك أن (ناضورجية) الشيخ موسى اكتشفوا أمرًا أخطر من ذلك، حين شاهدوا (ناجي) يتردد أيضًا على سكن (سعاد) مع زميلاتها ورغم وجود زميلاتها معهما في هذا الوقت فإن بقاءه في السكن لمدة تصل إلى ٤ أو ٥ ساعات أمر يدعو للريبة، ويفتح الظنون نحو تحالفات وترتيبات أو على الأقل مجرد نقل أخبار (توفيق) لها، وهذا أمر في حد ذاته يزعج الشيخ

(موسى) الذي كان قد استراح تمامًا من انتهاء علاقة أخيه بـ (سعاد) وإغلاق هذا الملف نهائيًّا..

ولكن يبدو أن السلام الاجتماعي والنفسي دائمًا تحت التهديد ما دام في الحياة بشر من عينة (نصر حلاوة).

استمر الوضع شائكًا على هذا المستوى من الريبة والقلق والترقب والمراقبة حتى حدث ما لم يتوقعه الشيخ (موسى) من مراوغات (ناجي) وحيله التي يحاول إيقاع (توفيق) فيها.

في لقاء مصيري تم بين (توفيق) و(ناجي) في المكتب ظن فيه كلاهما أنهما وحدهما، بعد أن غادر الموظفون والطلبة المعهد، تحدث (ناجي) وأفصح أخيرًا عما يريد لـ (توفيق) وأخرج ما في جعبته السامة، في الوقت الذي كان (شعبان) صبي البوفيه يراقبهما ويختبئ ليستمع إلى ما يقال لينقله للشيخ (موسى) أولًا بأول.

كان (موسى) قد استوعب جيدًا، أن على عيني أخيه غشاوة لا تمكنه من رؤية الحقيقة، وفهم نيات (ناجي)، لذلك قرر أن يعلن الحرب عليه.

ولكن الخصم لم يكن سهلًا خاصة حينما أجاد استغلال ما بين الأخوين من خلافات، وغذّاها بطريقته الخاصة، وقرر استمالة صديقه نحو الاستقلال عن أخيه، وفضِّ الشراكة، ولكن ليس على طريقة (توفيق) وإنما بإقصاء موسى ورجاله من المكان، ومن ثم إلغاء فكرة معهد التحفيظ من أساسها.

– بص بقى يا عم (توفيق).. انت باللي قلتهولي ده امبارح هترتكب أكبر غلطة في حياتك..

– تقصد حكاية إني أفض الشركة مع موسى.. انسى أنا مش هارجع في كلامي.. أنا خلاص زهقت منه.. وقررت أبيع له نصيبي وأخلع من قصة المعهد دي خالص وأسافر بنصيبي بره.

– يا عم براحتك.. ماحدش هيغصب عليك تكمل معاه..لكن كل شيء بالأصول.. خليك معلم.. انت كده هتخسر كل حاجة وبتديله كل حاجة.. يا راجل ده انت تبقى خايب لو سيبت له الجمل بما حمل.

– تقصد إيه؟!

– أقصد إن هو اللي يمشي مش انت.. انت تبقى غبي لو مكنته م الأرض.. هتاخد نصيبك هتعمل بيه إيه يعني؟! انت عبيط.. ده مساحة الأرض لوحدها مشروع العمر.. دي تجيبلك ملايين ما تخلصش!! انت تتصرف بأي شكل وتديله نصيبه م الأرض.. وتسيبك من فكرة المعهد دي وتستثمر الأرض في أي حاجة تكسب وتجيب فلوس بجد.

لمعت الفكرة في رأس (توفيق) وحازت إعجابه.. وبدأ يفكر في الطريقة التي سيجبر بها أخاه على بيع حصته له، لكن ثمة أشياء أخرى في حديث (ناجي) لم ترق له فجعلته ينهض منفعلًا ويترك الحوار، حين انتقل الحديث لموضوع (سعاد غمراوي) وجدوى العودة إليها.

كان (ناجي) ظاهريًّا يؤدي دور حمامة السلام باقتدار، وكان يعرف جيدًا من ملامح وجه (توفيق) واهتمامه بمعرفة أخبارها، أنها ما زالت تحتل من قلبه مكانة كبيرة. لذلك كان يلعب على هذه النقطة كيفما شاء.

فتارة يذكرها بأبشع الشتائم ويتهمها بالكذب والخيانة، وتارة يحكي عنها ما يثلج صدر (توفيق) ويزيده شغفًا، مثل أنها حتى الآن ما زالت تذكره بالخير ولم يعرف قلبها أحدًا سواه.

لذلك فقد قرر (ناجي) في هذه المرة أن يخبره برغبتها وطلبها المباشر في العودة، وأنها تريد مقابلته تحت أي ظرف، ولديها من الحجج ما يكفي لإقناعه بأنها كانت مضطرة للكذب عليه، وأنها ضحية ظروفها التي لم تخترها، وبقية الحجج الثابتة والمعروفة لكل أولئك التعساء الذين اختارهم القدر ليواجهوا الحياة بلا أم أو أب.

– ناجي.. مش هافكرك تاني بإن الموضوع ده مش مسموح إنه يتفتح.. وياريت توصلها الكلام ده علشان تريح هي كمان نفسها وتنساني زي ما نسيتها.

– انت متأكد يا توفيق إنك نسيتها؟!

– آه طبعا.. وعلى فكرة أنا خلاص قررت أتجوز وأشوف نفسي.. ودي من ضمن الحاجات اللي بافكر فيها زي الانفصال عن موسى بالظبط.

– يا توفيق.. ما تضحكش على نفسك..انت لا نسيتها ولا هتنساها.. ومش هاقعد أقوللك كلام صدعتك بيه وضميرك كمان قالهولك ٦٠ مرة، إنها مالهاش ذنب في اختيار قدرها... وإن كدبها عليك كان علشان ما تضيعش من إيديها..لكن هاقوللك حاجة واحدة بس..خليك على قرارك ما تغيروش..بس روح لها وقابلها واسمعها للمرة الأخيرة.. لأنها بتقول إن عندها كلام كتير عايزة تقوله.

كعادته سهل الإقناع، طفق يفرك جبينه بيده وينفث دخان سيجارته بقوة.. وينظر لـ (ناجي) تارة وإلى السقف تارة.. ثم أشار إيماءً بالموافقة، فابتسم له (ناجي) ابتسامة يفهمها أمثال (توفيق) أنها روح الصداقة والود، ويفهمها على مرادها من يعرف هذا الرجل، فيرى فيها عبارة واحدة لا سواها، مفادها: من الذي يملك معارضتي ومنعي مما أريد؟!

بدأ (ناجي) التحرك.. و(موسى) كذلك.. كلاهما قرر وحدد يومًا لإنهاء كل شيء وتنفيذ مراده، والتخلص من الآخر. حيث أخفى (موسى) عن أخيه ما قرر أن يفعله، واختار يوم السبت القادم كبداية للأسبوع موعدًا لتصفية (ناجي) وطرده من الشركة بعد مواجهته بصوره مع الخواجة (نيرو)، وبملفات اختلاساته المالية المثبتة، وصوره مع (سعاد) وهي بجانبه في سيارته التي اقتناها بعد عمله في المعهد.

أما جبهة (ناجي) فكانت هي الأخرى حافلة بالمفاجآت غير التقليدية، وكانت أكثر استباقًا حيث قرر تنفيذ خطته يوم الجمعة العطلة الرسمية،

حيث يخلو المعهد من الموظفين والطلبة، وأقنع (توفيقًا) بأن مكتبه في هذا التوقيت هو المكان البعيد عن عيون الناس وناضورجية وبصاصي (موسى)، وهو المكان الأنسب للقاء (سعاد) بعد كل هذه المدة الطويلة علَّه يكون بداية انطلاق علاقتهما من جديد.

وفي اليوم الموعود.. بعد صلاة الجمعة.. وقبل أن يتوجه (ناجي) لبيت (سعاد) لإبلاغها بالخبر السعيد، اتجه للحانة حيث موعد مقابلته مع الخواجة (نيرو) لإطلاعه على كل التطورات، ولم ينس أن يأخذ معه منديل بدلة (توفيق) الذي سحبه خلسة يوم لقائهما، وقرر منحه (سعاد) تسهيلًا لمهمته.

كان سكن (سعاد) وزميلاتها مميزًا مطلًّا على شارع هادئ عمودي على البحر، بابه مكشوف على طريقة (شاليهات) الإسكندرية القديمة، قبله سلم طويل جانبي يؤدي إليه، لذلك كان أيٌّ من المارة يتمكن من معرفة من يدخل البيت ومن يخرج منه.

ركن (ناجي) سيارته أمام بيت (سعاد)، وصعد السلم وهو لا ينظر هذه المرة يمينًا ويسارًا خوفًا من نظرات المارة، ثم طرق الباب بثقة، ففتحت (سعاد) شراعة الباب وكانت المفاجأة من خلال هذا الحوار:

- نعم؟!!

- مش هينفع تعملي المرة دي زي المرة اللي فاتت وتطردديني لأني مش هاسمح بده، وكمان علشان عندي ليكي خبر حلو.. فافتحي الباب بسرعة

من فضايح ومن سكات.. ولو حابة انتي اللي تيجي معايا نلف بالعربية شوية مفيش مانع هستناكي بس بسرعة.

نظرت له (سعاد) من خلف الشراعة بريبة، ولكنها أشارت بالموافقة، وقبل أن تغلق الشراعة بادرها (ناجي) بقول:

- إإإإإ باقوللك إيه..ما تخرجيش كده..عايزك تبقى في أجمل حالاتك..على سنجة عشرة.. زي كده ما كنتي بتروحي تقابلي توفيق هههههههههههههه

أغلقت (سعاد) الشراعة بعنف مُسْتسخِفة ما قاله (ناجي)، ولكنها بالفعل خرجت بعد نصف ساعة متألقة في أبهى صورة، فضلًا عن جمالها الأخاذ في كل أحوالها، فبدت كأنها فراشة ملونة وجميلة تحلق بأجنحتها أوان الربيع، ونسيم البحر يداعب خصلات شعرها البني الفاتح، ويكشف عن وجه نضر وهي تشيح بعض هذه الخصلات عنه وتضعها خلف أذنها في دلال.

ولم ينس (ناجي) أن يتفحصها جيدًا ويطلق صافرة الإعجاب بها وهي تنزل درجات السلم في حرص لذيذ، خوفًا من السقوط لارتدائها صندلًا بالكعب العالي ذا سيور طويلة، كان (توفيق) يطلبه لأنه يحب شكل قدميها وساقيها فيه. ويبدو أن هناك شخصًا آخر على الجانب المعاكس للشارع سحره جمالها فالتقط الصورة الأخيرة لها وهي تركب سيارة (ناجي) ليذهب بها ويسلمها للشيخ (موسى المراغي).

دخلت (سعاد) السيارة، وهي مقطبة الحاجبين، فما كان من (ناجي) إلا أن راح يتشمم الهواء داخل السيارة بقوة وبصوت لافت، في إشارة منه إلى أن عطرها الذي اختارته جميل، ثم واصل جرأته وسخافته قائلًا:

– الله..ايه الريحة الحلوة دي..ده برضه البارفان اللي بيحبه توفيق؟!

– ناجي.. اتلم.. أنا سبق وحذرتك قبل كده.. أسلوبك ده وطريقتك دي تكلم بيهم واحدة م الصبع بتوعك..مش أنا.

– ايه بس يا سوسو..مالك.. نفسي أعرف ايه اللي قلبك من ناحيتي.. من يوم ما اشتغلت مع توفيق وعلاقتنا ما بقتش زي الأول.. صح؟!

– لأم مش صح.. لأن لا انت ولا توفيق بتاعك تفرقوا معايا.. أنا بس زي ما تقول اكتشفتك على حقيقتك.. ما كنتش شايفة فيك زمان لما كنا صحاب حتة الأنانية والمصلحجية البشعة اللي فيك دي.. انت شخص لازم تستفيد من كل اللي حواليك وبأي تمن.. مهما كان التمن ده على حساب ناس تانية... ولعلمك أوعى تكون فاكر إنك بتيجي هنا علشاني وعلشان تحافظ ع الصداقة القديمة وعلشان تعمل فيها دور حمامة السلام بيني وبين توفيق؟!

– أومال علشان إيه يا فالحة؟!

– أنا فاهماك كويس يا ناجي.. انت ما تنفعش صاحب لأي حد..أولا توفيق نفسه نسيني وانا كمان نسيته..أما حكاية مجيك هنا للبيت فانت فاهم

وانا فاهمة إنه علشان البت (نوجا)،ولا انت فاهم إني نايمة على وداني مش عارفة انك بتجيلها هنا لما تبقى لوحدها وتعملوا اللي نفسكم فيه.. ضحكت ع البت علشان مقطوعة من شجرة وفاكر إنك ممكن تعمل ده مع أي حد.

– برافو..ده انت هايلة أهو..وإيه كمان؟!

– أنا جيت معاك بس علشان أنا لوحدي في البيت.. وعلى فكرة احنا اتفقنا نمشي نوجا وماهاش قعاد معانا

– طيب.. بمناسبة ريحة البارفانات بقى... خدى المنديل ده وشميه كده.

أخذته (سعاد) في ريبة وشك، ثم وضعته على أنفها فقالت على الفور في لهفة:

– ده منديل توفيق.. مش فاهمة؟!

– علشان انت غبية..وظالمة..ومندفعة..وفاكرة إني نسيت الصحوبية اللي بينا أيام الجامعة وندوات الشعر والمسرح وشلتنا اللي كان الكل بيحلف بيها.. اسمعيني يا سعاد..أنا مش هانكر علاقتي بالبت نوجا.. لكن صدقيني أنا ما ضحكتش عليها.. اللي حصل بمزاجها وانت عارفة م الأول إني راجل باحب الستات المايصة، وكنتي مصاحباني على عيبي، لكن انا أعرف أفرق كويس بين واحدة وواحدة، وعارف إن صوابعك مش زي بعضها وإن الظروف ممكن تخليكي تسكني مع واحدة مش شبهك.. ده كله كوم وحكاية إني بجد مستخسر حبك انت وتوفيق كوم تاني..

يا سعاد أنا فعلًا باحاول أرجعكو لبعض.. أنا كنت شاهد على حبكم وشفته بيتولد ويكبر قصاد عيني.. ومش هاكدب عليكي وأقوللك إن توفيق كان متجاوب.. بس برضه ما كانش رافض.. يا عبيطة توفيق مش بس لسه بيحبك.. ده بيموت في التراب اللي بتمشي عليه!!!

بدأت حماسة (ناجي) تزداد مع تغير ملامح وجه (سعاد) للبراءة والهدوء والاستجابة لما تسمعه، فواصل الضغط والإقناع وبقوة:

– ولعلمك.. أنا المرة دي مش جاي العب دور حمامة السلام أنا جاي أبلغك رسالة واضحة وصريحة منه هو شخصيًّا..

– منه هو؟!

– أيواااا.. توفيق نفسه خلاص سلِّم.. ومش قادر يبعد عنك أكتر من كده.. وكفاية بقى سنة ضاعت من عمركم.

– آآآآه آه والله يا ناجي..معاك حق..أأأ بس ما قلتليش..رسالة إيه..قالك إيه ها؟!

– (ضاحكًا): هههههههههه يالهوي عليكي أوام طبيتي كده..مش نتقل شوية؟!

ابتسمت (سعاد) الابتسامة التي أثبتت لـ (ناجي) أنها وقعت في حبال مراوغاته ومكائده، هي الآن كالدمية، تمامًا كالدمية الأخرى التي يحركها (ناجي) في كامب شيزار.

- بصي بقى يا ستي.. المنديل اللي في إيدك ده من توفيق وباعته معايا إثبات لحسن نيته وبيترجاكي توافقي تقابليه في مكتبه انهارده بعد ساعة من دلوقت علشان تسمعيه وتشوفي عايز يقوللك ايه، وإنه بجد ندمان إنه ما فهمش ظروفك وفرط فيكي.. وكلام تاني كتير هو بقى يقولهولك بنفسه علشان أنا زهقت منكم انتوا الاتنين...قلتي إيه يا ست الكل؟!

بكل جمال وأنوثة وفتنة ورقى في الحب، ابتسمت (سعاد) وربتت على كف (ناجي) معبرة عن اعتذارها، وقالت بصوت خافت:

- أنا جاية معاك..يالا بينا.

تنهد (ناجي) وأدار بالمفتاح محرك السيارة، معلنًا انطلاقه، وقبل أن تتحرك عجلات السيارة كان يشير بغمزة عين لرجل مريب تبدو عليه علامات الشر وهو على الجانب الآخر من الشارع يركب سيارة وينتظر الإشارة للحاق به.. فتحركت السيارتان معًا في اتجاه مكتب توفيق.. حيث مسرح الأحداث النارية في (كامب شيزار).

عودة إلى القاهرة ٢٠١٨...لا زال (حمزة) يواصل حكيه و(ليلى) و(عمار) ينصتان له بشغف ليعرفا نهاية (سعاد غمراوي) وكيف امتد الخيط الزمني لتصل توابعه اليوم داخل قصر المراغي في المعادي.

داخل سيارته الفارهة المكيفة، كان (حازم) يجلس في المقعد الخلفي ويمسك بهاتفه المحمول محدثًا ابنته (ملك) وهو على أعتاب دخول الشارع المؤدي لمقر شركة الدكتور ناجي حلاوة، حيث موعد لقائهما المتفق عليه بينهما.

- ايه يا حبيبتي..صحيتي؟!

- آه يا بابا..

- طب قومتي م السرير ولا لسه.. علشان عايز أعرف أخوكي أخباره إيه؟!

- مش عارفة أنا لسه صاحية حالا.. بس بيتهيألي الدادة فاطمة معاه.

- أيوا ما أنا عارف إنها بايتة معاه من إمبارح بس باسأل علشان اطمن

- ما تقلقش يا بابا.. أنا هاقوم أروح أشوفه.. وأكيد طنط ليلى مش هتسيبه يعني!!

- لا طنط ليلى خرجت م الصبح بدري ولو رجعت هتكلمني.

- ماشي يا بابا.. هاطمنك علطول.

- طيب يا حبيبتي.. خليكوا جنب بعض واقعدي معاه ولاعبيه.. بلاش حكاية كل واحد في أودة دي.. معلش عارف إن اللي بيحصل ده فوق طاقتك يا حبيبتي بس معلش.. احنا يومين كده وهنسافر بره مصر نروق دمنا.

- ماشي يا بابا..

ترك (حازم) السيارة للسائق على باب الشركة، واتجه لمكتب الدكتور نصر حلاوة في الدور العشرين، وأثناء ركوبه للأسانسير كان الركاب يخرجون واحدًا تلو الآخر حتى خلا دون شابة جميلة ترتدي ملابس رسمية يبدو عليها الرقي كانت تقف أمام الباب عند اقتراب الوصول للدور رقم (٢٠)، فاستأذنها (حازم) بأدب قائلًا:

- بعد إذن حضرتك يا فندم؟!

لم ترد.. ولم تبالِ بما يقول.

- يا آنسة لو سمحتِ.. أنا نازل هنا.

في هذه اللحظة انفتح الباب، واستدارت الفتاة مفسحة الطريق ولكنها أمسكت ذراع (حازم) برقة وقالت بهمسة خاطفة في أذنه:

- إوعى... إوعى تبيع الفيلا!!!

كان رد فعل (حازم) أهدأ بكثير من المتوقع والمفترض، حين شاهد زوجته القديمة (بيريهان) وهي تحدثه وجهًا لوجه، لكن هذا الهدوء كان مصحوبًا بشبه إغماءة جعلته يترنح على باب الأسانسير، قبل أن يسعفه موظفو الشركة ويحاولوا إفاقته.

بطريقة خاصة وضع (د.ناجي) كفيه خلف رأس (حازم) وراح يدلك خلف أذنيه بطريقة منتظمة حتى أفاق على الفور، فأخذ نفسًا عميقًا ثم نظر لمن حوله فاعتدل في جلسته وسلم على (د. ناجي) و(نسرين) مديرة مكتبه.

- اتفضلي انت على مكتبك يا نسرين...إيه يا سيدي.. مالك ما بقتش عارف تصلب طوللك هههههههه.

قالها (د.ناجي) ممازحًا (حازم).

- اه والله يا دكتور.. مااعرفش إيه اللي بيحصل للواحد ده.. وضع غريب جدا..وحال ما يطمنش خالص.

- لا لا... ولا وضع غريب ولا حاجة.. ما تقلقش.. انت محتاج بس شوية تغيير انت والأسرة وحبة استجمام.. محتاجين تسافروا كام يوم بره مصر..مع مهدئ لطيف تاخد منه حباية قبل النوم هتبقى زي الفل.

– طب إيه يا دكتور؟! إيه تفسير اللي بيحصل ده؟! مين الست اللي شفتها دي وولادي شافوها؟! أنا هاتجنن!!

– انت أخبار الكابوس بتاعك إيه؟! لسه بيجيلك؟!

– (ضاحكًا بألم): هههههه لا طبعًا.. لأنه بقى يجيلي في الحقيقة.

– هههههههه... أيوا كده يا عم اضحك على همومك..

– أضحك إيه بس يا دكتور.. أنا مش هارتاح إلا لما ألاقي تفسير للي بيحصل ده.

– غلط..مش صح.

– هو إيه اللي غلط مش صح؟!

– إنك تحاول تدور على تفسير لكل حاجة في الحياة.. ربنا خلقها خليط بين الثوابت والقوانين + مجموعة من الألغاز اللي بتخضع لقوانين برضه.. بس قوانين خفية لعوالم خفية إحنا لا نملك إننا نفهمها أو حتى ندور وراها.. اللي علينا فقط مجرد التسليم والتطنيش والتفويت...تعرف تطنش يا حازم بيه ولا ما تعرفش؟!

– أطنش.. أطنش إزاي.. لا يا دكتور..ممكن يكون الموقف علميًا بالظبط زي ما انت بتحكيه كده..ده مجالك وانت أكيد ضليع فيه وقاري وفاهم.. لكن معقول ممكن أنسى كل اللي حصل واعتبره كأنه ما حصلش..بيتهيألي صعب يا دكتور.

– لا هتنسى..طبيعة الحياة كده..كل ما تبعد عن الألم بيصغر في عقلك الباطن ويتضاءل لغاية ما يبقى قابع في أعماق الذاكرة، ممكن تفتكره بس مش هتخاف منه.

– تمام..بس ده لو ما فضلش موجود وقائم.

– بالظبط كده.. وعلشان كده أنا كنت عايز أطرح عليك الحل وعارف إنك بتثق فيا وفي حبي ليك زي ابني بالظبط.

– طبعا يا دكتور..ده حضرتك من الناس اللي بتسندني في حياتي أصلًا.

– بص يا حازم.. من غير ما أخش في تفاصيل علمية ما تهمكش.. أنا هبسطلك حقيقة اللي بيحصللك ده.. الخلاصة باختصار إن العالم ده كله مبني على فكرة الطاقة الموجبة والسالبة.. حتى المشاعر والأحاسيس..الحب والخير طاقة موجبة..الكراهية والشر طاقة سالبة.. والفيزيقا والميتافيزيقا الاتنين بتتحكم في قوانينهم الطاقات الموجبة والسالبة..

أسرتك م الآخر أصبحت تحت التهديد..لأنها خرجت من نطاق الطاقة الإجابية وإحداثياتها، وسبب ده أسلوب حياتكم والمكان نفسه..

– أسلوب الحياة وفهمناها يا دكتور..أنا عارف إيه نوعية المشكلات اللي لازم أحلها علشان أهيأ لولادي حياة كويسة مع ليلى لأني برضه بحبها وما اقدرش استغنى عنها..لكن المكان دي مش فاهمها.

– على رأيك كلنا نقدر نغير أسلوب حياتنا للأفضل.. لكن الصعوبة في فكرة المكان.. المكان لما يبقى أصلًا مشع للطاقة السلبية فده مالوش غير حل واحد فقط.. وهو زي ما بيحصل في الأفلام الأجنبية لما يبقى البيت فيه مشاكل يبقى لازم يتشاف بديل.. وفورًا.

في أقل من ثانية حدث لـ (حازم) تشويش ذهني أجبره على إغلاق عينيه لثوانٍ ليرى ويسمع الصوت الذي حذره مجددًا:

– إوعى تبيع الفيلا..أوعى!!

نهض (حازم) من مكانه منتفضًا، فاندهش الدكتور (ناجي) قائلًا:

– إيه يا حازم؟ مالك؟!

– (بارتباك شديد): لللللا لا لا مفيش حاجة يا دكتور.. افتكرت بعض الحاجات المزعجة بس...

– طب اهدا وروَّق .. سيبك م القهوة..وهاطلبلك ليمون هيعجبك أوي.

– ماشي يا دكتور..

– المهم..نرجع لموضوعنا.. بالصدفة طلع انت ومراتك وولادك أبراج مائية..والمكان اللي فيه القصر حاليًا لا يتواءم مع أبراجكم المائية دي.. ده بخلاف إنه مبني على بير كبير من الطاقة السلبية..علشان كده لازم تشوف بيت تاني وتبيع البيت ده.

- طيب مالي هيشتري البيت هيعيش نفس المأساة!!

- مش بالضرورة..

- انت شايف كده يا دكتور؟!

- سيبك م اللي أنا شايفه..انت مقتنع

- الصراحة مش أوي..بس مضطر أبقى مقتنع.. ما قداميش بديل تاني.

- ما تحسبهاش كده.. اقنع نفسك بالحل ده لأنه صدقني مفيش غيره.. وانا هاعمل معاك خدمة العمر..

- إزاي يا دكتور؟!

- أنا هاشتري منك البيت يا حازم.. وهاهد القصر..أنا بس اللي فاهم المكان ده.. وهاعرف أتعامل مع المكان جيولوجيًّا وفيزيائيًّا لتطهيره من الطاقة السوداء دي.. فيه طريقة بناء وتشييد معينة وباستخدام خامات معينة وأخشاب معينة.. ولازم يبقى المبنى زجاجي وواخد شكل معين وله قباب مخروطية.. وقصة كبيرة كده المقاولين والمهندسين عندنا هيعرفوا يظبطوها..

تسمَّر (حازم) في مكانه، ووجد الكلام محشورًا في فمه، ولم يجد ما يرد به على هذا العرض، ورغم ما فيه من حالة تشظي وتشتت ورعب جراء ما يحدث له فقد كان ميالًا لهذا الحل الذي يخلصه من مكان لم يعد أليفًا بالنسبة له ولا يروق له أو لأحد من أسرته، وأصبح ممتلئًا بما يكفي بالذكريات السوداء المؤلمة، لذلك اكتفى (حازم) بالابتسامة للدكتور (ناجي) وعجز عن الرد.

– خد راحتك يا ابني.. دي حاجة ترجعلك..أنا باعمل ده علشانك.. فكر براحتك خالص..وخد رأي مدام ليلى.. بس خد بالك.. افتكر إن الوقت بقى مش في صالحكم.. ولازم تاخد قرار سريع.

– ماشي يا دكتور..باذن الله هارد على حضرتك بكره بالكتير..وربنا يسهل

لم يشعر (حازم) بالاحتياج لزوجته وللحديث معها من قبل بقدر ما كان محتاجًا لها الآن، لذلك أعطى للسائق مبلغًا يكفيه ويفيض لكي يذهب لبيته ويترك له السيارة، وبمجرد دخوله انخرط في البكاء كالأطفال، واندفع من عينيه هدير الدموع.

آآآآه من كابينة السيارة!!!

إنها مصنع الأسرار الكامنة.. كم سمع صالون السيارة من أحاديثنا وشكوانا وبكائنا وصلفنا وغرورنا وضحكاتنا وأغانينا.. لو حكا صالون السيارة عما يسمع ويعرف لانكشفت نفوس البشر بما لا يحتمل!!

وبعد البكاء والنهنهة كالأطفال.. هدأ (حازم) وارتاح، ثم أمسك التليفون وراح يتصل بـ (ليلى) التي كانت هي و(عمار) جالسين مشدوهين ومنتبهين تمامًا لما يحكيه ويرويه (حمزة المراغي) الشخص الثاني على وجه الأرض بعد الدكتور (ناجي) الذي يعرف حكاية (سعاد غمراوي) ومن أحاط بها فاكتوى واحترق معها بالنار.

تليفون (ليلى) لا يتوقف عن الرّن داخل حقيبتها.. وكذلك (حمزة) لا يتوقف عن الحديث.. وحكاية (سعاد) وهي تسير لقدرها المحتوم برفقة أيقونة الشر (ناجي نصر حلاوة) تفرض على من يسمع الانصات والانتباه مشدوهًا لمعرفة ماذا سيحدث في (كامب شيزار)؟!

كان (الشيخ موسى) يرمق أخاه من بعيد وهو في (البلكونة) في كامل أناقته، وينفث دخان سجائره بقلق ويشعل الواحدة تلو الأخرى، ففهم أن هناك شيئًا ما يدور ويتم الترتيب له في الخفاء، أو أن (توفيقًا) يعتريه القلق من الانتظار والترقب لموعدٍ ما، لذلك لم ينتظر كثيرًا حتى كسر حاجز الصمت ودخل عليه، قائلًا بود ولطف مصطنع نظرًا لما كان بينهما في الأيام الأخيرة:

- سلامو عليكم.. إيه يا حاج توفيق.. انت مستني حد ولا إيه؟!

- لأ..ليه؟!

- أبدًا..أصلي شايفك قلقان كأنك مستني تليفون.. أو حد يعدي عليك؟!

- موسى.. باقوللك إيه ممكن تطلعني من راسك شوية؟!

- هو خلاص..بقى أي كلام أقوله بتعتبره تدخل في حياتك؟!

– يا سيدي أنا فاهمك أكتر ما انت فاهم نفسك.. انت عايز تعمل فيها أبويا من ساعة ما أبويا اتوفى.. ونفسك تتحكم فيا والسلام..عايزني نسخة منك.. وده مش هيحصل..ارتحت؟!

– لا أنا الحمد لله مرتاح.. انت اللي مش مرتاح وتعبان من ساعة ما قلعت توبك وتوب أهلك ورايح تتسرمح مع السُّكرية وتحب لي في بنات لا من توبنا ولا شكلنا.

– يعني لازم أتجوز جوازتك علشان أبقى صح؟!

– (بعصبية وصوت عالٍ): إنت حقير وسافل وقليل الربابة.. اختار كلامك يا عديم الأدب وانت بتتكلم معايا!!!

– (بأسف وندم): أأأأنا آآآآسف..آآسف يا موسى.. ده الحاجّة رتيبة يعلم ربنا على راسي من فوق وست طيبة وهدية من السما... بس..بس انت اللي اضطريتني أتكلم كده..يا موسى..يا موسى افهمني..صوابعك مش زي بعضها.. أنا ما بقتش عارف أرضيك ولا أعيش حياتي زي ما أنا عايز وزي ما أنا مختارها.. كل واحد يا أخي حر وكل واحد يشيل شيلته!!

– أيواااا صح.. كل واحد يشيل شيلته.. بس انت مش حر في الشراكة اللي بينا..عايز تغرق اغرق لوحدك.. لكن ما تغرقناش كلنا معاك.

– قصدك إيه؟!

– استناني دقيقة.. هاجيبلك حالًا ملف فيه صور وأوراق وحسابات.. عايزك تشوفه وتطلع عليه بعناية.. لأني بارتب فيه بقالي شهور.. وبعد ما تشوفه هابقى أقولك قصدي إيه.

كان (موسى) متأكدًا وعلى يقين تام بأن (توفيق) سيغير رأيه وينقلب تمامًا على (ناجي حلاوة) بمجرد معرفة أنه حليف الخواجة (نيرو)، وستجري في عروقه دماء الغيرة على الأرض وحق الأجداد، فضلًا عن الصور الأخطر في دوسيه (ناجى حلاوة) التي التقطت له مع (سعاد غمرواي) في أكثر من مرة، وهي تضحك تارة وهي تركب بجانبه السيارة تارة أخرى، قبل أن تنقلب عليه وتنفر منه بعد أن افتضح أمره مع زميلتها (نوجا).

وبعد أن تصفح (توفيق) الصور وهو يستمع لتعليقات وآراء أخيه في ذات الوقت، بدأ يمتلئ بالغيظ والحنق تجاه (ناجي)، لذلك كانت المهمة الأصعب هي الرد على رنات تليفون المنزل وهو يعلم جيدًا أن المتصل هو (ناجي) بناء على اتفاق بينهما، وأن الموعد المرتقب للقائه بـ (سعاد) قد حان بناء على رغبة ملحة منها كما أفهمه (ناجي)، لتجدد الوصل وتعتذر عما سلف، وتعلن بداية جديدة مع حبيبها الأول.

طفق (توفيق) ينظر بتركيز وغيظ لتليفون المنزل، ثم ينظر للصور، حتى سكت الهاتف عن الرن، وقبل أن يهم (موسى) بسؤاله البديهي: (هل تنتظر هاتفًا من أحد؟)، عاود التليفون الرن مجددًا لينهض (توفيق) من مكانه سريعًا عازمًا على الرد.

- ألوو.

- ألوو.. أكلم (توفيق) بيه لو سمحت؟!

- توفيق معاك يا ناجي.

- إيه ده؟! صوتك ماله متغير كده ليه؟! فيه إيه؟ مالك؟!

- مفيش.. انت بتتكلم منين؟!

- أنا يا سيدي باتكلم من المعهد ومش هتصدق مين معايا دلوقت..

سعاد وسايبها قاعدة في مكتبك، وكلها شوق وحنين وهتموت وتشوفك.. أنا ملقيتش مكان أنسب من مكتبك تتكلموا فيه لأن المعهد فاضي انهارده زي ما انت فاهم و..

- اطردها حالًا من مكتبي..

- نعم؟!!

- اللي سمعته يا ناجي...وفورًا!!

- يعني إيه يا توفيق هو لعب عيال.. احنا مش اتفقنا.. طب بتصغرني ليه؟!

- لو ما طردتهاش م المكتب حالًا.. أنا هاجي وهاطردها.. أما انت فحسابك معايا بعدين.

- إيه اللي بتقوله ده.. انت جرا لمخك حاجة؟!

- لا أنا لسه بعقلي.. بس كنت هاضيع من مشيي وراك يا حرامي يا كلب يا وضيع.. اسمع.. انت تستناني لما آجي علشان تسلمني مفاتيح المكان وكل حاجة وبعدها مش عايز أشوف وشك تاني.. وتحمد ربنا اني ما بلغتش البوليس.

فوجئ (توفيق) بسماع صوت (تون) التليفون وبإغلاق المكالمة في وجهه، فأدرك على الفور أن هناك أمر يريد (ناجي) أن يمضيه بسرعة ثم يهرب قبل افتضاح أمره، فهرع فورًا للنزول وركوب سيارته متجهًا للمعهد.

- توفيق...توفيق... استنى يا توفيق أنا جاي معاك.. مش هاسيبك تواجه الشيطان ده لوحدك!!

قالها (موسى) وهو ما بين مشاعر متناقضة بعضها إيجابي بأن أخاه قد استفاق وفهم ما يجري من حوله، وأكثرها الخوف مما سيحدث، فقد كان (موسى) يشعر دائمًا أن (ناجي) يمتلك قوة شر ليست بشرية أو طبيعية.

نصف ساعة من الزمن كانت مسرحًا زمنيًّا للأحداث .. هي ذات الوقت الذي استغرقه (توفيق) و(موسى) قبل وصولهما لمقر المعهد.

نصف ساعة تخللها حسب شهادة الشهود المحيطين صرخات استنجاد نسائية متقطعة.

بعد هذه النصف ساعة كان مقر المعهد مركزًا لتجمهر أهالي كامب شيزار ومعهم سيارات الشرطة وسيارة الإطفاء الوحيدة في الإسكندرية آنذاك، لتطفئ أكبر حريق شهدته المنطقة منذ سنوات.

حريق غريب من نوعه.. عصي على الإطفاء.. يتجدد اشتعاله من تلقاء نفسه.. يعلو لهيبه إلى عنان السماء.. حتى أن الإطفاء الكامل للحريق لم يحدث إلا في اليوم التالي، اليوم الذي شهد استخراج الجثث المحترقة.

حيث خرج من المبنى الخالي من العاملين يومئذ، جسدان محترقان عاريان تمامًا ومجردان من الملابس، بصعوبة تعرف ملامحهما لكن من السهل جدًّا معرفة أن أحدهما رجل والآخر امرأة.

وقد سهل مهمة التعرف عليهما تمامًا سوء حظهما العثر، في نجاة حقيبة المرأة ومحفظة الرجل التي تحمل هويتهما.

أما بطاقة المرأة فتحمل اسم: سعاد محمد حسنين غمراوي.

وأما الرجل فتحمل اسم: صبحي محمود السيد عزب.

كان الأهالي المحيطون بالمبنى المحترق يعرفون ومعهم (توفيق) و(موسى) من تكون سعاد غمراوى، وبدأت الألسنة تحكي وتذبح وتقطع وتلتهم..

لكنها لم تعرف من يكون هذا الرجل الجديد على مسرح الأحداث، إلا شخص واحد بعد الحادث بيومين حين قرأ الخبر في صفحة الحوادث وشاهد صورته بجانب سعاد غمراوي تحت عنوان:

(احتراق جثة عشيقين مارسا الرذيلة داخل معهد لتحفيظ القرآن).

هذا الرجل هو (الناضورجي) الخاص بـ الشيخ (موسى) الذي التقط لسعاد آخر صورة في حياتها وهي تتحدث مع (ناجي حلاوة) أمام منزلها، حيث عرف من يكون المدعو (صبحي محمود عزب).

إنه ذلك الرجل الذي حصل على إشارة الضوء الأخضر من (ناجي حلاوة) بغمزة عين، وانطلق خلفهما بسيارته ولكن (الناضورجي) ندم على أنه لم يلتقط له صورة خاطفة كان يمكن أن تثبت تورط (ناجي حلاوة) في الجريمة التي قُيدت ضد مجهول.

لكن...

أين ذهب شيطان الإسكندرية الأعظم؟! أين اختفى (ناجي نصر حلاوة)؟!

لقد ذاب كالملح في البحر ولم يعد له أثر، الأغرب أن الخواجة (نيرو) أيضًا لم يستطع التوصل له أو التنبؤ بمكان اختبائه، حين بحث عنه ليكون واجهة تدعمه ضد آل المراغي، الذين طرحوا الأرض للبيع في المزاد العلني بعد تشاؤمهم مما حدث، فأراد (نيرو) أن يدخل (ناجي) باسمه كمصري الجنسية في هذا المزاد، ويشتري الأرض بأموال (نيرو) فيصبح المالك الحقيقي من الباطن، ومن ثم تعود الأرض لأصحابها القدامى حسب زعمه.

لم يعجز (نيرو) عن تنفيذ مخططه، حيث أتم تلك الصفقة مع أحد تجار الخمور ومستورديها في الإسكندرية واشترى الأرض التي أقام على نصفها فندقًا كبيرًا.

أما النصف الآخر الذي كان فيه المبنى المحترق فقد تُرك كما هو بعد أن أغلقه البوليس بالشمع الأحمر ولم يدخله أحد، حتى قرر (نيرو) إعادة افتتاح ما اشتُهر قديمًا لدى كل أهالي الإسكندرية بـ (حانة كامب شيزار).

ولكن القدر كان يأبى، حيث كانت عصية على أن تقبل دخول عامل واحد للمبنى ليعمل ويبدأ في هد المبنى، وهناك العديد من الحكايات المعروفة في كامب شيزار عن عمال أصيبوا بلوثة جراء تجرؤهم ودخولهم المبنى المحترق، حتى أن الخواجة (نيرو) لم ييأس وحاول مرارًا وتكرارًا ولكن دون جدوى، كانت اللعنة تحل بمجرد أن يقترب أحدهم من باب المبنى ويهم بفتحه.

فبقي طللًا قديمًا شاهدًا أمام الناس والحي والإسكندرية كلها على مصير أية علاقة آثمة بين رجل وامرأة، ومبنى مخيفًا تنعق فوقه الغربان، وتدور حوله الأساطير والحكايات.

هكذا بين عشية وضحاها. .قُتلت (سعاد غمراوي) بعد احتراقها عارية في النار وتفحم جثتها.. واختفى (ناجي نصر حلاوة) ولم يعد له أثر..

ومرت السنوات.. استقر الشيخ (موسى) بـ حي اللبان، وعاش في سلام مع زوجته وولديه..

غادر (توفيق) الإسكندرية وقرر ألا يعاود زيارتها، واتجه للقاهرة ليبدأ حياة جديدة بالعمل في التجارة الحرة والاستيراد والتصدير ثم سافر إلى ألمانيا

وعاش هناك لعدة سنوات.. قبل أن يستقر في القاهرة مجددًا في قصره المنيف بحي المعادي ويتزوج السيدة (جميلة) وينجب (حازمًا) و(سلمى).

وماذا بعد..

ماذا عن ملف الماضي الذي ترك هملًا في كامب شيزار؟!

قديمًا.. ذُكرت بعض الأساطير والخرافات اليونانية أن من قُتل وأُزهقت روحُه وهو يحترق ويصارع جسده وجلده وعظمه لهيب النار، فهو يتجاوز حاجز الوفاة الطبيعية، ويتخطاه إلى مدى أبعد من التعملق والخارقية، فيتحول إلى غول عظيم، وشبح ترافقه اللعنات، يأكل الأخضر واليابس ويتعقب الجناة وينال منهم.

وفي التراث الديني والعقائد الشرقية الإسلامية منها والمسيحية واليهودية، أن كثيرًا من الحقائق والألغاز التي تكمن خلف العديد من الجرائم لم يُعرف لها حل أو يفهم لها تفسير في عالم الدنيا، ستبقى ألغازًا وعلامات استفهام، حتى تتبدى حلولُها وإجاباتُها جلية واضحة في دار الحق أو يوم تنكشف كل الأسرار، وتلتقي جميع التساؤلات بإجاباتها المتشظية في عالم الهواجس.

وعلميًّا.. لا تزال رؤية أشباح الموتى والتعامل معهم أمرٌ لا يصح تعميمه أو منطقته لأنه لا يتعدى أمام سيف النظريات والقوانين البحتة مجرد محض هلاوس أو أوهام بصرية.

وسواء كان منطلق الفكرة هو الخرافة والأساطير.. أو كان الدين والعقائد أو كانت النظريات العلمية.. فما حدث في قصر المراغي وكابوس (حازم) المتكرر، وتأثير (ناجي نصر حلاوة) الطاغي في الماضي والحاضر، يوحي بأن هناك رسائل عديدة غير مفهومة ومعقدة وربما متناقضة كظهور أشباح (توفيق) وزوجته (جميلة) و(بيرهان) زوجة (حازم).

ولا شك أن هذه الرسائل الغريبة والمتناقضة، قد وجدت طريقها للظهور واخترقت عالم الحقيقة، على جناح شبح مكلوم.. غضوب.. يعاني.. يصرخ.. يتألم.. يحمل من الغضب ما يدمر ويحطم من يواجهه.

شبح بوزن امرأة محروقة وقدرها قتلها الحب وشوهتها ناره.. مغدورة ساقها هدف نبيل نحو حتفها.. شبح غضوب لن يرحم.. فلك أن تتخيل ماذا في وسعه أن يفعل!!

إنها قتيلة كامب شيزار.. سعاد المحروقة..

٣

ليالي الشتات

خلق الله (الهلع) لأمرين لا ثالث لهما..
إما أن يُبصّرُنا بحقائق فنمضي أقوياء..
أو يقضي علينا كلية فيفنينا

انتهت الحكاية وفرغ حمزة من سرد ملف الماضي الأليم..

كان من الصعب على (ليلى) أن تستمع لهذه القصة الغريبة، وأصبح لزامًا عليها أن تجتهد ذهنيًّا وتحاول الربط بين ما سمعت وبين ما يحدث في بيتها وفي بيت (عمار) و(سلمى)، خاصة أن (حمزة المراغي) قرر ألا يطيل اللقاء أكثر مما ينبغي، واكتفى بسرد ما يعرف سماعًا من والده وأخيه.

وعندما حاولت (ليلى) أن تعرف منه المزيد أو تحاول فهم رأيه فيما يحدث حاليًا في ضوء قصة الأمس، كانت النتيجة نفوره من المجلس ورفضه الحديث عما أسماه (هريع الفاضي). فغادر المكان فورًا وفي جيبه كارت بعنوان القصر أعطته إياه (ليلى) تدعوه لزيارة ابن عمه وتجديد التواصل المقطوع.

وقياسًا على ما شعرت به (ليلى) كان (عمار) أيضًا يشعر بالتشتت والضياع والخوف، بل إنه - على حد قوله - ازدادت حيرتُه عما كانت عليه قبل سماع قصة حانة كامب شيزار.

ولكن كلاهما تأكد تمامًا وزاد ظنهما عبر حديثهما معًا فور مغادرة (حمزة) للمكان أن هناك سرًّا كبيرًا ورسالة ما يحاول الماضي أن يلقيها إلى الحاضر، وأن ظهور أشباح الموتى له دلالة كبيرة قد تكون أكبر من قدرتهم جميعًا على الاستيعاب، خاصة أن فكرة التعامل مع (أشباح الموتى) ليست رائجة مطلقًا لدى الجنس البشري الطبيعي الذي اعتاد أن يحيا حياته اليومية كمعتاده دون مفاجآت تقلب موازين ثوابته العلمية رأسًا على عقب.

ودّع (عمار) (ليلى) متفقين على أن يظل ما سمعا سرًّا بينهما، إلى حين ظهور مفاجآت أخرى مقلقة ومزعجة تجبرهما على استئناف التحرك ومن ثم محاولة البحث عن تحليل لما يحدث في ضوء ملف كامب شيزار العتيق.

وفور ركوب (ليلى) السيارة استمَعَت ولأول مرة لرنات هاتفها المحمول وكأنه لم يرن من قبل، وشعرت بالصدمة حين عرفت أن هاتفها تلقى ٢٥ Missed calls من رقم زوجها (حازم)، فاستعدت لمشاجرة من النوع الثقيل.

- ألوو.

- (بانفعال): أيواااااا يا هاااااانم....كنتي فيييييين!!!

- أيوا يا حبيبي.

- حبيبي إيه وزفت إيه؟!!. أنا عايز أعرف حالًا حضرتك فين؟! وتليفونك كان فين؟!!

- أنا والله ما كنت سامعـ..

- إوعى تقولي ما كنتش سامعة التليفون.. علشان أنا من الساعة ٤,٣٠ باتصل بيكي.. والساعة دلوقت ٥,١٥ كل ده مش سامعاه.. ليه؟!!

- طب ممكن أتكلم؟!

- اتفضلي!!

- فاكر لما قلتلك على الدكتورة الشاطرة اللي بتعمل حقن بلازما في الوش، وقلتلك عايزة أروح لها؟! ها.. فاكر؟!

- فاكر ولا مش فاكر.. مالها؟!

- أنا م الصبح مع نادين صاحبتي عندها، وساعة ما كنت بتكلمني كانت شغالة في وشي.. طب أعمل إيه؟! ومش انت لوحدك اللي كنت بتتصل أنا لاقيت أرقام كتير طالباني.

- يعني عايزة تفهميني وعايزاني أصدق.. إننا مغروزين في البلاوي الزرقا اللي احنا فيها وسايبين شهاب في البيت نايم بمهدئ، وانت رايحة لدكتورة بلازما وتجميل؟!!!

- حاولت صدقني أغير المعاد بس كنت متفقة مع نادين من أسبوع.. وقبلها كنت باغير المعاد كذا مرة!!

- (بعد تنهيدة طويلة): ماشي يا ليلى.. ماشي...عمومًا أنا وصلت البيت.. انت قدامك قد إيه؟!

- أنا قدامي مسافة الطريق.. ربع ساعة بالظبط وابقى عندك.

- مستنيكي يا هانم!!

دائمًا ما كانت (ليلى) تمتلك تأثيرًا خاصًّا على (حازم)، فهو في الأغلب قد أحبها أكثر مما أحب زوجته الأولى أم أولاده، رغم أن أيامه مع (بيرهان) لم يكن يعكر صفوها شيء - على حد قوله - سوى أمرين:

الأول: حين داهمها المرض اللعين واستشرى في جسدها وتغيرت طباعها وصار علاجها أمرًا صعبًا، حتى توفيت في أثناء رحلتها للعلاج بالخارج وحدها في ألمانيا.

الثاني: علاقة (حازم) الوطيدة بـ (ناجي نصر حلاوة) وانقياده له، فكثيرًا ما اعترضت على أسلوبه معه، وانسياقه وراء اقتراحاته وتدخلاته في حياتهما، وكان هو يعترض على امتعاضها منه، ويؤكد لها أنه صديق عمر والده، ولم يجد منه إلا كل خير، وأنه صاحب ثروات طائلة ورجل ذكي يحظى بمركز مرموق في المجتمع وله مكانة علمية واجتماعية راقية تجبر أي شخص على احترامه واكتساب معرفته.

ورغم أن (حازمًا) التقاه لأول مرة بعد وفاة والده بسنوات، لكنه لم يكن على دراية بالتاريخ الحقيقي والتفاصيل الحقيقية للماضي كما هو شأن (حمزة

المراغي) الذي أطلعه الشيخ (موسى) على كل شيء، أما (توفيق) فاختار أن ينسى هذا الملف عامدًا متعمدًا ولا يتذكره مطلقًا ولا ينقل منه شيئًا لأولاده.

وكثيرًا ما كان يجلس (حازم) وحيدًا مصادفةً كهذا الوقت ينتظر فيه وصول ليلى، فيشرد ويتذكر الماضي القريب ويستمع إلى صوت زوجته الأولى (بيريهان) في الذاكرة وهي تناديه.

والآن.. وبعد ما رآها رأي العين، واستمع لصوتها رنانًا في أذنه يحذره من بيع البيت لـ (ناجي)، أصبحت لا تفارق خياله وتلح عليه كل ثانية، وطفق يفكر في مغزى هذه الرسالة.

تارة يعزوها لكرهها القديم لـ (ناجي)، وتارة يميل نحو فكرة أنها هواجس وطاقات سلبية معاكسة وحالة اضطراب مؤقتة تحتاج لعلاج واسترخاء وراحة، وتغيير أسلوب الحياة والمكان كما أقنعه (ناجي).

وفجأة، نهض (حازم) من مكانه بهمة وقال محدثًا نفسه بصوت عال:

- أيواااا هي تهيؤات..أنا بصراحة بقالي فترة مش راحم نفسي في الشغل وحياتي ماشية على وتيرة واحدة.. لا بنسافر ولا بنروح في حتة.. وبعدين البيت ده خلاص.. أنا اتشائمت منه.. مستحيل أرتاح فيه تاني بعد كل اللي حصل ده!!

وبعدين هي بيريهان هتتمسك بالبيت ليه..ده بيت أبويا.. بتاع عيلة المراغي.. هي تهيؤات.. وأفكار سلبية بتشوش ع الواحد وخلاص..

أنا لازم أبيع البيت..أيوا أنا هابيع البيت.. ياخده ناجي..ياخده اللي ياخده..أنا مالي!!

أنا هاخد العيال وليلى وأسافر أجازة طويلة.. نكون ظبطنا مكان تاني نرجع ونبدأ فيه حياة جديدة بإذن الله

شرد وسافر (حازم) محلقًا في أحلامه الوردية، ومحدثا نفسه بصوت عال، مسترخيًا على الأريكة لتصادف يده ملمسًا غريبًا على قماشها، يبدو كغبار هش يتفتت في يده، فنظر له على الفور ليجد في كفه ما يشبه الرماد الأسود المتفحم.

وفي ثوانٍ، اكتملت كل أعراض الـ Panic attak من ضيق تنفس، وتعرق زائد، وضربات قلب متسارعة، فنهض من مكانه مفزوعًا مناديا بأعلى صوته على الدادة فاطمة:

- فاطماااااااااا....يا فاطماااااااا

- (مهرولة مسرعة): أيوا يا حازم بيه؟!

- إيه ده؟!

- هو إيه سعادتك؟!

- اللي ع الكنبة ده؟!واللي في إيدي ده؟!

شعر (حازم) بالصدمة لثانية قبل أن تنطق (فاطمة) بالإجابة التي توقعها، وعرف ضمنيًّا من تراث الرعب السينمائي، أن المقصود بالتخويف يرى ما لا يراه الشاهد الآتي من الخارج، والذي دائمًا ما يرسم علامات البله والتعجب والدهشة ويقوم بدور (عبده العبيط) – تمامًا كما فعلت (فاطمة) – وقالت في إجابة توقعها (حازم) حرفيًّا:

– فين ده يا فندم؟! أنا مش شايفة حاجة.

عند هذا الحد، بدا (حازم) أكثر ثباتًا عن ذي قبل، وعرف أن الفيلم لم يزل له بقية، ولم يهرع كما حدث يوم عيد ميلاد ملك، وقرر ألا يضع نفسه في موقف طلب الشهادة مرة أخرى، طالما عرف وتأكد أنه هو المقصود بهذه الرسائل، فاعتدل صوته واكتسب جدية وصرامة وهدوءًا وقال في اتزان:

– الكنب مش نضيف..حاسس إنه عليه تراب.. ابقى نبهي ع البنت اللي بتنضف تاخد بالها شوية!!

– حاضر سعادتك..تحب أعمل لحضرتك حاجة تشربها؟!

– آه ياريت.. هاتيلي فنجان قهوة بس ع المكتب.. ولما مدام ليلى توصل خليها تجيلي فورًا قبل ما تطلع أودتها.

قبل أن ينتهي من كلماته كانت (ليلى) تفتح الباب وتدخل بهو الفيلا، فبادرها (حازم) بضيق:

– من فضلك يا ليلى عايزك في المكتب قبل ما تطلعي..

- (بتنهيدة طويلة): حاضر يا حازم..اسبقني وأنا هاحصلك حالًا.. دقيقة واحدة هاظبط حاجة مع فاطمة وجايالك.

حديث سريع عن شئون البيت وأحواله الغريبة دار دون تفاصيل بين (فاطمة) و(ليلى)، وفورًا تركتها الأخيرة متجهة إلى المكتب وهي تستمع لنداء انفعالي من (حازم) لا تليق بأجواء فخامة القصر وسكانه.

- إيه يا حازم..فيه إيه..إيه الطريقة اللي بتنده بيها دي..انت بتناديلي كده قدام الشغالة؟!!

- ليلى.. من فضلك.. أبوس إيدك خليني محافظ على شوية الاتزان اللي فاضلين في مخي.. أنا خلاص هاتجنن.

واصلت ليلى الاستماع لـ (حازم) وانفعالاته وجحوظ عينيه الذي يتسع وسط كلماته، ولم تستطع مجرد مناقشته فيما يحكي لأنها تستمع من خلفية ذهنية مختلفة، فهي تعلم وهو لا يعلم.. هي تعرف تقريبًا - أو تخمن - من تكون تلك الزائرة المخيفة، أما هو فلا تتجاوز تصوراته حتى الآن أن كل ما يجري محض هواجس، فظلت تستمع مستسلمة وهو يواصل:

- وكله كوم واللي حصلي عند الدكتور ناجي كوم تاني.. أنا حاسس إني بقيت مريض بالفصام.. مش ممكن.

- خير يا حبيبي حصل إيه هناك.. اهدا بس وبطل زعيق وانت بتحكيلي علشان اعرف اساعدك وافهمك.

- تخيلي.. وأنا في الأسانسير أقابل مين؟!

- مين؟!

- بيريهان!!

جحظت عينا (ليلى)، وتذكرت حكاية (عمار عطاوية) وردت بصوت مدفون ومتهدج:

- انت بتقول إيه؟!

- والله العظيم.. أقسم بالله شفتها.. بشحمها ولحمها.. وصوتها لأنها كلمتني.

- كلمتك إزاي يا حازم؟!

- ليلى.. انت بتبصيلي كده ليه؟! انت فاكراني مجنون.. صح؟!

بمجرد أن شاهدت (ليلى) لمعة الدموع في عيني (حازم)، قامت من مكانها، واقتربت منه في حنان وطيبة، ووضعت كفيها على أذنه وخلف رأسه وقبلته في فمه برقة ولطف، ثم بادرته الحديث هامسة:

- حازم حبيبي.. ممكن تبطل كلام في الموضوع ده دلوقت.. أنا مصدقاك في كل اللي بتقوله وما تخافش من حاجة أنا جنبك ومعاك.. ومش هاسيبك لحظة..إهدا بس يا حبيبي وروق علشان خاطري.

كانت لكلمات (ليلى) مفعول السحر على جسد وروح (حازم)،فسكن روعه وهدأ كأنه كان في احتياج للمسات حانية تشعره بقوة الحب في مواجهة الخوف والتشتت.

دقائق معدودة كانت طويلة ومريحة، استمر فيها عناق (ليلى) و(حازم) وقوفًا، أغمض فيها الأخير عينيه ليحتفظ بلذة ودفء القرب، أما (ليلى) فالتقطت عيناها ما يفجر من صرخات الفزع والهلع شلالات وأنهارًا، حين وقع نظرها على قدمين زرقاوين متسختين بالرماد الأسود بهما طلاء أظفار أسود تبدوان أسفل ستارة الغرفة لتنبئا أن هناك من يقف خلفها مستترًا بها.

تجاسرت (ليلى) وتماسكت حتى لا تهدم بنيان السكينة الذي سكنت فيه روح زوجها ولو لدقائق، واكتفت بابتلاع ريقها وإغماض عينيها ثم عاودت النظر فلم تجد القدمين خلف الستار.

الآن.. اقتربت المسافة بين الظهور والآخر.. حتى أضحى كل من (ليلى) و(حازم) يعرفان ويفهمان جيدًا أن هذه المرأة هي بطل الفيلم وهي محور الشر.. وأنها سيدة الخلف أو "الست اللي ورا" كما أسماها (حازم) عبر عام ونصف من كابوسه المتكرر، وأنها كانت هي الزائر المزعج في حفل عيد ميلاد (ملك).

ولكن حتى هذه اللحظة لم يصل بهما اليقين بأن هذه السيدة هي حاملة أوزار الماضي، محروقة كامب شيزار (سعاد غمراوي).

بعدما فرغ (حمزة المراغي) من مشاجرة متوقعة ومحسوبة مع زوجته (رباب) حول لقائه مع (ليلى) كان يشعر بالدوار والإرهاق الشديد، سواء من اجترار الماضي ثم سرده بتفاصيله المزعجة أولًا ثم (المناهدة) والمشاكسة مع (رباب) لإقناعها بأن اللقاء لم يكن يحمل أدنى ملمح من ملامح الرومانتيكية أو أي شيء يجعلها تشعر بالغيرة.

ارتمى (حمزة) على فراشه بملابسه مسترخيًا ولكن عقله لم يكن كذلك، بل كان في أتون عملياته الحسابية وتحليلاته المنطقية وغير المنطقية لما سمع وعرف من (ليلى) و(عمار)، وبعيدًا عن سخطه وامتعاضه من ذلك الحظ العثر الذي رمى بهما في طريقه، إلا أنه شعر بموجب خلفيته الدينية الراسخة وثباته الروحي، أن رسالة ما في طريقها إليه شخصيًّا، وأنه معني بما حدث بشكل أو بآخر، وأن الله يريده لأمر ما، حتى ولو كان معلقًا بين الماضي والحاضر.

لم تكد هذه الفكرة تختمر في رأسه وتنضج، حتى جاءه الدليل على صحة ما يفكر ويظن في التو واللحظة، حين دخل عليه بنته وابنه يتشاجران بصخب وصبيانية حول شيء ما، فقام محاولًا الفض بينهما.

- يا ولد.. يا بنت.. سيب إيد أختك يا ولد.

- الولد: يا بابا..دي واخدة صورة جدو وقطعتها.

- إيه؟! هاتي الصورة دي يا بنت..انت قطعتيها بجد.. انت اتجننتي!!

- البنت: لا والله يا بابا.. والله العظيم لاقيتها كده.. كانت واقعة ع الأرض انهارده الصبح.

- لاقتيها فين؟!

- جنب التسريحة.

- هاتيها بسرعة.

- اتفضل.

أمسك (حمزة) بالصورة التي التقطها صباحًا من صندوق ذكريات والده وعمه، الصورة الرباعية على كورنيش الشاطبي، فوجد الثلاثة أباه موسى وعمه توفيق وسعاد غمراوي، أما مكان (ناجي حلاوة) فمتآكل احتراقًا وغير موجود. فصرخ (حمزة) فورًا بصوت عال في أولاده وفي زوجته:

- مين اللي عمل كده!!! انطقوا.. هاموتكم م الضرب!!

- الأولاد: والله يا بابا مش احنا.

- يا رباااااب.. تعالي من فضلك.

- رباب: إيه يا حمزة.. بتزعق ومتعصب ليه.. فيه إيه؟!

- مين اللي عمل كده في الصورة دي؟!

- وأنا إيش عرفني.. مش دي الصورة اللي كنت بتشوفها الصبح قبل ما تروح تقابل الكونتيسة.

- أيوا هي.. وبلاش تحوير وقولي لي إيه اللي عمل في الصورة كده؟!

- (بعصبية وانفعال): أنا ايش عرفني.. انت جاي تطلع زعابيبك علينا.. ولا انت بتقلب الترابيزة ونظام خدوهم بالصوت ليغلبونا؟!!

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. أنا مش هارد عليكي.

أنهى (حمزة) النقاش السفسطائي، وفهم يقينًا أنه لم يعد ضيف شرف أو مجرد حكاء وانتهى دوره، بل إنه صار لاعبًا أساسيًّا على مسرح الأحداث، وعليه أن يحاول فهم أولى الرسائل الواردة من عالم المجهول.

ولكن..

لماذا اختفى (نصر حلاوة) تحديدًا من الصورة؟!

ولماذا لم تأت الرسالة هذه المرة من (سعاد غمراوي)؟!

وماذا يمكن أن يكون بين (حلاوة) وبين (حمزة) كي تصله رسالة كهذه؟!

الأمر الذي أدخل (حمزة) دوامات القلق والسهر والتفكير، لحوقًا بسكان قصر المراغي وبيت (عمار عطاوية)، فأضحى يحلل ويفسر ويحاول منطقة الأمور ولكن دون جدوى.

لجأ (حمزة) في مقاومة هواجسه إلى أمرين: الأول اللجوء إلى واحته الروحية، وملاذه الإيماني، فهو تربى واعتاد أن يلجأ للصلاة والذكر وقراءة القرآن إن حَزَبَه أمر، لعله يضمن على الأقل الحد الأدنى من التحصين والطمأنينة والسكينة.

ولفهم مراد الله مما يحدث من خوارق للطبيعة، وعواكس لسننه الكونية المنطقية.

والثاني: عصر الذاكرة والذهن لاستعراض سيناريو تاريخ (ناجي نصر حلاوة) كاملًا وبدقة لعله يفهم مراده من محاولة تخويفه.

بعد ساعات الليل الطويلة، وقرب صلاة الفجر، دخل (حمزة) فراشه الدافئ، واتكأ عليه قليلًا، مرتديًا طاقيته الخضراء الممسوحة في جنبات الروضة الشريفة، ممسكًا بسبحته الخشبية سميكة الحبات والمفعمة بنور

الأوراد التي ورثها عن والده، فغط لدقائق في نوم عميق، وما هي إلا ساعة واحدة حتى صدع المؤذن بأذان الفجر ليستيقظ (حمزة) على حقيقة واضحة وجلية تيقن منها تمامًا.

حيث رأى في رؤيا النائم والده، جالس في مقام سيدنا الحسين، يردد ورده وأذكاره على سبحته فاقترب منه ليعانقه، فتوقف فجأة، وأمسك بكتف (حمزة) اليمنى وقال بصوت نديٍّ واضح:

– انت وناجي أعداء من يوم ما اتخلقتم.. وهتفضلوا أعداء ليوم الدين.

هكذا يفكر (حمزة).. وهكذا ورث هذا الأسلوب في حل مشكلاته عن والده، وسواء كان ما توصل إليه صواب أم خطأ، فقد اعتبر وبشكل جازم أن احتراق مكان (ناجي نصر حلاوة) في الصورة هو رسالة منه لإعلان الحرب، متوسمًا أن رجلًا أخطبوطيًّا مثل (ناجي) يدرك هو الآخر ويفهم جيدًا من يكون (حمزة المراغي) ومن يكون والده، الغريم القديم وعدو الأمس.

بدأ (حمزة) يفكر في القصة بحماسة عن ذي قبل، وبدأ يستعد بشكل آخر للدخول في حلها والاصطفاف خلف ساكني قصر المراغي، وفهم ترتيب الأقدار في أن تتصل به (ليلى) زوجة حازم وتستنجد به.

فقرر أن يتواصل مجددًا معها ومع (عمار عطاوية) ليستوعب ما هو مراد (ناجي حلاوة) من كل ما يحدث.

وإذا كانت مآرب (ناجي) وأهدافه بالأمس قد بانت واتضحت حيث انهدم المعهد الديني واحترق، وآلت الأرض لأصحابها القدامى، فما مآربه اليوم؟ وإلى ماذا يسعَ وفم يفكر؟!

عاد (حمزة) بعد صلاته لفراشه باحثًا عن نوم يتفلت، حتى غادر عالم اليقظة في تمام الساعة السادسة صباحًا، وهو ذات الوقت الذي كان (ناجي) حلاوة يرتشف فيه فنجان قهوته في بلكونة غرفته، مبتسمًا ابتسامة الواثق، ثم خرجت منه ضحكة متدرجة من الاهتزاز الجسدي حتى القهقهة.

صباحٌ جديد.. شمسٌ تحمل تاريخ اليوم.. نهارٌ يمنح المعذبين هدنة مؤقتة ليلتقطوا أنفاسهم قبل أن يبدأ معهم رحلة المعاناة مع مغيب الشمس كل يوم..

الأسرة كاملة تتناول طعام الإفطار في حديقة القصر، الكل يسترق نظرات للآخر كأنه يطلب منه الحديث أو الكلام..

الجميع يبدو في حاجة (ليلى)..

(ملك) تبادل (ليلى) الابتسامة على استحياء لأول مرة..

(شهاب) أيضًا يلتصق بها، ولا يفعل شيئًا غير أنه يفتح فمه ليدها وهي تلقمه الطعام وتسقيه الحليب..

(حازم) يبدو كطفل كبير وهو يشبك أصابعه في أصابع زوجته ولا يتركها إلا حين تأكل بها أو تشرب..

اتسعت الابتسامة على شفتي (ملك) وبدأت تشعر بحالة حنين وانجذاب كبيرة لـ (ليلى) وشعرت في هذه اللحظة برغبة عارمة في حضن كحضن أمها.

هذا ما فهمته (ليلى) على الفور، فبادرتها بأن جذبت يدها في رفق ووضعتها على حجرها ثم منحتها حضنًا حارًّا مشبعًا يمتص عذابات الأيام الماضية، والأغرب أن (ملك) انساقت بيسر وسهولة وبادلتها العناق بحب وود.

دمعت عينا (حازم)، وارتسمت الابتسامة الطفلة على وجه (شهاب)، وتيقن (حازم) أن الحب والتواد والتكاتف سر كامن للخروج من الأزمة على الأقل نظريًّا.

ولم يقطع هذا المناخ المفعم بالإيجابية، إلا صوت حارس الأمن الذي اخترق أجواء الطمأنينة ليبلغ سيده أمرًا:

- حازم بيه.. أنا آسف جدًّا.. د. ناجي وصل وبيبلغ حضرتك إنه مستنيك في مكتبك.

فجأة خيمت أجواء الظلامية والتضجر على الجميع، وامتعض (حازم) من سماع هذا الخبر، ولكن (ليلى) بادرته بحنق وغضب:

- فيه إيه يا حازم.. ده كلام.. هو ينفع كده.. هو جه لوحده وللا انت اللي مديله معاد؟!!!

– لأ طبعًا.. أنا هاديله معاد ليه دلوقت.. دي حاجة تعصب بجد.. ومش فاهم إزاي يجي من غير ما يتصل بيا؟! أكيد فيه مشكلة أو حاجة مهمة خلته يجي من غير ما يتصل.

– إنت موبايلك معاك؟!

– آآآآه صحيح..ده أنا قافله م الصبح..أكيد اتصل بيا ..ظلمنا الراجل

ردت (ليلى) على كلماته بنظرة غيظ، وكأنها تلومه على سرعة انصياعه لسلطة (ناجي) النفسية عليه، ولكنها آثرت السكوت حتى لا تفتح مجال لمشاجرة في غير وقتها، فتخسر ما حظيت به من ثقة (ملك) وطمأنينة (شهاب). فهم (حازم) أبعاد تلك النظرة فرد في خجل وارتباك:

– معلش يا حبايبي بقى.. أنا مضطر أقوم.. كملوا انتوا فطاركم..

توجه (حازم) نحو غرفة مكتبه داخل القصر وهو يدافع غيظه ويكتم حنقه، تحسرًا على لحظات سكينة نادرة تنزلت بها رحمات السماء، فقطعها عليهم مجيء ضيف مفاجئ ومباغت، حتى ولو كان هذا الضيف هو شخص يحبه ويحترمه مثل الدكتور (ناجي).

– أهلًا..أهلًا وسهلًا.. يا دكتور ناجي.. إيه النور ده؟!

– أهلًا بيك يا بني.. إزيك..يا رب تكون بخير انهارده؟!

– والله الحمد لله يا دكتور..مش عارف أقولك ايه..بس أأأأ.

- إيه؟! قول علطول.. اتكلم وفضفض وارتاح!

- لا أبدًا.. بس الظاهر كلامك طلع صح..واننا محتاجين نقرب من بعض أكتر ونغير أسلوب حياتنا.. ورغم إن امبارح لحد بالليل كان يوم صعب واضطريت آخد المهدئ تاني علشان أنام.. بس الصراحة وقوف ليلى جنبي ومع الولاد أداني أمل كبير في حل نهائي لكل اللي بيحصل لنا ده.

- (بامتعاض كامن): طب هايل..جميل..مش قلتلك؟!

- الحقيقة إحنا كان لازم نعمل كده من زمان.. وكمان..

- (مقاطعًا كلامه بحدة): عملت إيه في اللي اتفقنا عليه؟!

- هو إيه اللي اتفقنا عليه؟!

- البيت.

تتغير ملامح وجه (حازم) لشيء من الإحراج.. ثم يصمت لحظات ويقف ويتجه لباب المكتب ليغلقه.. ثم يتجه في خطى ثابتة نحو (ناجي) ويقول له في برود:

- أجيبلك قهوتك يا دكتور.. ولا تحب تشرب حاجة تانية؟!

- أنا مش عايز أشرب حاجة... جرى إيه يا حازم.. انت بتحور ليه؟!

- ليه بس يا دكتور؟! القصة بس إني لسه بافكر.. والموضوع ده مش سهل..ده محتاج آخد رأى ليلى والولاد.. وبعدين ده بيت العيلة..قصر أبويا.. مش قادر أفرط فيه بالسهولة دي.

- تفرط فيه؟!! آآآه.. طيب.. أنا إديتك مفتاح الحل يا حازم.. وحكاية انكم لازم تغيروا جو وتسافروا وتغيروا طريقة حياتكم دي مش كل حاجة علشان تبقى عارف.. عمومًا أنا شايف اللي انت مش شايفه..وعارف عن البيت ده اللي انت ما تعرفوش.. ولو حضرتك عايز تعرف حجم الخطر اللي مستنيك طول ما سعادتك ساكن في البيت ده..أقدر أقوللك..بس ممكن الحياة تبقى صعبة عليك بعد كده.. لأنك مش هتستحمل.. ولو أبوك الله يرحمه عايش..هيبقى فاهم كلامي ده..

- يعني إيه؟! واشمعنى البيت ده؟!

- انت فاكر الحلم.. الكابوس بتاعك؟!

- آه طبعًا..

- والست اللي انت وولادك ومراتك شفتوها كذا مرة هنا..هنا.. في القصر ده!!

- (بترقب وخوف): مالها؟!

- إنت عارف الست دي تبقى مين؟!

تنطلق في هذه الأثناء صرخة سيدة مخيفة، وتندفع نوافذ المكتب وتنفتح بقوة دفع الهواء فترتفع الستائر مرفرفة في مشهد يثير الرعب، جعل (حازمًا) ينخرط في بدايات حالة الـ Panic attak ويتراجع للوراء ملتصقًا بالجدار.

ينظر (ناجي) بحدة وقوة للنافذة ولكل جدران الغرفة، ثم ينهض في ثقة ويقترب من النافذة فيغلقها بهدوء، ويعاود الجلوس على مقعده، ثم يطلق تنهيدة طويلة، يواصل حديثه بصوت منخفض:

- اسمع يا حازم.. سبق وقلت لك انت ابني اللي ما خلفتوش.. وأبوك الله يرحمه ماكانش صاحبي وبس..ده كان أخويا.. فيا ابني أنا كل اللي يهمني راحتك وبس.. شوف اللي انت عايز تعمله إيه.. وابقى بلغني بقرارك.

كان (حازم) يتصرف كالأطفال جراء ما يحدث، وبدا أكثر انهيارًا عن ذي قبل، ولم يعد يتماسك بما يكفي حيال تلك المواقف التي تثير فزعه، لذلك لم يعبأ بما يقوله الدكتور (حلاوة)، ولم يرد عليه مكتفيًا بالتنفس العميق والنظر نحو النافذة.

تركه (ناجي) واتجه نحو باب المكتب، وفور أن فتحه فجأة وجد في وجهه (ليلى)، التي بدت مرتبكة، فنظر لها بابتسامة ساخرة تومئ بالتعجب من فعلتها هذه.

- أهلًا يا مدام ليلى.

- أهلًا بيك يا دكتور.. أخبار حضرتك إيه؟!

- أخباركم إيه.. الولاد كويسين؟!

- الحمد لله تمام.. أحسن دلوقت.

- فعلًا؟!! يعني مفيش أشباح.. ولا عفاريت.. ولا أي حاجة؟!! هههههههههههههههه.

اندهشت (ليلى) من انفجار (ناجي) في الضحك، وتعجبت من سخريته التي لا مجال لها، ونظرت بسرعة نحو زوجها المتسمر في مكانه وكأنه تم تنويمه مغناطيسيًّا.

- إيه ده؟!!! هو.. هو حازم ماله يا دكتور؟!

- انت اللي بتسأليني يا مدام ليلى؟ جوزك تعبان..مجهد..محتاج يقعد مع نادر ميخائيل بسرعة.. هو آخر مرة عرض نفسه عليه امتى؟!

- لا ده كان من زمان.. أيام ما كان الحلم إياه مضايقه...بس أنا شايفة زي حضرتك إنه محتاج زيارة ليه... والله يا دكتور قلت له بس هو منشف دماغه.

- (بلهجة مخيفة وهادئة): فعلًا؟! منشف دماغه ع الآخر.. عقَّليه.. وفهميه إن ده مش في مصلحته.. ولا مصلحتكم كلكم.. يومك سعيد يا مدام.

بمجرد أن غادر (ناجي) الباب الخارجي، هرعت (ليلى) نحو زوجها، تحاول تنشيط خموله المقلق وسؤاله عما حدث، وهو لا يجيب، بل اكتفى بالإشارة إلى النافذة بيده.

صعدت به زوجته إلى غرفته، وحاولت إفاقته من خموله الغريب، فاتصلت بطبيبه النفسي وصديقه الدكتور (نادر ميخائيل) الذي يعرف جيدًا تفاصيل حالته، ولكنه لا يعرف خلفيات أخرى يعجز عن إدراكها أي بشر طبيعيين.

ومع وصول الدكتور (نادر) كان (حازم) قد استعاد جزءًا كبيرًا من اتزانه وثباته النفسي لمجرد سماع نبأ مجيئه، وبات أكثر قدرة على شرح ما يعانيه.

وبالفعل، قام (حازم) بسرد كل ما يجيش به صدره وكل ما يُصدّق وما لا يُصدّق، حتى قصة بيع البيت التي بدأ يشعر أن (ناجي) يمارس بها ضغطًا عليه، حكاها وأبدى رأيه فيها، ورغبته الحالية حقًّا في بيع البيت والتخلص منه، خلاصًا مما هو فيه ونجاة بنفسه وبأسرته.

استمع (د.نادر) لـ(حازم) بعناية واهتمام وإنصات شديد، وقرر أن يبدأ معه علاجًا دوائيًّا يساهم في تهدئة حالته فضلًا عن علاج نفسي يتمثل أولًا في المسارعة بالبعد عن المكان الذي يشكل بؤرة الأحداث وهو القصر، ثم أخذ يوجه حديثه لـ (حازم) تحت خلفية موسيقية اختارها من هاتفه المحمول.

– بص يا حازم.. انت محتاج تغيير كبير في حياتك..وبصراحة أنا متفق مع الدكتور ناجي في حكاية إنك محتاج تبعد شوية عن البيت ده.

– أنا كمان شايف كده.. أنا هابيع له البيت وأخلص م القرف ده كله؟!

– مش دي القضية.. أنا باقول تبعد عن البيت.. مش شرط تبيعه.. طبعًا انت حر.. بس أنا اللي يهمني إنك محتاج تسيب البيت لمدة طويلة.. حاول تاخد الولاد وتسافر.. مش دي فكرتك؟! نفذها فورًا.

– لا يا دكتور.. أنا بجد محتاج ما أدخلش البيت ده تاني.. دلوقت بقى كل ركن فيه بيتسبب لي في ذعر وخوف.. أنا لازم اسيبه انهارده قبل بكره..ليلى.. باقولك إيه كلميلي نيرمين مديرة مكتبي تحجز لنا فورًا اتنين سويت في أي أوتيل ليلة ولا ليلتين لحد ما نسافر أسبوع ولا شهر حتى في أوروبا.. ومن بكرة أنا هامشي في إجراءات بيع البيت للدكتور ناجي وأمري لله.

– ليلى: معلش يا حازم.. بعد إذنك تفكيرك ده متسرع جدًّا.. بس أرجوك من غير انفعال افهمني أقصد إيه... أنا هاكلم نيرمين ونحجز ونسيب البيت فورًا أنا كمان محتاجة ده.. لكن بيع البيت ده قرار متسرع.. وللدكتور ناجى بالذات فدي كمان خطوة أنا شخصيًّا مش متحمسة ليها.. مش يمكن اللي سمعته من (بيريهان) ده رسالة علشان ما تبيعش البيت للراجل ده بالذات!!

– حازم: الراجل ده!!! دلوقت بقى الراجل ده!! مش في يوم م الأيام كان أبونا الروحي..وبيحسسك إنه جد الولاد.. وبعدين مالك بتتكلمي عن كلام (بيريهان) كأنها واحدة عايشة في وسطينا.. هو عادي أصلًا إننا نتلقى رسايل من ميتين؟!!!

– د.نادر (مداعبًا): طب يا جماعة.. أنا شايف إن الحديث يخصكم وبقى شأن عائلي أنا ماليش دعوة بيه..عمومًا.. يا ريت يا حازم تلتزم بالدوا في معاده.. والمهدئ لمدة أسبوع بس.. وبعد كده لما تحتاجه قبل النوم.. لحد ما أوقفهولك خالص...أشوفكم على خير.

– ليلى: معلش..إحنا آسفين يا دكتور..إنت طبعًا مش غريب..انت واحد مننا..بس والله احنا لايصين ومش عارفين نعمل إيه؟!

– د.نادر: يا ستي ولا لايصين ولا حاجة..انتوا زي الفل أهو.. ما تكبريهاش فتكبر.. وبسطيها تبسط.. يا ريت بلاش تتناقشوا في حكاية البيع دي دلوقت ولا انهارده أصلًا.. ولا تتناقشوا فيها أصلًا هههههههه.

– حازم: مش عارف أشكرك إزاي يا دكتور.. بس انت فعلًا زي ما قالت ليلى.. انت واحد مننا.

– د. نادر: شكرًا يا حزووم.. يالا بعد إذنكم علشان كده أخّرنا مدام ليلى وخدناها من ضيوفها اللي قاعدين تحت.

في ثانية واحدة تبدلت ملامح كل من (حازم) و(ليلى) وكأنهما أصيبا بالبله، وخرج صوت متحشرج مرتعش من (ليلى):

– ليلى: م م م مين يا دكتور..ضضيوف ممين؟!!

– د.نادر: الناس الكُمَل المحترمة اللي قاعدة تحت في الريسبشن.

– ليلى: ناس مين؟!!! نااااس مين يا دكتور؟!

– الراجل والست العواجيز اللي قاعدين تحت يا مدام ليلى!! مالك؟!! إيه يا جماعة جو الشك والريبة ده؟!

لم تكن حالة الترقب والصمت والحذر مقتصرة على قصر المراغي وحده، لكنها طالت بيت (عمار) و(سلمى) باعتباره امتدادًا لبيت أخيها، وخاصة بعدما سمع (عمار) من تاريخ العائلة ما يزيد قلقه.

لكن (عمارًا) لم يكن يفكر بنفس أسلوب وطريقة (ليلى)، بل كان يرى أن يبحث عن حل سريع في ضوء ما عرفوا من أسرار عائلية، وبناء عليه اتجه تفكيره المنظم نوعًا ما نحو ثلاثة محاور:

أولها: أنه ربما يساهم إفشاء ما عرفوا من أسرار، وإخبار (حازم) تحديدًا بها في فك طلاسمها وحل ألغازها.

ثانيًا: شطح تفكيره - على غرار ما يحدث في أفلام الرعب - أن يحاول الاستعانة بأحد علماء الباراسيكولوجي والباحثين في عالم ما وراء الطبيعة والأرواح، لاستجلاب أرواح (سعاد غمراوي) و(توفيق المراغي) و(بيريهان) لفهم أي رسالة تحاول هذه الأرواح إيصالها لـ (حازم).

ثالثًا وأخيرًا: يرى (عمار) أن هناك مفتاحًا سحريًّا وحلًّا للغز يوجد بين أيديهم، ولا يحتاج إلى تحضير أرواح أو علماء باراسيكولوجي، وإنما إلى مواجهة وشيء من الحذر، هذا المفتاح هو (ناجي نصر حلاوة) الشخص الوحيد الذي لا يزال على قيد الحياة، والشاهد الوحيد على ما حدث ليلة حريق كامب شيزار، واغتيال سعاد غمراوي.

(عمار) يعتبر (ناجي نصر حلاوة) هو صاحب السر، وحامل أختام اللغز الكبير الممتد عبر الماضي والحاضر، بين القاهرة والإسكندرية. لذلك فقد قرر أن يبدأ وحده من المحور الثالث، ويحاول جمع أكبر معلومات عن هذا الرجل.. كيف ظهر في القاهرة؟ وأين اختفى بعد حريق المعهد الديني؟ ومن أين له بهذه الثروة الضخمة التي لا تنضب؟ وما سر القوة الروحية الكامنة التي تمكنه من السيطرة على كثير ممن حوله؟ وكثير من الأسئلة التي جالت في ذهن (عمار عطاوية) القلق دائمًا بطبعه، آخرها وأطرفها سؤال لم يخطر ببال أحد ممن يتعاملون معه وهو:

كم يبلغ العمر الحقيقي لـ (ناجي نصر حلاوة)؟! الذي عاش كل هذه السنوات دون أن يقلَّ عنفوانه؟!

وكان من الصعب على (عمار) إقناع زوجته (سلمى) بخططه ونياته تجاه هذه القضية التي جعلها شغله الشاغل بعد ساعات عمله، ولم يخل الأمر من نية لزيارة أو زيارتين لجامعة القاهرة كلية الآداب قسم الفلسفة ليجيب عن سؤال آخر أرّقه وهو:

كيف لهذا الرجل الذي كان صعلوكًا ضائعًا في منتصف عقده الثالث يعيش في الإسكندرية أن يصبح محاضرًا وأستاذا في كلية الآداب قسم علم النفس وفي القاهرة، في غضون سنوات قليلة، ويتقن عدة لغات حية، ويحصل على درجة الزمالة البريطانية من الكلية الملكية للأطباء النفسيين بلندن؟!!

كيف لناجي – وفقًا لما رواه (حمزة) -- أن يكون هو نفسه هذا الرجل المتحضر؟!

فضلًا عن أن التراكم العلمي الذي حصل عليه يستوجب استعدادات فطرية ومشروعات حياتية مختلفة تمامًا عن حياة شاب عاطل يبحث عن عمل، ويغرر بالفتيات، ويرافق الساقطات، ويقضي ليله في البارات!!

أين تلك الفجوة الزمنية التي اختفى فيها هذا الرجل (اللامتوقع)، بين حادثة حريق المعهد الديني وبين ظهوره لأول مرة في مجتمع الجامعة وعلم النفس والزمالات وغير ذلك من تفاصيل الصورة الذهنية لرجل يعرفه أكثر من ثلثي المجتمع المصري؟!

بالفعل انساق (عمار) وراء طبيعته المغامرة، وقرر أن يكشف الغطاء عن مفتاح السر كما يراه، ونوى أن يذهب للجامعة ويسأل الطلبة والأساتذة عنه، بدعوى أنه يقوم بدراسة استقصائية لإحدى الصحف حول دوره كأحد علماء النفس الكبار في مصر.

- عمار!! إنت صحيت بدري ولا لسه ما نمتش أصلًا؟!

قالتها (سلمى) وهي تغالب النعاس بصوت نائم، بعد أن شاهدت (عمار) يرتدى ملابسه استعدادًا للخروج.

- لا يا روحي.. أنا صحيت بدري.. هتصحى أعملك نيسكافيه معايا؟!

- لا يا حبيبي.. اشرب انت بالهنا والشفا.. أقوم أعمللك تفطر؟!

- تسلمي يا حبيبتي ربنا يخليكي.. ده أنا مستعجل.

- ليه رايح فين؟ ده لسه بدري على معاد شغلك!!

- هاشرب القهوة مع واحد صاحبي في كافيه هيوريني شوية تصميمات هندسية للمشروع الجديد.

- طب والنبي وانت نازل لو لاقيت البت (دوسة) بنت البواب تبعتها ضروري..ده أنا قالبة الدنيا عليها من امبارح.

- ربنا يسهل أنا ما بعرفش ولاد البواب من بعض..انت عايزاها ليه؟!

- ده أنا هاخرب بيتها..المتخلفة دي بعد ما طفحنا الدم في تنضيف الشقة امبارح.. الظاهر سندت بإيديها ع الصالون (الأوف وايت) وإيدها علّمت خمسات خمسات..دي لو قاصدة توسخه مش هتعمل كده.

الطبيعي أن يمرر (عمار) مثل هذه الملاحظات التافهة، وبالأحرى أي رجل متزوج لا يهمه استحكامات زوجته في تنظيف المنزل، لكن العبارة دخلت رأسه ولم تخرج، وأوقفت تفكيره لبرهة..

- خمسات.. إزاي يعني؟!

- الحمارة الظاهر جت تقوم وإيدها مش نضيفة راحت معلمة ع الأنتريه.. المشكلة بقى إنه تقريبًا باظ. .شكلنا لازم نجيب شركة تنضفه.

- اشمعنى؟!

- أصل علامات إيدها سودا كأنها داست في فحم..بت غبية..مش لاقية غير الصالون الأبيض.. إحنا ناقصين؟!

أخفى (عمار) هواجسه وتظاهر بأنه ذاهب للمطبخ وخرج في هدوء، دون أن يلفت انتباه (سلمى)، وفور خروجه من الغرفة أسرع الخطى نحو الصالون ليجد العلامات بالفعل موجودة.

خمسة أصابع متسخة بالرماد متفرقات على مقعد الكنبة، كأنه كف ذو أصابع طويلة نحيفة لا توحي بأنها لرجل، ولكنها لا توحي أيضًا بأنها لطفلة عمرها ١٢ ربيعًا مثل (دوسة).

استغرق (عمار) في هواجسه لدقيقة، ثم عاد لغرفته ليجد زوجته قد نامت فابتسم ابتسامة صغيرة بصعوبة تبدو وتبحث لها عن مكان بين ملامح وجهه القلقة وقال في نفسه:

– نايمة طبعًا ومش في دماغك الكلاب البلدي اللي بتهرس في دماغي.. ربنا يروق بالك كمان وكمان..بس طالما شفتي الكف على إنه إيدين (دوسة) بنت البواب يبقى مفيش خطر عليكي..ومش انت المقصودة...هي جايالي أنا..أنا اللي عرفت وأنا اللي سمعت..نامي..نامي.

غادر (عمار) المنزل وركب سيارته ميممًا وجهه صوب جامعة القاهرة، ولكن فكرة مكالمة هاتفية خطرت على باله وفرضت نفسها، وشعر أنها مهمة قبل أن يخطو خطوة خطيرة، فأمسك بهاتفه المحمول واتصل:

– ألوو.

– السلام عليكم.

– وعليكم السلام... د. حمزة المراغي؟

– أيوا..مين معايا؟

– أنا عمار عطاوية.. هافكر حضرتك.. لما مدام ليلى حرم حازم ابن عم حضرتك كانت قاعدة معاك.

– أيوا..أيوا..افتكرت..معلش سامحني مش مميز الصوت..أهلًا بيك.

– أهلًا يا دكتور.. كنت عايز أقعد معاك.

– تاني؟!

- معلش..أصل جدت أمور وكل يوم بتجد أمور.

- يا أستاذ عمار..أنا ماليش علاقة بالأمور بتاعتكم دى.. ليه أخش معاكم في قصة أنا ماليش علاقة بيها.

قالها (حمزة) وهو متيقن تمامًا من أنه أصبح طرفًا في اللعبة بعد رسالة الأمس، لكنه أبى أن يحدد له (عمار) طريقة تفكير معينة للخروج من الأزمة، بالإضافة إلى أنه ليس في حاجة لسماع المزيد من القصص التي تزيد الأمر تعقيدًا ليس إلا.

- (بشيء من الانفعال): يا دكتور حمزة..احنا في مركب واحدة صدقني.. لأنك من العيلة الغريبة دي.. طب قول انت واحد منهم.. أنا اللي ماليش علاقة بيهم ومن بره شفت وسمعت حاجات تشقلب الدماغ.. فمن فضلك لازم تساعدنا في كل اللي نحتاجه منك!!

- وإيه اللي انتوا محتاجينه مني.. هو أنا مش قعدت معاكم وحكيت لكم اللي أعرفه؟!

- لاااا لسه..ولسه كتير أوى.. هو أخو حضرتك موجود؟!

- آه..الحمد لله حي يرزق.. ماله بقى عايزين منه إيه؟!

- هنعوز إيه يعني؟!كل خير أكيد.. أرجوك بس يا دكتور حمزة تبطل أسلوب التحفظ ده وانت بتكلمني.. وساعتها والله ربنا هيكرمنا ونوصل لحل.

– العفو يا أخي.. مفيش تحفظ ولا حاجة والله.. كل القصة إني مشغول جدًّا اليومين دول وانتوا جيتوا ولخبطوا كل ترتيباتي.

– لو على كده احنا كمان كل حساباتنا وترتيباتنا اتلخبطت.. وخد بالك فيه رسالة جاية من الماضي لكل أطراف القصة المعنيين.. لو طنشنا وعملنا مشغولين عنها.. هتتغلغل كل يوم في حياتنا وتحاصرنا وتعطل لنا كل شيء... وأرجوك بلاش أوضح أكتر من كده!!

– يا أستاذ عمار اللي بتقوله ده ليس مجاله الواقع.. انت بتتكلم كما لوكنت بتحكي عن فيلم خيال علمي أو رعب.. الحياة مش كده يا عزيزي.. ربنا خلق عالمين بس..الإنس والجن وعرفنا حدودهم وعرفنا نتعامل إزاي معاهم وعرفنا الحدود الفاصلة بينهم.. فبلاش نتفلسف ونحول القصة لاتجاه أسطوري وخيالي الله يباركلك.

– لأ كده شكرًا..مفيش فايدة... ماشي يا دكتور حمزة.. عمومًا براحتك.. وأنا واثق إنك يومين وانت اللي هتيجي برجلك؟!

أغلق (عمار) الهاتف وهو يواصل السير نحو جامعة القاهرة عازمًا على ما أراد أن يعرفه ويكشفه، ولكنه بقي يردد في ذهنه كلمات (حمزة المراغي) حول ماهية ما يحدث وفي أي منطقة في الظواهر العلمية أو الميتافيزيقية يمكن تصنيفه.

ولكنه بعد دوائر وحلقات مفرغة من التفكير، عرج نحو نقطة واحدة لا مناص منها، وباب واحد لحل الأزمة، حيث ارتأى أن البحث وراء أشباح موتى شيء لا جدوى منه، ولا يمكن البناء عليه، لكن العنصر البشري الحي القائم على الطبيعة ويثير من الألغاز والغرائب أضعاف ما تبطنه هذه الأشباح هو الأجدى والأكثر نفعًا، لذلك فقد تأكد وتيقن تمامًا من المضي في التنقيب خلف (ناجي نصر حلاوة)، حتى لو كلفه الأمر مواجهة شخصية تحت أي ظرف.

وفي جامعة القاهرة.. كلية الآداب.. قسم علم النفس..

فهم (عمار) وعرف ما كان يريد أن يعرفه.. وحصل على كل ما يدعم ظنونه وحدسه وتخمينه، حين لم يجد أثرًا لاسم الدكتور (ناجي نصر حلاوة) في القسم والكلية والجامعة كلها..

والأكثر دهشة حين خرج من الجامعة مُصرًّا على مزيد من التنقيب حول هذا الرجل، فطلب من صديق طفولة قديم يعمل ضابطًا في جهاز الأمن الوطني أن يعطيه معلومات رسمية وكافية عنه من خلال رقم هاتفه المحمول. فوعده بأن يمهله عدة ساعات ليواليه بكل ما يريد.

جدد (عمار) الاتصال بـ (حمزة) ليقترح عليه مرافقته في زيارة للدكتور (ناجي)..ولكن (حمزة) بالطبع لم يرد..

أغلق (عمار) الهاتف، ولم يبالِ.. بل شعر بنشوة المقاتل ولذة بدء المعركة..

ولكن..

هل الأمر بهذه السهولة.. نفكر.. ثم نقرر.. ثم ننفذ ونمضي فيما عزمنا عليه؟! لو كان كذلك لاسترحنا جميعًا!!

دون أي مقدمات، وجد (عمار) سيارته غير طبيعية تحت قدمه، كأنها حصان جموح يأبى الانقياد، تسرع حين يفرمل، وتقف وتبطئ حين يدوس على بدال البنزين، فقرر أن يركن السيارة جانبًا ليدقق ماذا حدث فيها ناعيًا حظه ومندهشًا من أدائها، لأن سيارته لم تزل جديدة.

وبمجرد أن شرع (عمار) في الإبطاء والاقتراب نحو الرصيف، انطلقت السيارة بسرعة شيطانية واندفعت للأمام ماضية وحدها في الطريق، متفادية كل ما يقابلها من سيارات وبشر وأشجار!!

تيبست يدا (عمار) والتصق في مقعده جاحظ العينين، يتصبب عرقًا مما يحدث، حتى أنه ظل يبسمل، ويردد ما يحفظ من الآيات، وهو ينظر لمؤشر السرعة وهو يتزايد وصوت السيارة يعلو من سحب البنزين العالي، إلى أن تجاوزت الزحام وانطلقت في طريق لا يعرفه.

وفي المشهد العلوي لما يحدث، فقد مضت السيارة كأن من يقودها سائق سباقات (رالي) محترف، واتخذت في ٣ دقائق طريقًا مؤديًا إلى الصحراء، بعيدًا عن الصخب.. فما زالت تبتعد.. وتبتعد.. وتبعد..

إلى أين؟!

لا أحد يعرف إلا ذلك الرجل العجوز الأبيض الذي كان يشعل سيجاره الكوبي في نفس التوقيت وهو يضحك واقفًا أمام زجاج نافذة بيته، عاري الصدر، وخلفه (نيسرين العلمي) بقميص النوم تقترب وتعانقه من الخلف، واضعة ذراعيها حول وسطه، فيبادلها نظرات ناعمة ثم ينفث دخان سيجاره في وجهها، ثم يضمها بذراعه إلى صدره متجهًا إلى الداخل صوب الفراش.

استيقظت (ليلى) مفزوعة من نومها من كثرة ما سمعت وعرفت ورأت، فنظرت للساعة بإرهاق وخمول شديدين لتجدها الواحدة ظهرًا، ثم نظرت لوجه (حازم) وهو مستغرق في نومه إثر الحقنة المهدئة فتنهدت تنهيدة طمأنينة مشوبة بكثير من التوتر.

وكأن خاطرًا دفينًا دفعها للنهوض والاطمئنان على (ملك) و(شهاب)، فخرجت من غرفتها تجاه غرفة شهاب، فاكتفت بالنظر له من على بابها لتجده نائمًا محتضنًا الدب القطني الكبير. فابتسمت وأغلقت الباب، قبل أن يدير الدب القطني رأسه ويلتفت لها، في مشهد لم يرصده أحد إلا كاميرات الغرف الداخلية.

ومن ذاك الجسور الذي يفكر في تفريغ هذه الكاميرات الآن؟!

أما (ملك) فكانت هي الأخرى تغطُّ في نوم عميق، فاقتربت منها (ليلى) مستغلة رصيدها المتزايد هذه الأيام لديها، ومررت أناملها على خصلات شعرها، ثم رفعت الغطاء على كتفها خوفًا عليها من برودة تكييف الغرفة.

ولكن.. قبل خروجها من الباب سمعت نداءَ أصاب بعض خصلات شعر رأسها بالشيب في كسر من الثانية!! إذ كان اتجاه النداء يأتي من حمام الغرفة، والأبشع أنه كان من (ملك) التي كانت تناديها من داخله، بنبرة استنجاد واستعطاف:

– طنط ليلى.. طنط ليلى.. ساعديني يا طنط.. تعالى والنبي ساعديني.

تسمرت قدما (ليلى) في مكانها، ولعنت تلك الثانية التي قررت فيها دخول هذه الغرفة، خاصة أن (أتموسفير الرعب الكلاسيكي) اكتمل تمامًا حين أغلق باب الغرفة وحده وبقوة.

مرت عشرون ثانية في الغرفة المظلمة ظهرًا بفعل الستائر السوداء التي تحبها (ملك) كي لا يوقظها ضوء الشمس صباحًا، وما زال نداء ملك متواصلًا، وما زالت (ليلى) تقف كتمثال الشمع، فاغرة فاها جاحظة عينيها، تعلق نظرها على (ملك) النائمة في سريرها، وبعض القطرات تسيل على ساقيها بفعل الهلع الذي احتلها جسدًا وروحًا.

ماذا عساها أن تفعل؟ فهي مؤكد لن تبقى أبد الدهر في هذا المشهد المهلك، عليها أن تواجه لأن المواجهة هنا أمر حتمي، فهي في هذه اللحظة لديها عدة احتمالات، أصعبها أن تتقدم نحو الحمام وترى ماذا أصاب (ملك)، أو تحاول فتح باب الغرفة وتخرج أو تندفع نحو (ملك) النائمة في سريرها وتوقظها.

ولكن ما أدراها أن النائمة في سريرها هي (ملك)، أو أن من تنادي بصوت بكائي مرتجف في الحمام هي (ملك)؟!

تحركت قدماها أخيرًا، بعد أن اختارت دخول الحمام، فهو الخيار الأسهل، فالباب حتمًا لن ينفتح، هكذا علمتنا أفلام الرعب، أما (ملك) النائمة فمسألة إيقاظها تثير الخوف أكثر من إلقاء نظرة خاطفة داخل الحمام لاكتشاف ما يحدث فيه.

ومثل كاميرا مخرجي السينما، بدأ ما في داخل الحمام يبدو تدريجيًّا شيئًا فشيئًا، والنداء ما زال متواصلًا، ولكن برتم منظم يثير الشك، وفي برهة فكرت (ليلى) في ذلك النداء المتكرر برتم غيرً طبيعي، وتوصلت إلى أن من في الحمام ليست هي (ملك) إذ كيف عرفت أن من دخلت الغرفة هي (ليلى) حتى تناديها باسمها.

ولكن سبق السيف العذل، حيث خطت (ليلى) بقدمها خطوة واحدة للأمام، فكشفت لها مشهدًا لم تكن تتمنى أن تراه، فـ (بيريهان) بالضرورة لم تكن تتمنى مقابلة ضرتها، ولكن روحها قررت في ظل ما يحدث في القصر من ذوبان ذلك الحاجز بين الموتى والأحياء أن تلتقي (ليلى) وعلى ملعب مشترك بينهما.. غرفة (ملك).

كانت (ليلى) امرأة جميلة، ولكن (بيريهان) أجمل منها بكثير، هكذا كانت في قمة روعتها حين تجسدت لها واقفة في الحمام واضعة يد في وسطها والأخرى منسدلة، والابتسامة العذبة المقلقة تتجلى في ما بدا من وجهها في الظلام.

مرت عدة ثوانٍ وهما يقفان في مواجهة بعضهما البعض، حتى بدأت (بيريهان) تتحرك للأمام لتقترب أكثر، و(ليلى) لا تفهم ماذا يحدث ولا حراك لها.. ولكنها لم تنتظر كثيرًا، وكان رد فعلها جسورًا حين اندفعت نحو النافذة وفتحت الستائر بقوة ليدخل منها ضوء الشمس، أو لعلها تصرخ فتستنجد بأحد حراس الأمن أو الخدم.

وما حسبته وجدته، حيث اختفت (بيريهان) بمجرد دخول ضوء الشمس وفتح النافذة، واستيقاظ (ملك) فورًا

- طنط ليلى.. فيه إيه يا طنط؟!

- (بصعوبة في التنفس): مفيش..مفيش يا حبيبتي..أأأأنا آسفة إني دخلت أودتك وفتحت الشباك..ببببـ بس والله أنا كنت داخلة أطمن عليكي مش أكتر.

لم ترد (ملك) ولم تدخل في جدلها المعتاد معها، ولكنها أيضًا لم تُبد ارتياحًا لهذا الاجتياح المباغت غير المبرر لغرفتها.

خرجت (ليلى) وهي لا تفكر إلا في ما قاله لها (عمار) بالأمس، وما قاله (حازم) حول ظهور شبح (بيريهان) لهم، وتيقنت بأن ما ادعياه كان صحيحًا، بل إنها شعرت بخوف مضاعف، حين انتابها إحساس ما من نظرات (بيريهان) لها أنها لن تكون الزيارة الأولى وأنها ستكون في مرمى هجومها في المرات القادمة، بطبيعة الحال بين أي ضرتين تزوجتا رجل واحد.

شعرت (ليلى) بداخلها بالتداعي والسقوط، والتشتت الرهيب، وانهيار كل القوانين العقلية الطبيعية، وقبل أن تنهار تمامًا، استغلت ما بقي فيها من اتزان وأمسكت التليفون المحمول واتصلت بالدكتور (نادر ميخائيل).

– (ببكاء وانهيار): أيواااا أيواا يا دكتور نادر.. الحقني.. الحقني أرجووك.

– خير.. فيه إيه يا مدام ليلى؟! مالك حصل حاجة جديدة...حازم حصل له حاجة؟!

– لا يا دكتور.. ده أنا.. أنا.. الحقني أرجوك.. أنا هاتجنن خلاص.. عقلي هيشتّ.

– اهدي الأول وخدي نفس عميق كذا مرة وبعدين اتكلمي.

– أهدا إيه بس يا دكتور.. أنا ما بقتش فاهمة حاجة.. البيت ده فعلًا لعنة وفيه حاجة غلط.. يا إما احنا اتجننا!!

– برضه؟!. طيب طيب.. اهدى وأنا هاخلص اللي في إيدي وأكون عندكم علطول.

– أرجوك ما تتأخرش يا دكتور..لأن كل ساعة بيحصل حاجة شكل.

أغلق الدكتور (نادر) الهاتف واعتذر لضيفه بأدب شديد، ولِمَ لا فهو صديقه وأبوه الروحي الأنبا (بيشوي أمونيوس) أحد أساقفة كنيسة الشهيد مارمرقس في المعادي.

وهذا النوع من المعارف والأصدقاء ليس غريبًا على الدكتور نادر الذي يعُرف في الوسط الطبي والعلمي والاجتماعي بتدينه والتزامه الخلقي وأدبه الرفيع، مما ساعده على تكوين قطاع كبير من مرتادي عيادته النفسية، ومعظمهم يظل على اتصال به حتى بعد تعافيه وشفائه، لما يتصف به من روح مرحة ممزوجة بثبات روحي وفلسفة تأملية اكتسبها من دراساته وأبحاثه في العديد من دول أوروبا، ورغم دراسته الغربية فهو على قناعة تامة بأن أساس الخروج من أي اضطراب نفسي أو حالات اكتئاب هو اللجوء إلى الله، والتمسك بالدين.

– د. نادر: آسف جدًّا يا أبونا.. دي صديقة بس عندها مشكلة هي وجوزها في منتهى الغرابة، ما وردتش عليا قبل كده.

– (الأب ضاحكًا): هههههههههه يا راجل..وهو فيه حاجة برضه تستعصى عليك؟ ده انت حلال العقد!

– لا والله يا أبونا.. دي حاجة غريبة بجد.. أنا شخصيًّا لغاية دلوقت باصنفها تهيؤات وهلاوس بصرية وسمعية.. بس الموضوع ما يخصش شخص واحد.. دي أسرة كاملة.

– يااااه.. تيجي إزاي دي؟!

– مش عارف؟!! وبعدين فكرة ارتباط التهيؤات دي بمكان معين برضه ده شيء محير.

- مكان معين إزاي؟!

- الفيلا اللي هما ساكنين فيها.. واضح إن فيها مشكلة.

- ممكن على فكرة..ووارد جدا..دي حصلت معانا كتير وخدنا بيوت كتير وأراضي فيها مشاكل وطهرناها من دنس الشيطان وبقت صالحة للسكنى والحياة.

- ودي بتبقى إيه يا أبونا؟! خد بالك إن اللي زيي مطالب دايماً يبرر بأسباب علمية بحتة..فأنا باسأل ليا مش ليهم.

- أيوا أيوا..فاهم فاهم..دي يا سيدي بتبقى أماكن في الأرض ربنا اصطفاها وميزها ببركات معينة، وغالبا بتبقى محل نزاع بين الشيطان وبين الملايكة، والبشر هما اللي بيدفعوا التمن.. ولما الأماكن دي بتخلو من البشر والسكان والعُمّار تحل الشياطين وتكسب المعركة وتحتل الأرض وتعيش عليها.

- يعني بتبقى غير صالحة لسُكنى البشر؟!

- إطلاقًا؟! مين قال كده؟! إذا كان الأرض كلها والعَمَار اللي حوالينا كان صحراء جرداء وأماكن موحشة بيسكنها الشياطين والجن.. يبقى أي مكان ممكن يتطهر من دنس الشيطان.. بس بيفرق مكان عن مكان في حجم طاقة الشر اللي بتسكنه.

– تمام تمام..أهو كده ممكن نبقى قربنا نوصل لحل لمشكلتهم.

– هي الأرض دي فين؟!

– ده قصر قديم أوي من قصور المعادي القديمة، كان والد صديقي ده اشتراه من سليل أحد العائلات الملكية وعاش فيه حياة طبيعية.. لكن خلال سنة بدأت تحصل لصديقي ده مشاكل نفسية وكوابيس فضلت في تزايد لحد ما وصلت لمرحلة الهلاوس دي.. لدرجة إنه عايز دلوقت يبيع البيت بأبخس تمن بس يهرب منه بأي شكل.

– القصر ده قبل ولا بعد ميدان سوارس؟!

– لا بعده علطول بتاخد يمين وتخش في شارع هادي كله فلل وقصور.

– أيوا أيوا عرفته.. طب باقولك إيه لو كان مناسب ومش مزعج...ينفع آجي معاك الزيارة دي؟!

– يا سلام يا أبونا.. ده أنا كنت هتتاقل عليك واطلب منك ده..بس خفت أتعبك.

– مفيش تعب ولا حاجة يا نادر.. أهي فرصة نشد من أزرهم شوية.. وفرصة تانية أشوف البيت والمكان علشان حاجة تانية أهم.. هتفيدهم وتفيدنا.

– حاجة إيه دي؟!

– تعالى ننزل وأحكيلك في السكة.

في طيات الرمال الصحراوية المحرقة يبدو جزء من هاتف (عمار) المحمول منغرز فيها، ويرن عليه رقمان لا ثالث لهما، أحدهما اتصل مرتين وهو رقم (حمزة المراغي) والثاني اتصل ٣٥ مرة وما زال يتصل وهو رقم (سلمى) زوجته التي فتك بها القلق عليه بعد اقتراب موعد غروب الشمس و(عمار) لا يرد ولم يذهب لعمله وفقًا لشهادة زملائه ومديره.

وبعد هذا الموبايل بمتر كان جسد (عمار) مُلقًى على الرمال مضرجًا في دماء تخثرت فوق رأسه، وقد أجبرته حالة الإغماء وفقدان الوعي على عدم سماع رنات هاتفه المحمول أو الإحساس بأي شيء حوله.

فتح (عمار) عينيه على صحراء مترامية الأطراف كان هو على بعد مسافة ١٠ أمتار من الطريق الأسفلت السريع حيث سارت به السيارة بسرعة جنونية ثم انحرفت بقوة خارج الطريق لتنقلب عدة مرات ثم تتحطم وتنفجر بعد أن شاءت الأقدار الرحيمة لـ(عمار) أن يطير منها قبل انفجارها.

بدأ بعد ربع ساعة كاملة مصحوبة برنّات الهاتف يستفيق ويستعيد وعيه ويفهم ويتذكر من هو وأين كان، قبل أن تنقلب به السيارة. وبمجرد أن حاول الوقوف شعر بأن ساقه بها عدة كسور ولا تحمله، فصرخ صرخة ألم ساهمت في استعادة وعيه وإحساسه كاملًا.

فبدأ يزحف نحو هاتفه المحمول الذي يواصل الرن، حتى وصل له وأمسك به ثم ردّ أخيرًا

- (بصوت خارج من أعماق الجحيم): أللووو.

- (بانهيار وبكاء هستيري): أيواااااا يا عماااار...حرام عليك...انت عايز تموتني....انت فيييين؟

- أنا باموت يا سلمى الحقيني.

- عماااار...حبيبي....عماااار...رد عليااا..عماااااااار.

لم تتحمل أعصاب (عمار) وهو مثخن بالجراح والكسور أن يستوعب هذا الصراخ والفزع، فغاب عن وعيه مجددًا بمجرد إحساسه بأن رأسه بدأ ينزف وآلام ساقيه المكسورتين حين بدأ يشعر بهما.

ولكن الله حين يشاء ويكتب للهالكين - حتمًا- عمرًا جديدًا تتحقق المعجزات وتتحالف الأقدار لتحمله على قارب النجاة.

حيث توقف عند هذه النقطة سائق شاحنة (لوري) كبيرة ليقضي حاجته في الهواء الطلق كعادة معظم سائقي الشاحنات في مصر، عندئذٍ لمح (عمار) غارقًا في دمائه فحمله على الفور في سيارته متجهًا به إلى أقرب مستشفى.

الطريف أن كل محاولات استنجاد (سلمى) بأخيها أو (ليلى) باءت بالفشل حيث لم يرد عليها أحد إلا بعد ساعة كاملة، فساكنوا قصر المراغي يحتاجون لمن ينجدهم من عالم الغرائب والعجائب الذي أضحوا يعيشون فيه.

وبعد ساعة أخرى جاءت سلمى مكالمة الرحمة من السائق الذي نقله للمستشفى وأخبرها بمكانه وأنه في حالة خطيرة وينزف من رأسه، وأنه لن ينتظرها خوفًا من المشكلات وسيترك الهاتف المحمول مع قسم الاستقبال في المستشفى.

ولما وصلت (سلمى) كان (عمار) قد تم إسعافه وتجبير كسوره واستقر في العناية المركزة حيث تعرض لنزيف حاد داخلي، وآخر في المخ مشتبه فيه، فظل طريح الفراش غائبًا عن الوعي.

وكأمر بديهي حمل الفضول (سلمى) - التي لم تكف عن البكاء - للاتصال بآخر رقم اتصل به (عمار) وآخر رقم تلقاه فكان هو رقم (حمزة المراغي)، فاستجمعت قوتها وتماسكت وعدلت صوتها:

- ألو.. مساء الخير.

– مساء الخير.. مين يا فندم؟!

– أأأ..الحقيقة.. أنا مش عارفة حضرتك مين..لكن الرقم متسجل باسم دكتور حمزة.. أصل أأأأ.

– مين معايا.. أنا تعبت من التليفونات الغامضة دي؟!

– بالراحة لو سمحت.. أنا متماسكة بالعافية.. أنا جوزي بين الحياة والموت في العناية المركزة.. ورقم حضرتك هو آخر رقم طلبه وبعد كده حضرتك طلبته مرتين.

– جوز حضرتك مين؟!

– أنا سلمى.. حرم المهندس عمار عطاوية.

– ياااه.. آسف جدا.. والله باعتذر سامحيني يا فندم.. خير حضرتك.. إيه اللي حصل.. ده كان لسه قافل معايا وكله تمام.

– أنا مش عارفة مش فاهمة.. شكله عمل حادثة عربية جامدة.. هو حضرتك زميله اللي كنت هتقابله علشان توريه ماكيت؟!

– لا الحقيقة.. الحقيقة إحنا مش أصدقاء لكن أنا لسه متعرف عليه من يومين بالظبط..لأنه كان جاي مع مدام ليلى.

– ليلى مين؟!

– مدام ليلى حرم حازم المراغي.. اللي هو يبقى حسب ما عرفت أخو حضرتك.

– نعم؟!. حضرتك بتقول إيه؟! طب إيه اللي ودا عمار مع ليلى لحضرتك.. إيه اللي ممكن يجمعهم علشان يقابلوك.. أنا آسفة على سؤالي.

– لا خالص.. إطلاقًا.. كده أنا لميت المسألة.. اللي جابهم هو درجة القرابة بيني وبين حضرتك.

– بيني وبينك؟!

– أيوا يا مدام سلمى.. أنا أبقى حمزة موسى المراغي ابن عم حضرتك.

صمتت (سلمى) للحظات حتى ظن (حمزة) أنها أغلقت الهاتف

– ألووو.

– أيوا أيوا مع حضرتك.. عمومًا أهلا بيك.. فرصة سعيدة.. وكان نفسي تبقى الظروف أحسن من كده للتعارف.

– لا أبدًا.. ربنا يطمنكم يا رب على الباشمهندس عمار.. ولو تحبي آجي لحضرتك دلوقت قوليلي مكان المستشفى.

– لا ربنا يخليك ما استغناش...بس معلش هازعج حضرتك..برضه مش قادرة أستوعب السبب اللي خلا جوزي ومدام ليلى يقابلوا حضرتك.. مكن توضحلي أكتر؟!

- أبدا.. الحقيقة دي مقابلة مش أنا اللي طلبتها.. هما اللي اتصلوا بيا وحاولوا يوصلوا لي.

- أيوا ليه بقى؟!

قبل أن يجيبها (حمزة) كانت يد (ناجي نصر حلاوة) أسرع من إجابته حين ربت بها على كتف (سلمى) مواسيًا إياها وقاطعًا حديثهما عبر الهاتف:

- ألف سلامة يا سلمى يا بنتي..ألف سلامة على جوزك..أخباره إيه؟!

- أهلا يا دكتور ناجي.. تعبت نفسك ليه.. وعرفت إزاي باللي حصل.

- حد كلمني من تليفون عمار... الظاهر طلبوا أرقام عشوائية قبل ما يكلموكي.. مش مهم.. المهم إني عرفت وجيت.. علشان ما تبقيش لوحدك يا بنتي.. أومال فين حازم..حازم عرف؟!

- حازم!!! والنبي يا دكتور ما تفكرنيش.. دول كأنهم في غيبوبة لوحدهم.. تخيل باطلبهم طول اليوم ما حدش عايز يرد..حتى ملك باطلبها على تليفونها ما بتردش....يا خبر... ده أنا نسيت المكالمة اللي معايا..ألووو.. ألووو...دكتور حمزة..ألووو.

بشكل بديهي أغلق (حمزة) الهاتف، والسبب الأهم أنه بدأ يفهم طبيعة هذه العائلة (اللاسعة)، ويصنفهم كمرضى فصام من الدرجة القصوى.

وهذا ما كان يعتبره عائقًا كبيرًا لمهمته التي شعر أنها تكليف من والده، لمواجهة وكشف ألاعيب (ناجي نصر حلاوة) وإيقاف سيطرته ونفوذه الممتد عبر الماضي والحاضر على هذه العائلة.

قرر (حمزة) بعد أن حاول الاتصال بهاتف (ليلى) المحمول مرارًا وتكرارًا، ولكنها لم ترد أن يذهب إلى قصر المراغي، ويمد يده لعائلته وأبناء عمومته، ويصلح ما أفسده الماضي بين والده (موسى) وعمه (توفيق)، ومن ثم فإنه سيكون وقتئذ في المواجهة مع خطط (ناجي حلاوة) ومساعيه، وهو يملك – كما يظن – من القوة الروحية ما يمكنه من إقصائه من المشهد وإبعاده عن هذه العائلة.

في الطريق لقصر المراغي كان الدكتور (نادر ميخائيل) قد اقتنع تمامًا وتفهم مراد الأنبا (بيشوي) من القصر، بل إنه قرر أن يساعده ويساعد عائلة (حازم) في حل المشكلة وفقًا لهذا السيناريو الذي يحقق غرضًا نبيلًا ويلبي رغبة (حازم) وعائلته في الوقت ذاته.

اتفق الدكتور (نادر) والأب (بيشوي) على أن يحاولا إقناع (حازم) وزوجته ببيع القصر لصالح الكنيسة الأرثوذوكسية في مصر لإقامة جمعية قبطية خيرية مشهرة من وزارة التضامن الاجتماعي تتولى رعاية الأيتام وتقديم خدمات اجتماعية لجميع المواطنين المصريين دون تفريق، حيث كانت الكنيسة في احتياج لمقر يؤدي هذا الغرض في منطقة المعادي، فأجرى الأب بيشوي اتصالاته على الفور مع الجهات القبطية الممولة ورجال الأعمال المتحمسين للفكرة وعلى رأسهم الملياردير المصري هاني فانوس ووافق الجميع.

ولكن..

هل هذا وقته؟ هل أسرة (حازم) الآن مستعدة نفسيًّا وذهنيًّا لقبول عرض كهذا أو مناقشته؟!

في تمام التاسعة مساء وقف الدكتور (نادر) بسيارته على بوابة القصر منتظرًا رجل الأمن، ليخبره أن هناك موعدًا مع السيدة (ليلى) وأن لديها علمًا بذلك، فلم يجد أحدًا، والأغرب من ذلك أن البوابة الإلكترونية مفتوحة على مصراعيها وغرفة رجال الأمن خالية تمامًا.

لا صوت إلا صوت صرصور الحدائق المنبعث من حديقة القصر وحدائق الفلل المجاورة، ومع هروب (فاطمة) لاذ معها بالفرار بقية طاقم الخدم والطباخين ورجال الأمن وتركوا القصر خاليًا موحشًا..

فبدأ الدكتور (نادر) يشعر بالخجل من الأب بيشوي والخوف على أسرة (حازم) في ذات الوقت.

– إيه ده؟ يا ترى فيه إيه؟ ده عُمر البوابة ما كانت متسابة كده؟! ده الأمن هنا ولا القصر الجمهوري...فيه حاجة مش مظبوطة.. ربنا يستر.. أما أكلم مدام ليلى نشوف فيه إيه؟!

اتصل الدكتور (نادر) بهاتف (ليلى) فأعطاه رسالة أن الهاتف خارج الخدمة، ويبدو أن شحنه قد نفد، فتقدمت سيارته ودلفت داخل القصر الذي بدا مظلمًا من الخارج تمامًا حتى وقفت أمام باب الفيلا، وقرر د.نادر والقس النزول لعلهما يجدان أحدًا من الخدم يساعدهما في الاستئذان بالدخول.

كان ما بين اتصال (ليلى) تستنجد بالدكتور (نادر) في تمام الخامسة والنصف مساء وما بين وصوله للقصر في تمام التاسعة مساء، ثلاث ساعات ونصف.

فماذا حدث داخل القصر في هذه الفترة التي حاول كل من (سلمى) و(حمزة) الاتصال بتليفون (ليلى) فيها ولم يرد أحد؟!

ماذا تم في ثلاث ساعات ونصف داخل هذا القصر الملعون؟! وما سر هذا الصمت المطبق والظلام الغريب الذي أصاب حديقة القصر؟!

ازداد الأمر إثارة بوصول (حمزة المراغي) ووقوفه مشدوهًا على بوابة القصر، فدخل وهو يترقب مثل سابقيه، وانتهى بالثلاثة الأمر أنهم واقفون أمام مدخل البيت الذي احتله الظلام الدامس إلا من بعض مصابيح الحديقة.

ولكي يكتمل المشهد تعقيدًا، حدث ما جعل الثلاثة يلتفتون خلفهم في الوقت ذاته ليشاهدوا البوابة الإلكترونية وهي تتحرك وحدها وتوصد تمامًا.

هكذا بدا ميدان المعركة مرسومًا كما أراده أيقونة الشر (حلاوة)..

هكذا أحكم سيطرته على رقعة الشطرنج وما فيها من قطع..

إنها معركة تصفية الحسابات..

فقد تم تحديد إقامة أسرة المراغي داخل القصر.. فلا يخرجون ولا يدخل لهم أحد.

وتم حبس (عمار عطاوية) حصان الشطرنج المزعج على فراشه غائبًا عن الوعي ومعه زوجته في المستشفى.

وتم حصار كل من (نادر ميخائيل) بما يملكه من علم، و(الأب بيشوي) و(حمزة المراغي) بما لهما من طاقات روحية كامنة خلف أسوار القصر العالية.

وبخلاف ما جرى في الثلاث ساعات ونصف الماضية داخل القصر، فقد كان عجيبًا ومخيفًا في نفس الوقت أن يلتف الأمن وسيارة الإسعاف وموظفو شركة (ناجي نصر حلاوة) حول جثة (نيسرين العلمي) محطمة تمامًا ومهشمة الرأس جراء وقوعها من الدور الـ (٢٠)، في واقعة التبست في أذهان الجميع وتم الترويج لها بأنها انتحار..

لعلها عرفت أكثر مما ينبغي أو حاولت اللعب مع الدكتور (ناجي)، وفكرت في ابتزازه للحصول على رقم كبير يضاف لحسابها في البنك، أو أنها دفعت ثمن عدة صور التقطت لها وهي مع حبيبها القديم الشاب اليافع الوسيم في إحدى (كافيهات) فنادق النيل الفاخرة..

٤

رسائل الماضي الأسود

لا نقوى - نحن البشر - على تحمل الحقائق.. لأنها تأتي حادة وجلية من عالم الحسم والبصائر النافذة.. ولكننا ارتضينا أن نتقبل الحياة بذلك المزيج الخادع بين الكذب والحقيقة.. فنستسيغ الخديعة ونبتلع المبالغات!!

عودة إلى السؤال المهم.. ماذا حدث داخل القصر في الثلاث ساعات ونصف التي كانت بين استنجاد (ليلى) وبين وصول الدكتور (نادر) وخلو القصر من العاملين فيه؟!!

كانت الثلاث ساعات ونصف، بداية لليلة طويلة لا أحد داخل هذه الدوامة يعلم متى أو كيف ستكون نهايتها..

كانت البداية في توالي المفاجآت التي اتخذت رتمًا سريعًا بمجرد أن أنهت (ليلى) مكالمتها مع الدكتور (نادر)، حيث سمعت صوت صراخ الدادة (فاطمة) قادمًا من غرفة (شهاب)، فهرعت إلى هناك لتجد الدادة (فاطمة) ملقاة على الأرض وقد وقف شعر رأسها، وهي تشير بأصبعها نحو الفراش، فنظرت له فوجدت (شهابًا) وقد احمرت عيناه فاغرًا فاه مكشرًا عن أنياب ذئب، ويزوم زومة الكلب المتوحش الذي تم تشريسه من قِبل صاحبه.

وفي أقصى الغرفة عند الشماعة كانت تقف تلك السيدة الرمادية السوداء التي تطاردهم في نومهم ويقظتهم، بوشاحها وملابسها السوداء المحترقة والممزقة، ولكنها حتى الآن لم تكشف عن وجهها الملثم بالوشاح الأسود.

وفي رد فعل غريب لم تبالِ (ليلى) بصرخات (فاطمة) وانهيارها وتحذيراتها، ولم تبال بزئير (شهاب) وعينيه الحمراوين، وتقدمت نحو سيدة الرماد لتعلن عن خطوة جديدة في التعامل مع الأزمة.

اقتربت (ليلى) بخطوات مرتعشة ومدت يدها المرتجفة إلى وشاحها وتجاسرت ثم جذبته بقوة..

انقسمت حياة (ليلى) إلى نصفين، نصف ما قبل هذه اللحظة ونصف ما بعدها، وكان حجم ما دخل جسمها وعقلها وروحها من طاقات سلبية سوداء مدمرة جرّاء هذه النظرة يفوق الوصف لدرجة أنها سقطت للخلف وقامت ثم سقطت وقامت، وزحفت على الأرض هروبًا إلى خارج الغرفة، وأخيرًا اندفعت بسرعة نحو السلم لتجري تجاه خارج القصر، فتعثرت والتوت قدماها عند أول درجات السلم لتسقط على درجاته، وتتدحرج مستقرة في نهاية السلم مكسورة الرقبة واليدين والقدمين لا حراك لها، ولكن قلبها وعقلها في قمة اليقظة الملتهبة بنار الخوف، حيث رأت بعيني رأسها من تتقدم نحوها من أعلى السلم..

ولكن هذه المرة لم تكن سيدة الرماد.. وإنما (بيريهان) سيدة القصر الحقيقية تتدلى وتنزل درجات السلم بكامل أنوثتها وفتنتها، فتتقدم أكثر وأكثر نحو (ليلى) حتى وقفت أمامها، و(ليلى) مذعورة لا تستطيع النطق أو الكلام ولا

يدرك نظرها إلا كعب حذاء (بيريهان) الذي صار الآن أمام وجهها، ولا تستطيع مجرد رفع رأسها لترى أعلى من ذلك.

وضعت (بيريهان) قدمها اليمنى فوق رقبة (ليلى) المكسورة وضغطت عليها لتستمع لصراخها من الألم، ثم رفعتها، وبعد ذلك تدلت بجسمها واقتربت من وجهها حتى ألصقت فمها بأذنها اليمنى وصارت تهمس.. وتهمس.. وتهمس.. تتحدث بلا انقطاع لمدة تصل إلى ١٠ دقائق.. تحكي عن الماضي الأسود.. تخرج ما في جعبتها المريرة.. والدموع تنهمر من عيني (ليلى).

هذا الحديث السري الهامس بينهما لم يطلع عليه ولم يعرفه أحد سوى شخص واحد عبر (التليباثي)، تلك الظاهرة التي حيرت العلماء، ويتم من خلالها القدرة على التواصل ونقل المعلومات والأفكار والمشاعر من شخص إلى شخص رغم التباعد المكاني والزماني بينهما.

هذا الشخص كان يستمع إلى نفس الحديث، ونفس الكلام بين (بيريهان) و(ليلى) الضرتين، ولكن في عالمه الخاص وهو طريح الفراش في إغماءة طويلة.

لقد اختارت (بيريهان) عالم (عمار عطاوية) للمرة الثالثة، لكي تخبره بالحقيقة.. وقد اختارته دون غيره لأنهم من قبل اختاروه ليحمل أختام الخديعة في الظرف الذي كان يحمله ويريد تسليمه لـ (حازم) وهو لا يعلم

ما فيه، ويظن أنها أوراق خاصة لبيع قطعة أرض تخص سلمى وأخاها، فلم يكترث أو يهتم بما فيه.

الظرف كان يحمل أوراقًا مزورة تؤكد وتثبت أن (بيريهان) ماتت خلال تلقيها العلاج الكيماوي في ألمانيا، وقد حدث ذلك بالفعل فقد سافرت (بيريهان) لتلقي العلاج في مستشفى كبير في برلين، وكانت بدون زوجها لكنها لم تمت خلال علاجها هناك

بل ماتت مقتولة..

عندما انتصف مساء اليوم الخامس من إبريل ٢٠١٢ كان الدكتور (ناجي نصر حلاوة) قد أعطى أوامره لرجاله الذين نجحوا بشكل أو بآخر في دخول واختراق المستشفى في برلين، والوصول لغرفة (بيريهان) وإعطائها حقنة هواء في الوريد وهي نائمة، ثم استغل نفوذه وتأثيره الطاغي وعلاقاته في ألمانيا، ونجح في استخراج أوراق من المستشفى تثبت أنها توفيت وفاة طبيعية بعد فشل جلسات العلاج الكيماوي.

بعد وفاتها واستلام (حازم) جثتها في القاهرة كانت (ليلى) تنتظر مكالمة من حبيبها وهي في مقر عملها موظفةً في أحد البنوك الأجنبية الكبيرة في مصر، يخبرها فيها بأن كابوس (بيريهان) انتهى، ولم يَعُودا في حاجة لانتظار وفاتها الطبيعية جرّاء سرطان الثدي الذي داهمها، ولكن بنسبة شفاء كبيرة تصل إلى ٦٥٪ وفقًا لتقارير وتحاليل من أطباء في مصر وألمانيا.

احتفلا معًا في أحد المطاعم النيلية الفاخرة بهذه الخطوة السعيدة، حيث خلا الجو لهما، وبات من حقهما البدء في حياة جديدة يجد فيها (حازم) ضالته التي لم يجدها في (بيريهان) حيث كانت تتعالى عليه، ولا تشعره برجولته، حسبما كان يردد لحبيبته دائمًا. فضلًا عن امتلاك المرحومة أرضًا مترامية الأطراف ورثتها عن عائلتها، ورصيدًا كبير في البنك، وفيلا في العين السخنة.

ووجدت (ليلى) هي الأخرى ضالتها في حياة القصور ونقلة كبيرة لعالم الثراء الفاحش لم تكن تحلم بها، وحسبها أنها ستنال وحدها لقب (سيدة القصر)، حتى لو كلفها ذلك الأمر بعض المناوشات ومشاعر الكراهية مع (ملك)، فذلك أمر يمكنها معالجته مع الزمن بدهاء أنثوي فطري وتمثيل دور الأم الحنون.

ولم ينسَ العاشقان في نهاية السهرة أن يشكرا صاحب الفضل، ومن كان سببًا في تعارفهما، حين أرسل (حازم) ذات يوم لها لتسهل له جملة من الإجراءات المعقدة في البنك.

اتصل (حازم) خلال العشاء بأبيه الروحي (ناجي نصر حلاوة) ليشكره على ما فعله من أجل ميلاد هذه العلاقة، فطمأنه بأنها الآن بين يديه ويطعمها في فمها، وأن زواجهما في القريب العاجل، فانتهت المكالمة بعبارة مستفزة من الأخطبوط العجوز:

- يالا ربنا يسعدكم دايمًا.. إنجوي.. أسيبكم بقى تكملوا السهرة.

كان (ناجي) يعرف جيدًا من اختارها لتكون سيدة هذا القصر، فهي واحدة من صديقاته القديمات التي يلجأ إليها في تسهيل أية إجراءات أو مهام داخل البنك فوق الطاولة، أو تسهيل أي إجراء غير شرعي أو قانوني من تحت الطاولة أيضًا، فوقع عليها الاختيار لتكون ذراعه اليمنى في دخول قصر المراغي والتمكن منه.

هذا ما روته (بيريهان) من عالم الحقيقة، هامسةً في أذن (ليلى) الكسيحة والملقاة بلا حول أو قوة على الأرض، وألقته في ذات الوقت على مسامع (عمار عطاوية) وذهنه، الذي اعترضت طريقه يوم كان يحمل أوراقًا تطمس معالم ما حدث لها من غبن وظلم.

احتاج (حازم) إلى هذه الأوراق يومًا ما فأرسلها الدكتور (ناجي) إليه مع أخته (سلمى) التي كانت تعمل لفترة في مكتبه قبل أن تمل الفكرة وتترك العمل، و(سلمى) بدورها طلبت من زوجها إيصال (الظرف) مقفولًا إلى قصر المراغي.

ولكن، لماذا لم تحرص روح (بيريهان) على توجيه الرسالة لـ (سلمى) واختارت زوجها؟!

حين اختارت (بيريهان) (عمارًا) كان لأنه الطرف البريء في هذه العائلة التي قتلتها وحرمتها طفليها، حتى (سلمى) كانت تعلم بعلاقة أخيها بامرأة أخرى في حياة (بيريهان) ولم تلمه أو تواجهه بخطئه، وحين علمت بأنها قتلت

صعقها الخبر وصدمها في أخيها، ولكنها نسيت كل ذلك حين اقتسمت معه جزءًا كبيرًا من ثروتها التي آلت إليه كثمن لسكوتها عن هذه الجريمة.

انتهت (بيريهان) من همسها وحكايتها، وفهم (عمار) حقيقة زوجته وأخيها، وهو طريح الفراش سابح في عالم الغيبوبة.

هنا.. رفعت (بيريهان) فمها عن أذن (ليلى)، ووقفت وأمامها جسدها الملقى ككومة لحم وعظم تئنُّ على الأرض، واتجهت نحو السلم لتصعد إلى أعلى.. إلى الدور العلوي الذي لم يستطع أن يدخله أحد.. إلى مرسمها الخاص.. وعالمها الذي تحب..

الظلام الأسود يحتل بهو القصر إلا أباليك الضوء الخاصة (بالكوريدور)، الخدم والأمن فروا مذعورين بعد انهيار الدادة (فاطمة) وقسمها ألا تدخل هذا البيت مرة أخرى، و(ليلى) ملقاة على الأرض وحدها ترتجف وتئن ولا تنطق، يبدو أنها أصيبت بشلل من صدمة رؤيتها لوجه محروقة كامب شيزار (سعاد غمراوي).

فهو يحمل قسوة الغدر، وغليان الحقد المتراكم عبر سنوات عديدة، وتلك رسالة أخرى، كان مرماها هذه المرة صاحب القصر وارث أبيه (حازم توفيق المراغي)، النائم بفعل حقنة مهدئة، ولكنها ليست كأي حقنة.

هل كانت (سعاد غمراوي) سيدة الرماد.. والزائرة الدائمة لكابوس (حازم) المتكرر شخص غريب عليه؟!

لعله لا يعرف من قصتها وحكايتها ما عرفته (ليلى) أو (عمار).. لعله لا يعرف أنها كانت حبيبة والده الأولى والأخيرة..

فالكابوس المتكرر الذي كان حضورها فيه خافتًا ويأتي في آخر الحلم من خلال الصورة (السيلفي)، لا يعتبر مواجهة حقيقية بينهما، حيث كان الوشاح يغطي بظلاله وجهها، فضلًا عن أنه لا يعرف من تكون حقًّا هذه السيدة التي قلبت حياته رأسًا على عقب، وأفسدت عليه نومه ويقظته وليله ونهاره.. فكان لا بد من المواجهة ليعرف الابن ما اقترفه أبوه في حق الحب الطاهر والمشاعر المخلصة، **وما كرره هو نفسه بعد كل هذه السنين مع زوجته (بيريهان)**.

كان غياب (حازم) عن الوعي حالة اختيارية إجبارية، فهو في عقله الباطن لا يريد الاستيقاظ، ويود لو بقي خارج عالم اليقظة بآلامه وزيفه

ووهمه، ومن ناحية أخرى، فالنفوذ الطاغي لروح (سعاد) جعلها تضعه في موقف المتلقي فقط.

فهو الآن يستمع ويعي ويفهم كيف تحالف الماضي لظلمها وزهق روحها وكيف تحالف الحاضر لتكرار المأساة مع (بيريهان) زوجته.

فالأب والابن في موازين عالم الحقيقة اقترفا جريمة الظلم في حق من أحبوهما وأخلصوا إليهما... والآن حان وقت الحساب..

بدأت الرؤيا.. وبدأ شريط سينمائي يمر أمام مخيلته..

رأى (حازم) نفسه في منامه يستيقظ من رقدته الطويلة، وينهض مفزوعًا ليجد نفسه وحيدًا في غرفته، وهي مفتوحة النوافذ يدخل منها أشعة شمس حارقة وهواء حار يكسو الغرفة باللون البرتقالي ويحمل رائحة الخوف.. فالشمس قبل غروبها تكون كالشفرة الحادة على جباه الخائفين.

ظل (حازم) ينادى مرارًا وتكرارًا على (ليلى)، دون أن يتلقَّ ردًّا ثم طفق ينادي أولاده، وأيضًا دون مجيب، فنهض من فراشه وخرج من غرفته وجال جولة في القصر كله عله يجد أحدًا، لكن دون جدوى.

غربت الشمس تمامًا وحل الظلام، وهو واقف وحيدًا في بهو القصر يدور حول نفسه باحثًا عن أي شخص أو شيء يشعره بحياته وبوجوده، ومع دقات الساعة العتيقة أخيرًا حضر من يحدثه..

حيث سمع صوت خطوات كعب حريمي تنبعث من مكتبه، فاقترب بحذر، وهو على أمل أن تكون (ليلى)، ولكنه وجد الباب يُفتح مُصدرًا صوت أزيز الأبواب القديمة فتراجع للوراء وهو يتنفس بسرعة رهيبة كأنه انتهى لتوه من سباق عدو.

لأربع ثوان لم يستطع أن يتبين من خرج من المكتب حيث الظلام المحدق، ثم بدأ يدخل ذلك الجسم في بؤرة الضوء المنبعثة من أباليك السلم، إنها امرأة كاملة الحسن والأنوثة، وهو يعرفها جيدًا..

(بيريهان) من جديد..

ورغم أن حضورها يختلف عن (سعاد المحروقة)، فهي لا تزور أحدًا إلا في كامل تألقها وحسنها، إلا أن مجرد اقترابها من (حازم) وهي تبتسم أثار ذعره، وجعله يسقط على الأرض، ويتراجع زاحفًا مرددًا:

- لاااااا...لاااااا..أرجوكي... أرجوكي ارحميني... أبوس إيدك يا بيري.. أبوس إيدك سامحيني... بيري.. بيري!!

وكعادة الأحلام والكوابيس.. تتبدل فيها الأشخاص بيسر وسهولة.. حيث تجد نفسك تحدث شخصًا ثم في ثوانٍ تجده شخصًا آخر..

بدأت ملامح (بيريهان) تتخذ شكلًا شيطانيًّا مخيفًا، وبدا لها أنياب مصاصي الدماء، ثم نزلت على الأرض في وضع الحبو، وظلت تتقدم نحوه في سرعة

أكثر وهي تتكسر في حركتها، حتى وثبت عليه فاغرة فاها، فأغمض عينيه وهو يصرخ فزعًا.. ليجد نفسه ملقًى في الشارع، على رصيف تتبدل قراميده بين اللونين الأصفر والأسود.. ففهم أنه الآن في الإسكندرية.

فنظر حوله للشارع الخالي تمامًا من المارة، وصوت أسراب العصافير على الأشجار، والجو الملبد بالغيوم، رغم حرارته، يوحي بأنه وقت الشروق، فقام من مكانه وكأنه يحمد الله على نجاته من فزع القصر وما فيه، فهو يظن نفسه في براح الشارع، لا يعلم أنه الآن أمام مبنى المعهد الديني الكائن في كامب شيزار.

وجد نفسه تلقائيًّا يتجه للبوابة الحديدية التي انفتحت وحدها، فدلف منها للداخل ثم استمر في تقدمه حتى سمع صوت حديث قادم من إحدى غرف الدور الثاني، فصعد على السلم ليقف أمام الغرفة المعنية ويستمع ويرى.

كانت (سعاد غمراوي) تجلس في شعور ما بين الفرحة والقلق لعدم مجيء (توفيق) وتأخره عن الموعد الذي من المفترض أنه أحرص عليه منها كما قال لها (ناجي نصر).

وكان الأخير يحدثها وهو جالس على كرسي توفيق ويقدم لها سيجارة ويواصل إقناعها وتبرير تأخُّر توفيق عن موعده:

- سيجارة؟!

- متشكرة يا ناجي.. مش قادرة..هاتوتر أكتر.

- وتتوتري ليه أصلًا؟ انت هتفضلي خايبة كده علطول..يا بنتي باقولك بيحبك ومتدهول ع الآخر.. وكان طول الفترة اللي فاتت بيموت.. وبيتشحتف علشان يسمع سيرتك وأي خبر عنك.

- بجد يا ناجي؟! إوعى تكون بتضحك عليا؟!

- أضحك عليكي إيه يا عبيطة انتي... كلها عشر دقايق ربع ساعة بالكتير وهتلاقيه داخل علينا.. وساعتها أسيبكم أنا وأنا مطمن.. مش هابقى عزول في وسطيكم هههههههههه.

- هههههههه..إزاي بقى ده انت السبب في إننا رجعنا تاني لبعض.. عارف يا ناجي.. أنا كمان كنت باموت من غيره...توفيق أول واحد حبني بجد.. وحسسني إني بني آدمة زيي زي الناس ليا أب وأم وأهل.. علشان كده عز عليا أوي لما يعرف حقيقتي إنه ما ياخدنيش في حضنه ويطبطب عليا ويقولي معلش انت مش مسئولة عن ظروفك.. إنت ما اخترتيش تبقى كده.. توفيق إنسان بيعرف يحب.. وقلبه نضيف.. وده اللي زعلني منه.. وده في نفس الوقت اللي مخليني عايزة أرجع له.

- عموما يا ستي أديكوا رجعتوا لبعض..هو إتأخر كده ليه.. بصي أنا هانزل أكلمه من الكشك اللي تحت.. لأن اللي هنا بيعلق وما بيجبش حرارة بسهولة.

– ماشي يا ناجي.. بس ما تغيبش..أصل المكان فاضي وساكت أوي.. وأنا بصراحة خايفة.

– خايفة الساعة ٢,٣٠ الظهر؟!!. وبعدين ده مكان كله ذكر وقرآن.. يعني فاضي مليان.. ما يقلقش خالص!!

– ماشي يا ناجي.

الآن يشاهد (حازم) شريط سينما للماضي، ويشحذ كل قواه العقلية لفهم واستيعاب ما يجري، إنه أمام حقيقة حفنة من البشر سترهم حاجز الماضي.

نزل (ناجي) على السلم بهيئته **المرتبكة** وهو يشعل سيجارة سوبر ويلتفت حوله، وفي نهاية السلم التقى شابًا يبدو عليه علامات البلطجة والتشرد فأخذ يهمس له بشيء، فاقترب (حازم) منهما ليسمع ما يدور بينهما.

– إوعى يكون فيه حد شافك وانت داخل.

– أنا نطيت من السور اللي ورا.

ما أنا عارف يا غبي..أومال م البوابة.. أنا أقصد حد شافك وانت بتنط؟!

– لا إطمن.. أنا صحيح مش على بعضي وقلبي هيقف م الفرحة.. بس مركز..ما تخافش.

– قلبك هيقف؟!! يا حنين..ما تمسك نفسك ياض فيه إيه؟!

– مش قادر.. ما انت عارف القشطة دي تلزمني من زمان.. وعيني هتطلع عليها.

– أهي جتلك أهي..اشبع بيها..بس اسمع يا صبحي مش عايز سياح

– هي شافتك قبل كده؟!

– إزاي يعني ولا مؤاخذة؟!

– ركز يا حيوان.. أقصد تعرفك؟! لأحسن تصوت أول ما تشوفك.. ولا ممكن تخش عليها بحوار إنك شغال هنا وبتعمل شاي وقهوة.

– أيوا طبعًا تعرفني من الحتة هناك.. مش المكوجي اللي بيجي ياخد اللبس بقالي يجي سنتين.. وبعدين كنت الصراحة باعاكسها في الرايحة والجاية.

– طب ربنا يستر.. يبقى اترزع هنا ربع ساعة عبال ما اخرج م المكان.. لأحسن تلم علينا الناس اول ما تشوفك...صبحي..مش هاقول تاني.. ما تطلعش دلوقت.

كان (ناجي) يمنح لنفسه الوقت الكافي لاستكمال ما تبقى من خطته، بالاتصال بـ (توفيق) في منزله، تلك الخطة الشيطانية التي تم تطبيقها بحذافيرها ما عدا شيئًا واحدًا، أراده ولم يتم وهو أن يستجيب له (توفيق) ويحضر ويكون أحد الجثث المتفحمة داخل الحريق المهول لكن هذا الجزء لم يتم لأن توفيقًا كان قد استفاق ورفض المجيء.

شاهد (حازم) بعين البصيرة لا البصر، ما لا يدركه إنسان بعينه، فرأى المشهد ببعدين، كأن شاشة وانقسمت له نصفين:

البعد الأول: في الطابق العلوي حيث صعد (صبحي) وباغت (سعاد) بدخوله الغرفة عليها بطريقة همجية أثارت ذعرها.

والبعد الثاني: حين اتجه (ناجي) إلى الكشك يحدث (توفيقًا) ويبلغه بأن حبيبته تنتظره والشوق يعتريها.

وقبل اتصاله والجرس يرن أكثر من مرة دون رد، تمتم قائلًا:

- اخلص بقى ورد ردت المية في زورك.. علشان تشوف حبيبة القلب في عرض الموسم..

اندفع (صبحي) داخل الغرفة ولسانه يتدلى كالكلب الجائع، وهو لا يصدق أن عشيقته الكائنة في خياله ستكون بين يديه لحمًا ودمًا، فما من (سعاد) إلا وانتفضت من مكانها.. واحتمت بركن في الغرفة.

- إإإإيه ده...إإإنت ميين... عايز إإإيه؟!.أنا عارفاك...إإإنت إيه اللي جابك هنا؟!

كان (صبحي السيد عزب) صبي المكوجي الذي كان يسلم الملابس لـ(سعاد) وزميلاتها من فتيات السكن، معروفًا في المنطقة أنه بلا قيم ولا

أخلاق وأنه يتعاطى المخدرات، ولديه شبق جنسي تجاه أي فتاة تجذب ناظريه..

وذات مرة حاول اقتحام الشقة والتحرش بـ (سعاد) حين فتحت له، وهو يعلم أنها وحدها، فنهرته بشدة وضربته كفًّا على وجهه، وهددته بأنها ستبلغ صاحب المحل وتفضحه.

ومنذ هذا اليوم وهو يحلم بها ويقيم معها علاقة في خياله المحرم أفلامًا وسيناريوهات، ويتمنى أن يحقق ولو جزءًا من هذا الخيال.

وكان (ناجي) قد التقط خيطًا شيطانيًّا من حديث له ذات مرة وهو ثمل، حين جاء يسلمه ملابسه في وقت متأخر من الليل، فاستدرجه (ناجي) ظانًّا منه أنه سيسمع شيئًا ربما يستخدمه يومًا في ابتزاز (سعاد)، لكنه اكتشف أن ما يهذي به (صبحي) مجرد سيناريوهات شائقة في خياله.

حتى الخيال.. أجاد استخدامه واللعب به هذا الشيطان الأشقر.. إنه يحفظ من حوله عن ظهر قلب، ثم يعيد استخدامهم كيفما شاء لتحقيق مآربه.

لم يمهل الحيوان النهم (صبحي) فريسته كي تصرخ، بل وثب عليها وجثم على صدرها محاولًا تكتيفها، ولكنها جذبت المصباح الموجود على المكتب من السلك المتدلي منه وضربته به فتنحى عنها متألمًا متأوهًا، فحاولت الركض لخارج الغرفة وهي تصرخ بأعلى صوت، لكنه أدركها وجذبها من شعرها

وناولها عدة صفعات كي لا تحسن الصراخ آخرها أردتها على الأرض بعد أن ارتطم رأسها بـ (رجل المكتب) الغليظة فشجت رأسها وسال الدم منها، وأصابتها بدوران وشبه إغماءة، فأصبحت تشعر بما يجري، وتدفعه ولكن بمقاومة ضعيفة لا تُذكر.

وعندما أدرك (صبحي) أنها قد فقدت القدرة على الحركة ولكنها تتأوه، أثار المشهد غريزته الحيوانية المريضة، فوقف وبدأ في خلع ملابسه، ثم جردها من ملابسها وهي تمسك بيديه تحاول عضهما، ولكن دون جدوى، فلجأت لإطلاق صرخة أخيرة قوية تجاوزت أسوار المعهد ليسمعها من في الشارع.

عندئذ لم يُمهلها (صبحي) وضربها على رأسها بقبضة يده فأصيبت بإغماءة كاملة، منحته الفرصة التي انتظرها طويلًا لكي يروي ظمأه من بئر الشيطان.

كان هذا هو المشهد الذي يتمنى (ناجي نصر حلاوة) لـ (توفيق) أن يراه متجسدًا أمام عينيه، لكنه لم ينل مراده فلجأ سريعًا لتنفيذ الجزء الأخير والنهائي من خطة كبيرة رسمها مع الخواجة (نيرو) منذ سنوات للإجهاز على المعهد الأزهري وإقامة الحانة القديمة التي كانت استراحة خاصة للضباط الإنجليز.

اتجه (نصر حلاوة) إلى المخازن الموجودة في البدروم، وأخذ المبنى من أسفله لأعلاه في نصف ساعة، يسكب الكيروسين والجاز على كل أركانه،

ثم أشعل قماشة حتى صارت متقدة بالنار، ورماها على ستائر إحدى الغرف، وفعل ذلك في كل طابق.

ويبدو أن (صبحي) كان في غيبوبة شهوته الحيوانية، فلم يشعر إلا وألسنة اللهب تحاصر الغرفة، فانتفض يهرع نحو إحدى النوافذ ليجد النار تحول بينه وبين الخروج، فراح يصرخ وينادي ويستغيث عاريًا، ولكن في غضون دقائق كان أثاث الغرفة الخشبي وقودًا لابتلاعه هو و(سعاد غمراوي) التي لمحها (حازم) قبل أن تلتهمها ألسنة النار وهي تبكي وتسيل من عينيها الجامدتين دموع حارقة.

غادر (ناجي) من الباب الخلفي للمبنى، واختفى بين دروب كامب شيزار وأزقتها، ولم يره أحد يعرفه في الإسكندرية بعد ساعة واحدة من الحريق الهائل.

ارتمى (حازم) على الأرض في الشارع، وراح يرتجف مرتعدًا، ويرمق أباه وعمه يضربان كفًّا بكف على بنيان السنين، وشقاء العمر، وصرح الخير الذي بنياه معًا، ثم راح في غمضة عين.

وقبل أن يدخل رجال الإطفاء والبوليس الجثتين المحترقتين سيارة الإسعاف وهما ملفوفتان بأردية بيضاء، تحركت - فجأة وبدون مقدمات - يد (سعاد) لتخرج من ردائها الأبيض، فهرع رجال الإسعاف، وتركوا الجثة على الأرض، وراحوا يرددون في هلع:

- الجثة دي صاحية يا جدعاااان...الجثة دي ما ماتتش!!!

سكنت كل الأصوات في مسامع (حازم) ولم يبقَّ إلا صوت أنفاس متحشرجة، ظل يسمعه وهو يشاهد الشارع يخلو من المارة تمامًا، و(سعاد) تخرج من الملاءة البيضاء، حتى وقفت شاخصة مسخًا مشوها محروقًا يثير الفزع، فأدارت رأسها بسرعة ناظرة نحو (حازم)، ثم اتجهت نحوه تتكسر في مشيتها.

ها هي سيدة الرماد التي طالما أرَّقت منامه، تقف أمامه ملء السمع والبصر دون أردية أو أغطية يكسوها اللون الأسود مضرجة في دمائها وجروحها الغائرة.

وفجأة ظهر (توفيق) وحال بينها وبين اقترابها من ابنه، وظل يتوسل إليها باكيًا:

- لاااااا..أرجوكي.. أرجوكي يا سعاد.... أبوس إيدك.. أبوس رجلك.. بلاش ابني...سيبيه.. ابني ما عملش حاجة.. أنا اللي قتلتك.. أنا اللي اتخليت عنك.. أنا باتعذب كل يوم بسبب جريمتي في حقك.. والنبي يا سعاااد سيبي ابني في حاله... سيبيه يعيش مع ولاده.. أنا اللي أستحق العذاب والخوف مش هو.. الخوف ده أكبر عقاب ممكن يتعاقب بيه إنسان حي..

لم تُبالِ (سعاد) بما قاله (توفيق) وكأنه يروض وحشًا كاسرًا أعجميًّا لا ينطق، بل يزأر ويفترس فقط، فوثبت على (توفيق) ومزقته والتهمته حتى العظام، ثم تقدمت نحو (حازم) وفغرت فاها، وأبدت أنيابها في مشهد أجبره على الاستيقاظ من غيبوبته ليجد نفسه وحيدًا في غرفته المظلمة بقصر (المراغي).

اختارت (سعاد) أن تعذب المذنبين بسياط الخوف.. وكفى به عذابًا.. وكفى به مكدرًا لصفو الحياة.

وهكذا أصبح القصر ميدانًا لعقاب المذنبين في حق ضحايا الماضي، ولكن ثمة معركة أخرى لم تحسم بعد، وقد نُصب ميدانُها في الخارج ما بين جدران القصر وخلف أسوار الحديقة، حيث جمع القدر ثلاثة أشخاص وقفوا مرابطين لمدة لم تتجاوز الساعة، قضوها في الأسئلة والاستفسارات والتعارف والتحليل والتنظير لهذه الظاهرة علميًّا ودينيًّا.

فهم ثلاثة أشخاص جمعهم خطٌّ مشترك يتماس مع العلم والدين في تفسير ما هم فيه وما حدث لهذه الأسرة المنكوبة.

بدأ الدكتور (نادر) في الشك حول ما إذا كانت أسرة حازم في داخل القصر، وخمن أنهم قد ذهبوا للمبيت في أحد الفنادق الكبيرة في انتظار السفر لعدة أيام خارج مصر كما كانوا يخططون.

وبدأ كل من الأنبا (بيشوي) والدكتور (حمزة) السير في هذه الفرضية، وصبوا تركيزهم على أزمة حبسهم داخل حديقة القصر، وكيفية الخروج منه.

حتى لمح أحدهم مشهدًا جعلهم في التباس من أمرهم، حين شاهدوا شخصًا يقف خلف كل النوافذ واضعًا كفيه على الزجاج وناظرًا لهم.

هذا الشخص لم يستطع أيٌّ منهم التعرف عليه، ولكن استطاعوا بالفراسة والتخمين وما سمعوه من حكايات (حازم) و(ليلى) أن يتيقنوا مِن أن مَن تقف خلف النوافذ هي (سعاد المحروقة)، في إشارة منها إلى أن القصر لم يعد لسُكنى البشر.

- (بشيء من الخوف) شفت يا أبونا.. قلتلك.. المهمة صعبة.. وانت تقولي عايز تشتري الأرض.. وتهد البيت.. ده اللعنة ساكنة وحالة ومستقرة.. وصعب جدًّا التعامل مع النوع ده من الظواهر.

- يا نادر.. حلمك عليا.. وحاول تتماسك وتسيطر على أعصابك.. ده انت اللي المفروض تهدينا.. احنا عندنا ناس متدربة على مواجهة أعتى قوى الشر، وبتعرف تتعامل مع جنود الشيطان وتطهر المكان منه.

لم يرق لـ(حمزة) أن يظل صامتًا في هذا الحديث دون أن يدلي بدلوه، فضلًا عن خوفه وتوتره لما شاهده:

- حمزة: معلش يا جماعة.. رغم إنه مش وقت نقاش ورغي.. بس أنا مش فاهم.. هو سعادتك عايز تشتري البيت؟!

- بيشوي: هي فكرة جت في بالي وناقشت فيها زمايلي القساوسة في الكنيسة، لأن قرب المكان فرصة عظيمة وكمان البيت فيه كل المواصفات الصالحة لمشروعنا.

- حمزة: مشروع إيه؟! لو ما فيهاش تطفل يعني؟!

- بيشوي: لا أبدًا.. مشروع جمعية خيرية قبطية مشهرة من وزارة التضامن الاجتماعي.. وليها مموليها وكل حاجة.. ده طبعًا لما نعرف نوصل ونقابل (حازم) بيه ويوافق.

- حمزة: عمومًا هو ده مش وقته.. لكن خير بإذن الله أما حكاية طرد الشياطين دي فأنا متفق معاك فيها.. إن المكان محتاج مجهود كبير وشغل كتير.

- نادر: يا جماعة.. شغل إيه ومجهود إيه؟! سامحوني.. أنا لما كنت بعيد كان ممكن أصدق الكلام ده.. لكن وأنا جوه الأزمة شايف إن الحلول دي مش علمية ولا منطقية.. معلش حتى لو كلامي ده زعلكم.. إحنا ممكن نبقى قدام شوية صدف مش أكتر.. يعني قفل البوابة الإلكترونية مثلًا.. مثلًا يعني.. ممكن يبقى فيه حد قاعد في كشك الأمن ونايم وقت ما دخلنا.. وصحي مرة واحدة وقفله

- بيشوي: طب والشخص اللي واقف ورا الشبابيك وكلنا شفناه؟! صدفة برضه يا دكتور نادر؟!

– حمزة: يا دكتور نادر.. الإيمان بالغيب له دور كبير في التعامل مع ظواهر كتير ليس لها تفسير علمي في الحياة.

– نادر: لا..آسف.. كل شيء له تفسير علمي ومنطقي.

– حمزة: أيوا طبعًا.. ده صحيح.. مش معنى الغيبي إنه غير منطقي أو فوضوي.. الغيبي مجرد إنه مش في نطاق إدراكنا الطبيعي المحدود.. لكن فيه ناس ممكن ربنا يختارها ويشوفوا حاجات غيرهم ما بيشوفهاش.

– نادر (بتذمر): واحنا بقى الناس دي؟!

– بيشوى: جرى إيه يا دكتور! انت ليه قلبت كده؟ ده انت كنت طبيب بيعالج بالروحانيات ومؤمن بيها.. وشايف إن كل الأمراض النفسية حلها الوحيد الإيمان والثقة في الله.

– نادر: معلوم.. ولسه شايف كده.. ومقتنع بكده... لكن ده حاجة وتفسير اللي بيحصل ده إنه شيطان وملايكة وأعوانهم والكلام ده حاجة تانية.

– حمزة: طب يا جماعة.. ده موضوع هايل جدًّا وممتع.. ممكن نبقى نعقد ندوة لما ربنا يخرجنا من هنا بالسلامة لكن دلوقت لازم نشوف حل ونخرج.. أنا رأيي نحاول ننط م فوق السور.. بيتهيألي الطريق كده يودي ع السور علطول.

- نادر: آآه صح..أنا برضه شايف كده.

قبل أن يتم (نادر) كلمته كان صوت طفل يصرخ وينادي من داخل البيت قد لفت انتباه الجميع، وقبل أن يسألوا بعضهم البعض، ويتيقنوا من سماع الصوت لدى كل منهم، أطلق الطفل الصرخة الثانية مختلطة ببعض الكلمات، ولكن ما يقوله غير واضح، المهم أن في صوته نبرة استغاثة.

خمن الدكتور (نادر) أن من يصرخ هو (شهاب) أو (ملك):

- نادر: على فكرة.. الظاهر الولاد محبوسين جوه.. ده صوت حد من ولاد حازم.

- حمزة: انت تعرفهم يا دكتور؟!

- نادر: أعرف إن عنده بنت وولد بس مش فاكر شكلهم.

- بيشوي: طب احنا مستنيين إيه ما نحاول نخش يا جماعة.

- نادر: انت بتقول إيه يا أبونا؟!

- بيشوي: باقول نخش ونحاول ننقذ الأطفال اللي بتصرخ دي.. أنا داخل يا جماعة.. ومش هامشي.. وبعد ما عرفنا إن ولاد الراجل جوه.. يبقى أكيد هو كمان جوه..فدلوقت بقى لوجودنا مبرر حقيقي.

- حمزة: طيب لو قررتوا تخشوا خلاص يبقى لازم نفكر ونشوف هنخش منين.. ونبقى كتلة واحدة مع بعض.. مش فرادى.

– نادر: مش عارف يا جماعة.. انا شايف نستنى شوية.. يمكن ده مش صريخ استغاثة.

هذه المرة.. جاء الرد على الدكتور (نادر) حين سمعوا صوت (ملك) جليًّا واضحًا يصرخ ويقول: الحقونا.. الحقونا.. حد يخرجنا من هنا!!!.

الآن.. لا أحد يمكنه التكهن ورؤية ما يحدث داخل القصر، وما وقع فيه (ملك) و(شهاب)، ومصير (حازم) و(ليلى) بعد ما تلقوا رسائل صادمة من الماضي الأسود.

وفرضًا.. لو تمكن الثلاثة المرابطون بالخارج من دخول بهو القصر فليس معنى ذلك أن جميعهم حتمًا سيشاهد هذه الأشباح أو يتابع كل ما يجري في جنبات المكان ويفهم أبعاد ما يجري!!

المهم أن الثلاثة قرروا الاستجابة لصرخات الاستغاثة، ومحاولة الدخول، فبدؤوا يطوفون حول البيت من جهة اليمين للبحث عن مدخل من إحدى النوافذ الأرضية لغرف الدور الأول.

وراح (حمزة) يتلو قرآنه، والأب (بيشوي) يردد آيات من إنجيله، وطفق (د. نادر) يرصد بعينيه ويتأمل كل المحيطات من حوله علّه يصل لما يتمسك به كحجة علمية حسابية ظاهرة تُثلج صدره المرتجف وتطمئن قلبه المفزوع.

ولكن خطة الاقتحام والدخول لم تتم، وتوقف الجميع لينصبَّ تركيزهم في اتجاه آخر معاكس حين سمعوا صوت أزيز البواية الإلكترونية لافتًا

للجميع، فوجدوا الباب ينكشف عن سيارة سوداء كبيرة تدخل من الباب وتتجه نحوهم، ثم تقف أمامهم بنوافذها المعتمة، ويخرج منها الركن الركين في الحكاية، والضلع الأهم الذي لا يلين أو ينكسر..

أخرج (ناجي نصر حلاوة) قدمه الأولى ثم الثانية خارج السيارة ووقف شامخًا أمامهم بمنتهى الغرور والكبرياء.

وفي ذات اللحظة كان صديق (عمار عطاوية) الذي يعمل ضابطًا في الأمن الوطني يتصل به ليواليه بالتفاصيل الخاصة بـ (ناجي) كما طلب منه، ولكن أحدًا لم يرد على الهاتف، ليعرف أهم معلومة عن المدعو (ناجي نصر حلاوة).

المولود في الإسكندرية ٢٣ فبراير ١٩٢٠

والمتوفى منذ ٨ سنوات في القاهرة ٥ إبريل ٢٠١٠.

تذكر (حمزة) رؤيا والده الشيخ (موسى) فورًا بمجرد أن خمن وفهم أن من يقف أمامه هو (ناجي)، وتأكد تخمينه عندما انخرط في نوبة ضحك مستفزة لها قعقعة وصدى في السماء، ثم نطق ليقول بصوت أغلظ من صوته الطبيعي:

– بيتهيألي إحنا ما شوفناش بعض قبل كده.. حتى انت يا دكتور نادر.. سمعت عنك كتير من حازم وانت أكيد سمعت عني...بس ما اتشرفتش بمعرفتك.. أحب أقدم لكم نفسي.. أنا الدكتور ناجي نصر حلاوة.

– نادر: أهلًا بيك يا دكتور.. تشرفنا.. إنما حضرتك دخلت إزاي.. فيه حد م الأمن فتحلك.

– ناجي: أمن؟! أمن مين؟! الأمن والخوف احنا اللي بنعملهم.. دي لعبتي.. لعبتي من زماااان... من زماااان أوي يا دكتور نادر.

– حمزة: ده إنت داخل متحمس بقى والكلام ع المكشوف.. باقولك إيه يا دكتور ناجي.. دخلت م الباب.. نشعت م الأرض.. نزلت م السما.. أحب

أعرف حضرتك حاجة مهمة.. كل اللي حصل لأهل البيت ده سحابة صيف وهتعدي.. وانت المسئول.. ولازم بإذن الله نحط نهاية لكل ده.

– (ناجي بلهجة ساخرة): الله الله.. إيه الجمال والحلاوة دي.. إيه يا وحش القوة دي.. ويا ترى فردة العضلات دي جايبها منين؟! ده حتى غريبة على دكتور جامعة أكاديمي مش بتاع مشاكل يبقى شرس كده.. ولا انت بتاع مشاكل يا دكتور حمزة.. ولا تحب أقولك يا شيخ حمزة.

– انت فاكر طبعًا إني هاندهش واتخض من إنك عرفت اسمي من غير ما تشوفني قبل كده؟! إطلاقًا.. وفر على نفسك الانبهار.. ولعلمك أنا عارف انت مين كويس.. وجاهز ومستعد ليك من زمان.. بس انت اللي وفرت عليا الوقت وجيت بدري.

– ناجي: ياااااه..للدرجة دي واثق من نفسك؟!!

– بيشوي: اسمع يا أخ ناجي.. أحسن لك تنسحب م المشهد وتسيب الناس دي في حالهم.. أنا صحيح ما أعرفكش كويس.. لكن اللي فهمته إنك عايز البيت ده ذوق أو عافية.

– ناجي: هايل.. ده كلكم بقيتوا فاهمين وعارفين وخطيرين.. باقولك إيه يا ابونا..ما ترجع في سلام لكنيستك وترانيمك وقداسك وتسيبك م العركة دي.. طب الراجل ده ابن عمهم.. والراجل ده دكتور الباشمهندس حازم وعارفه من زمان.. انت إيش حشرك وسطينا؟

- بيشوي: اتكلم بلهجة محترمة أكتر من كده علشان ما تندمش.

- ناجي: ما تلم صاحبك يا دكتور نادر.. خده ورجعه من مكان ما جبته.. لأحسن فيه خبر وحش أوى مستنيه لما يرجع...ده لو عايز يرجع.

- بيشوي: كل محاولات تخويفك أنا عارفها وحافظها.. إنت دورك تبلبل وتشتت أفكارنا.. تحسسنا بالعجز والضعف والفقر.

- ناجي: طب وقف حصة الفلسفة دي واتصل كده بمكتب المهندس (هاني فانوس).

- نادر: هاني فانوس؟!. ماله هاني فانوس؟! مش المهندس هاني ده هو اللي وافق يمول مشروع الجمعية الخيرية؟!

- بيشوي (بقلق): اأأأ اه هو.. ماله المهندس فانوس؟!

- ناجي: خش اكتب اسمه ع النت وشوف.

يدخل الأب بيشوي على الإنترنت من هاتفه فيقرأ خبر تم نشره عن: مقتل رجل الأعمال القبطي هاني فانوس في ظروف غامضة والجاني مجهول.

- بيشوي: انت عملت له إيه؟! عملت له إيه يا حقير.

- ناجي: الزم أدبك وما تغلطش لاخليك تحصله.. أنا ما عملتش حاجة.. انا صفيته ع الهادي .. وخد بالك.. ده بس علشان حاول يقف في طريقي..

واللي ما تعرفوش عنه إن زى ما كان له أيادي بيضاء.. كان الله يرحمه تاجر عملة وسلاح مالوش حل.

- بيشوى: اخرس يا واطي يا حقير.

- ناجي: ما قلتلك بلاش الغلط.. أنا محترم اللبس المقدس اللي إنت لابسه بس.. وحبيت أعرفكم.. والكلام هنا للكل.. مدى قوتي التخريبية والتدميرية.. يا دكتور حمزة.. طبعا إنت عارف إن (عمار) راقد في العناية المركزة بين الحياة والموت.

- حمزة: إيه؟! انت اللي عملت فيه كده؟!!!

ناجي: التشويش يا عزيزي... وما أدراك ما التشويش! وهو برضه كان عنده استعداد زي فانوس لأنه طماع.. ولا انت فاكر إنه كان تاعب نفسه والموضوع شاغله علشان سواد عيون عيلة المراغي.. اللي هو أصلًا ما بيطيقهاش.. عمار ما بيكرهش حد في حياته قد حازم المراغي.. وطول عمره بيمني نفسه بنصيب مراته من ثروة أخوها.. وبيحرضها على المطالبة بحقها في الأراضي والعقارات بتاعتهم.

وفي أداء مسرحي، ولكنه غير مستهجن، ويليق به قفز برشاقة لا تلائم سنه فوق (كبوت) السيارة، ثم اعتلى سقفها ووقف بعظمة وشموخ موجهًا كلامه للثلاثة:

– اسمعوا.. أنا مش عايز منكم حاجة.. كلكم دخلتم الحكاية بالصدفة.. فأنا مش مضطر أضايق حد فيكم.. كل اللي عايزه منكم تبعدوا عن طريقي.. الباب أهو اتفتح.. يالا يا بطل منك ليه...اتفضلوا مع السلامة..

المفاجأة..

أن الثلاثة خرجوا من البيت طواعية وبدون تردد، وفور مغادرتهم للبوابة توقفت السيارتان بعيدًا وخرجوا منها يتلاومون:

– نادر: يا دكتور حمزة.. أنا لسه كنت باقول لأبونا بيشوي.. احنا كده خسرنا المعركة.. احنا طلعنا طلعنا ونزلنا على مفيش.. اتحديناه .. وبعدين تراجعنا... إحنا إزاي نسيب له البيت والجمل بما حمل كده بسهولة؟!!

– حمزة: يا دكتور نادر.. شوف.. كلنا كده على بعض إنسان.

– نادر: يعني إيه؟!

– حمزة: يعني بشر.. بشر طبيعي.. عايز يكمل حياته بدون مشكلات وبدون تحديات.. عايز يربي عياله ولا إنه يخش معركة مش عارف أولها من آخرها.. وناجي اللي انت شايفه ده مش شبح ميت فيبقى كبيره يخضك ويطلع لك في الحلم.. ناجي عفريت....مارد.. عارف يعني إيه مارد.. يعني جن عتيد وقوى وكبيرو قديم.. له نفوذ وسلطان وعلشان حد يواجهه لازم يبقى قده.. زي كده عندنا في القرآن لما الرجل الصالح غلب كبير الجن في مجلس سيدنا سليمان.

- بيشوي: حمزة بيتكلم صح يا نادر.. الشر ربنا إداله نصيب كبير من القوة والتمكين في الدنيا.. علشان يبقى تجربة وامتحان لينا.. لكن ده مش معناه إن دي نهاية المطاف.. ناجي ممكن يبعد.. لكن مش ممكن يموت.. إلا لما ربنا يشاء في اليوم الموعود.

- نادر: آه.. يعني ننسى.. ونقطة ومن أول السطر.. طيب.. أشوفكم على خير

انصرف الثلاثة، وقرر كل من (نادر) و(بيشوي) طي هذه الصفحة، إلا (حمزة) الذي كان قد اتخذ قرار الانسحاب المؤقت كتكتيك حرب ليس إلا، وقال في قرارة نفسه:

إن كل من طبيب (حازم) وصديقه القس لا ناقة لهما ولا جمل في القضية، لكن دوري أنا كابن عمه ومن العائلة فلزامًا عليَّ حماية هذه الأطفال وإخراجهم من البيت، وإنهاء أسطورة (ناجي نصر حلاوة) للأبد.

شحذ (حمزة) همته واستعداده النفسي والديني لملاقاته ومجابهته.. وقرر العودة للخلف ودخول القصر.

دخل (حمزة) بسيارته في أول شارع جهة اليمين ميممًا وجهه نحو العودة، ثم عاد للميدان ومنه إلى الشارع الهادئ، ثم استقر أمام القصر ببوابته الموصدة وخرج من سيارته ووقف أمامه ثم أخرج أول سلاح

مجموعة أوراق عتيقة صفراء كان الشيخ (موسى المراغي) كتبها بخط يده، تمثل أورادًا تحصينية، وأدعية لدفع الشرور وفتح الموصد، ومواجهة المردة وحرقهم، فبدأ باستفتاحها مرددًا:

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم العظمة القاهر لكل الملكوت

المهيمن المسيطر عبر الزمان الدنيوي مبتداه ولا منتهاه

الاسم القابض على كل بوابات السماوات والأرض العلوية والسفلية

الذي يفتح أعتى المغاليق ويفك أحكم المواثيق

اللهم بقوة بسم الله الرحمن الرحيم

وبملكوتها وبنورها وبقدسها وبتصريفها

اجعل حرسي جنود بسم الله الرحمن الرحيم

وسلاحي سر (ولا يؤوده حفظها).

فانفتحت البوابة، لتدعم (حمزة) نفسيًّا وتُشعره وتقلل من خوفه وهلعه الداخلي، وفور أن دخل أُغلقت البوابة من جديد، فعادت الوسوسة تقول له: لو كان ربك الذي فتحها لما أغلقت، وازدادت الوسوسة حين سمعها ظاهرة جلية بصوت (ناجي) وصداه في كل الأرجاء:

– هههههههههههههههههه أنا اللي فتحتلك.. إوعى تكون فاكر إن لعب العيال اللي في إيدك ده هو اللي دخلك.. لا يا صديقي.. أنا كنت عارف إنك جاي.. وإنك الوحيد في التلاتة اللي هترجع.. صعبان عليك ابن عمك ههه هههههههههههههههههههههههههه... ولا عجبتك مراته فجاي تجدد الود.

– تفووو عليك يا عدو الله يا نجس يا قذر.. قول اللي تقوله.. نهايتك على إيدي بإذن الله.

لماذا يذكرنا دائمًا الشيطان بأدق وساوسنا وهواجسنا العابرة السريعة؟!

من الذي أعطاه القدرة على رصد أي حديث للشر داخل النفس واصطياده؟!

كيف عرف (ناجي) أن (حمزة) وهو جالس مع (ليلى) في الكافيه حدثته نفسه ولو للحظة عابرة بأنه يتمنى أن تكون (رباب) زوجته في رقة (ليلى) وشياكتها وأسلوبها.. ثم تناسى الأمر تمامًا كأن لم يكن؟!

ولكن هذه العبارة أربكت (حمزة) وجعلته يتيقن أنه أمام أمر جلل، أمام المخلوق الذي خضعت له ملايين البشر وانساق له أساطين الشر وجبابرة الأرض في كل مكان...ولكن..

فورًا استعاد توازنه وذكَّر نفسه بأنه لا يستعصي على خالقه..

مضى (حمزة) مواصلًا السير على قدميه داخل حديقة القصر المظلمة، ومزيج من أصوات الصرخات وعواء الذئاب يتعالى في مسامعه حتى صاح (حمزة) بصوت عال:

- انت فين يا ناجي... انت فين؟! اخرج وواجهني.. وريني نفسك وريني صورتك الحقيقية... اخرج يا ناجي وكلمني.

بعد أن أنهى (حمزة) كلامه بثانية.. كانت زلزلة الأرض من تحت قدميه كفيلة بأن يندم على طلبه، وليس هذا فحسب، بل كان صوت الزئير المخيف المتعالي الذي يصدع في جنبات القصر يخلع القلوب من الصدور فور سماعه!!

واندلعت النيران في سور حديقة القصر فأصبح المكان محاصرًا بقضيب من النار.

وفجأة.. انشقت الأرض بجانب قدمه اليسرى لتخرج منها يدٌ كبيرة غير بشرية، ولكنها ذات أصابع خمس، بأظفار طويلة، لونها أخضر ومليئة بالشعر، فأمسكت بأسفل قدمه بقوة، فما كان من (حمزة) إلا أن سقط على الأرض وحاول الضغط على هذه اليد بقدمه اليمنى ولكن لا فكاك.

فسمع صوت (ناجي) يتردد صداه في كل الأركان ضاحكًا ويقول:

– هههههههههههههههههههه لغاية دلوقت أنا سايب إيدي.. أنا بالاعبك بس... تخيل؟! هههههههههههههههههههه.

– (بصعوبة وحشرجة) انسى يا كلب..مش هاخرج إلا أما أحرر الأرض والمكان منك!!

– تخرج؟! ومين قالك إني دلوقت عايزك تخرج؟! ده كان عرض قديم وخلص.. دلوقت أنا هاموتك ببطء .. أصلك ما بتاخدش عبرة من اللي حصل لأبوك وعمك.. في الآخر أخدت الأرض وهما خدوا الفلوس.. انتوا دايمًا كده... بتضحكوا على نفسكم باللي تحت رجليكم وتسيبوا المكسب الأكبر البعيد.. حيلة قديمة بس حلوة وبتخيل عليكم كل مرة.. أرض إسكندرية أخدتها.. والأرض دي هاخدها.

– أغلق (حمزة) عينيه وتناسى ألم قدمه التي بدأ ينقطع عنها الدم تمامًا، ونام على ظهره، ثم نظر إلى نجم في السماء يلمع، فسمع صوت الشيخ (موسى) يقول هذه الكلمات فردد خلفه:

اللهم بسر (والسماء والطارق)

وبنفوذ وسلطان (النجم الثاقب)

سألتك بثبوت المجرة وحركة الكواكب

ألقِ عليَّ المدد بأعمدة لا تُرى

وأقطابٍ تحت الثرى

شعر (حمزة) باهتزاز الأرض من تحته وكأنه زلزال، وانفكت قوة اليد التي أمسكت قدمه ثم زاد اهتزاز الأرض وأصبح لها صوت مخيف، ثم سمع (حمزة) صوت قعقعة كبير، فنظر للأعلى ليجد قبة القصر قد تصدعت وانشقت وامتد الشرخ إلى أسفل القصر بسرعة.

الآن ظهر وجه (ناجي) شفافًا منطبعًا على السماء يملأ المشهد بحجم مبنى القصر كله.. وراح يقهقه من الضحك بصوته المخيف.

وقف (حمزة) ومضى في سيره نحو البيت وهو يعرج ويترنح من الألم، وبصعوبةٍ يلتقط أنفاسه، ثم نادى مجددًا:

– نااااااااجي.... انت انتهيت... ده قضاء إلهي اتحكم عليك بيه.. إن كيد الشيطان كان ضعيفًا.. إن كيد الشيطان كان ضعيفًا..

ما أن انتهى (حمزة) من كلماته حتى سمع صوتًا نألفه جميعًا في قاموس مخاوفنا الصوتي، حيث سمع صوت زمجرة حيوان شرس من خلفه ممتزجًا بصوت سلاسل حديدية. فنظر خلفه ليجد جيشًا من الكلاب السوداء الضخمة ذات الأنياب البيضاء والعيون الحمراء، تركض بسرعة في اتجاهه.

لم يجد (حمزة) من الوقت ما يكفي لشحذ قوته الروحية، أو استكمال قراءة حصن الشيخ (موسى)، وفي ٣ ثوانٍ هي العمر الزمني لهجوم أول كلب عليه كان عليه أن يخطط للخلاص مما وقع فيه.

لمدة عشر دقائق كاملة كان (حمزة) وجبة شهية لعضات الكلاب ونبشاتها ومخالبها وأنيابها، حتى صار كالدمية تحركها كيفما شاءت، إلى أن توقفت الكلاب فور أن أطلق (ناجي) صافرة طويلة لها، وتباعدت عن جسد (حمزة) المضرج بالدماء.

ما زال (حمزة) يحيا على أرض الوعي، فنظر إلى (ناجي) الذي وقف على باب القصر وهو مفتوح على مصراعيه مبتسماً ابتسامة المنتصر

مرة أخرى.. تعود الوساوس مجددًا..

إنه الإنسان الذي إن أصابه مكروه.. ظن أن ربه أهانه.. وتركه..

فحدث (حمزة) نفسه وقال:

يعني إيه؟ دي النهاية خلاص؟ أموت على إيد كلاب..طب ليه ربنا ساعدني علشان أخش لحد هنا؟!!

فرد عليه (ناجي) مدعماً وساوسه قائلًا:

– هههههههه شفت... ها.. نفعتك الأوراد؟ شوية الورق المهربد بتاع أبوك اللي أصلًا ما عرفش يواجهني مرة بيه.. ربنا كتبلك النهاية على إيدي..

إيه؟ مستكترها عليا ليه؟! أتخن منك ودمرتهم.. مين اللي فهّمك إن فيه حد يقدر عليا؟!

وجد (حمزة) صوت (ناجي) وهو يتحدث قد تلاشى تدريجيًّا، حتى ظن أنه قد أصيب بالطرش من كثرة ما نزفت أذنه، لكنه سمع صوت والده جليًّا واضحًا:

– حمزة.. قوم يا حمزة.. مش غلطتك إن الكلب ده يوسوس لك إن ربنا سابك.. لكن غلطتك إنك تصدقه.. ما تنساش إن نبيك نفسه صدق للحظة إن ربنا سابه وهجره وخاف لينقطع عنه مدد ربنا.. واتهم نفسه بالجنون.. لحد ما ربنا ألقى عليه نور (والضحى والليل إذا سجى).

تجاسر (حمزة) وبدأ يحاول الوقوف، و(ناجي) متعجب مندهش، وبدت لأول مرة عليه علامات الإرهاق، وازدادت ملامح وجهه تعرجًا وتشققًا وهو ينظر إلى (حمزة) يسيل منه الدم ويرفع يده للسماء ويردد:

ياااارب...امنحني كرامة المدد من بعد الانقطاع بحق (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى).

وظل يكررها، و(ناجي) يصرخ ويتراجع ليلتصق بالجدار ويقول:

اخررررررس.. اخررررررس...اخررررررس.

ثم دلف إلى داخل القصر بسرعة، فدخل (حمزة) وراءه ليجد القصر منيرًا غير مظلم، ولكن بألسنة اللهب، والنار تمسك بكل ما فيه، فانطلق (حمزة)

بسرعة لا تتوافق مع ما حدث له من افتراس الكلاب كأنه لم يتعرض لها، وصعد السلم مخمنًا أن الغرف في الدور العلوي الذي لم تطله النار بعد.

فنادى بصوت عالٍ:

مين اللي هنا؟! فيه حد هنا؟! مين هنا يا ناس؟!

أحكم (حمزة) قبضته على سبحة (موسى المراغي) الخشبية ووقف شامخًا في (الكوريدور) المشتعلة جنباته يلتقط أنفاسه ويفكر.. وتمنى في هذه اللحظة أن يكون قد عرف أسماء أطفال (حازم)، ثم راح يناديه وينادي (ليلى) فدخل أول غرفة بشكل عشوائي ليجد (حازمًا) أمامه على فراشه جاحظ العينين، مستقرًّا وسط الدخان الذي بدأ يتسرب للغرفة.

فخمن أنه (حازم) واقترب منه بسرعة ومد يده قائلًا:

حازم؟! حازم صح؟! أرجوك رد عليا بسرعة؟! طب قوم معايا.

فجذب يده ليجدها باردة جدًّا، طيعة، سهلة الحركة بما يوحي أنه قد فارق الحياة.

فتركه (حمزة) على الفور واتجه لثاني غرفة ليجد (ملك) و(شهابًا) ملتصقين بعضهما ببعض يرتجفان في ركن من أركانها، فاتجه نحوهما دون تردد وحمل (شهابًا) وأمسك بيد (ملك) التي انساقت له طواعية دون تفكير.

خرج الثلاثة من الغرفة يركضون..وفجأة أوقفهم صوت باكٍ رقيق ينادي:

ملك..شهاب.. ما تسيبونيش يا ولادي.. خدوني معاكم.

فالتفت الجميع نحوه ليجدوا (حازمًا) قد نهض من فراشه وهو يتسند إلى الجدار ويمد يده نحوهم، ويتوسل إليهم.

– حمزة: استني يا ملك..ده ممكن ما يبقاش بابا خدي بالك.

– ملك (وهي تبكي): إزاي يعني؟! وهو انت مين يعني؟! آجي معاك وأسيب بابا؟! أنا ما اعرفكش.. أنا مش ممكن أسيب بابا ..سيب شهاب..

– حمزة: مش هاسيبه.. وتعالي انت كمان.. انت مش فاهمة حاجة؟!

وهما يتناقشان جذب (حازمًا) (ملك) بقوة إلى الغرفة وأغلق الباب بقوة وهي تصرخ، ولكن (حمزة) سارع ومد ساعده ليحول دون إغلاق الباب، فصار (حازم) الذي تحول لمسخ يشبه الذئب يجذب ملك للداخل ويدفع الباب ليضغط ويدمي ساعد (حمزة)، وهي أصبحت كالدمية، حيث غابت عن الوعي بمجرد أن شاهدت هذا المسخ.

غرس المسخ أظفاره ثم أنيابه في ساعد (حمزة) الذي نجح في إمساك (ملك) من خصرها وجذبها إليه وراح يردد:

اللهم بقوة نبيك داوود ذي الأيدي.. أسألك يدًا لا تنكُص ولا تتراجع.. يدًا نافذة ناجزة بحق قولك: (يد الله فوق أيديهم).

فخنست يد المسخ وتراجعت وانجذبت (ملك) نحو (حمزة) فأفاقت، وأمسك بها، وحمل شهابًا ثانية، واتجه نحو السلم، فلمح وهو ينزل جثة (ليلى) محترقة وملقاة على الأرض في صورة مرعبة، حيث عرفها من وجهها باعتبارها الشخص الوحيد الذي يعرفه.

لم يوقفه ذلك بل استمر في طريقه نحو الباب الذي وجده موصدًا بالطبع..

كانت سيدة الرماد تبدو كطيف شفاف يمر سريعًا دون قدرة على الاختراق والمشاركة ومد يد العون في مجابهة (ناجي) الذي أحرقها من قبل وغدر بها..

ولم يفهم (حمزة) حين لمحها أكثر من مرة من تكون هذه السيدة المُشوَّهة التي تحاول الوصول له بلا جدوى، فقط طفق يفكر كيف يخرج من باب المبنى الموصد.

لكن..

كيف استطاع (ناجي) أن تكون له اليد الطولى فوق شبح (سعاد المحروقة)؟! هل بلغت قوته كمارد أن يكبح جماح غضبها ويوقفها عند حدوده دون أن تتخطاها.. ربما!!

ربما كان المردة يملكون مما آتاهم الله ما يجعل سلطانهم في الدنيا أقوى من الأرواح في عالم البرزخ التي لا تملك سوى التخويف بمجرد ظهورها أو زيارتها لعالم الأحلام والكوابيس!!

وقف (حمزة) وفي يده الطفلان واللهيب يتعالى داخل القصر ويقترب منه، فتلا بصوت عالٍ وظل يردد بقوة قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

حتى تصدع الباب وانفلق نصفين، كل نصف تطاير في الهواء.. فخرج (حمزة) إلى رحب الحديقة وسعتها من جديد، وتمنى هنا لو أنه دخل بسيارته، ولكن لا وقت للوم.

وفي لحظة واحدة خارت مقاومته، وسقط شهاب من فوق كتفه حين سمع صوت زئير عنيف جبار، يملأ الأرجاء، لا تملك حياله سوى التجمد والسقوط. فأدرك (حمزة) أن هذه هي الزفرة الأخيرة لهذا المارد، وأن عليه الصمود والتماسك والثبات إلى أقصى درجة.

كان (ناجي) يتحاشى دائمًا مواجهة الشيخ (موسى المراغي)، ويعرف كيف يغوي (توفيقًا)، والآن فهم أن (حمزة) هو وريث والده، كما أن (حازمًا) كان امتدادًا لأبيه.

لذا فقد قرر القضاء على (حمزة) والإجهاز عليه، فخرج في صورته الحقيقية كمارد جني قديم يعيش منذ آلاف السنين، ويتجسد عبر العصور والأزمنة، في شكل بشري يتعامل معه الناس تحت اسم (ناجي نصر حلاوة).

كانت الصورة التي بدا فيها (ناجي) أبشع من أن تتحملها (ملك) فسقطت مغشيًّا عليها، أما (شهاب) فيبدو أنه حظيَ ببعض الطاقة الإيجابية من احتضان (حمزة) له، وبفطرة الرجولة فيه فقد ثبت نوعًا ما وتراجع للوراء مكتفيًا بالبكاء والصراخ.

عجز لسان (حمزة) عن الكلام والنطق حتى بأوراده رغم أنه حاول رفعها لمستوى بصره والاطلاع عليها، ولكن قوة الضوء المبهر لتجسُّد المارد أمامه ببشاعة منظره شلّت حركته تمامًا، وتسببت في طقطقة شعر رأسه باللون الأبيض من فرط الرهبة.

امتلأ المشهد بحجم المارد الذي تجاوز ارتفاعه وطوله وعرضه كل مرامي البصر، والأبشع والأكثر فزعًا تفاصيل وجهه القبيحة التي يبدو فيها ملامح من وجه (ناجي)، ولكن بصورة أضخم وأبشع، في مزيج من وجوه الذئاب والكلاب الـ بيتبول Pitbulls الشرسة، وهو يفتح فمه على أقصى وسعه ويعوي ويزأر. في الوقت الذي كان الأب (بيشوي) يصطف مع عدد من الرهبان والقساوسة حول سور القصر يتلو على المارد الترانيم الطاردة للأرواح الشريرة.

ظل (حمزة) يتراجع للوراء، حتى توقف حين سمع صوت (ناجي) متضخمًا متوحشًا يناديه:

– حمزاااااااا.. حمزاااااااا.. أنا الخليفة.. أنا الملك.. فاهمني.. أنا الملك.. الطاااعة... انت واللي زيك عليكم الطاااعة... الأرض دي أرضي..مش هاسيبها.

– (حمزة بصعوبة وبطء): الطاعة للواحد اللي خلقني وخلقك.. الطاعة لله.. شئت أم أبيت..الطاعة لله.. والأرض لله..

ازداد زئير المارد وهيجانه، وكأنه يصرخ من الألم، ولكنه تراجع ثم وثب للأمام، واقترب من (حمزة) لافتراسه وسحقه.

فرفع (حمزة) في وجهه المصحف مفتوحًا، وردد بصوت واضح:

اللهم بكاف المعارف.. ونون القدرة..

اللهم بجنود الكاف والنون..

احرقه ودمِّره بسر: كُن..فيكون.

كان دويُّ الانفجار قويًّا، ومفزعًا لكل من شاهده أو سمعه، حتى بلغ ارتفاع ألسنة اللهب عشرات الأمتار، وصارت الحديقة بكل أرجائها والقصر بكل جدرانه كتلة من النيران، والدخان يتصاعد لعنان السماء.

وقبل أن يفكر (حمزة) في كيفية الخروج، وجد أمامه امرأة جميلة في أبهى حللها، تتقدم نحوه، تحفُّها هالة من الضوء، شعرها الكستنائي يتطاير ليزيدها جمالًا، فأشارت إليه أن: اتبعني وسر خلفي.

فصارت تفتح له دربًا رفيعًا وهي تسير وسط اللهب، وهو يحمل البنت والطفل على كتفيه للخروج، حتى وصل للبوابة وفتحتها له هذه المرأة وأشارت له للخروج وهي تبتسم.

لم يتيقن (حمزة) من تكون، ولكنه لم يَحْتَجْ لمزيد من التفكير ليعرف أنها (سعاد غمراوي) بدون أردية سوداء ولا فتات رمادية تتساقط من جسدها المحترق.

كان مرور ٣ سنوات كفيلًا بتعافي (عمار عطاوية) من آثار حادثة السيارة التي انقلبت به بشكل شيطاني على الطريق، وكذلك كان كفيلًا بنسيان أو تناسي ما حدث من قبل (سلمى)، حتى (ملك) و(شهاب) فقد نسيا أيضًا، ولكنهما لم يعودا سويين أو طفلين كبقية الأطفال.

ورغم أن الأربعة قرروا أن يعشوا معًا كأسرة واحدة في سلام وهدوء، فإن كابوس القصر ظل بين الحين والآخر يطوف بأذهانهم.

وبطبيعة الحال عاشت هذه الأسرة في طريق، وأسرة (حمزة) في طريق آخر دون أدنى تواصل، ولكن ظل في ذاكرة (ملك) و(شهاب) ذلك البطل الذي حملهما على عاتقه وخرج بهما من أتون النار.

كما قرر (حمزة) أيضًا أن يكمل حياته بشكل طبيعي رغم غرابة ما رأى من ظواهر عجيبة وصعوبتها، لو حكاها لأحد لما صدَّقه، لذلك فقد عزم على ألا

يخبر أحدًا حتى زوجته بما حدث في هذا اليوم، منحيًا كل الأفكار الاستثمارية لهذه المغامرة، فلم يقامر بها أو يحاول استغلالها في الدعاية لنفسه كأحد شيوخ محاربة الجان ومثل هذه السبل التي يخوض فيها الجهلاء والأدعياء، بما يفقد الموقف هيبته ويرسمه على غير حقيقته.

عاش (حمزة) في سلام نفسي مع أسرته لشعوره أن الله يحميه، حتى ولو قابل من منغصات الحياة وهواجسها ما يشيب له شعر الرأس، أو أن يواجه في حياته مفاجآت من نوعية الاصطدام مجددًا بمواقف تدخله قسرًا في دوامات من التفكير والحسابات المعقدة.

فهو لن ينسى أبدًا، حين سافر بعد مرور ١٥ عامًا على حادثة القصر إلى أحد المؤتمرات المنعقدة في مدينة الرباط في المغرب، ولمح أحد المحاضرين يجلس في الصفوف الأولى ممثلًا دولته، فالتبس عليه الشبه من الخلف برأسه الخالي من الشعر وبشرته البيضاء المشربة بحمرة، فاستغل فرصة الاستراحة وقام من مكانه في اتجاهه، فوقف في مواجهته ولكن من مسافة بعيدة، وأخذ يدقق فيه وهو يتحدث إلى محاضر آخر، وقبل أن يتيقن من تفاصيل وجهه كان قد قرأ لافتة التعريف به الموجودة أمامه فقرأ بعين الخوف عبارة:

(الدكتور ناجي نصر حلاوة – جامعة الأردن).

فرفع عينيه تدريجيًّا وببطء إلى وجهه بعد قراءة العبارة، ليجد التفاته بابتسامة يحفظها (حمزة) عن ظهر قلب، فكيف ينساها أو يحاول نسيانها..

..ففي الحياة قد تنسى أحبابك.. لكن خصومك حتمًا لا يبرحون الذاكرة..